

مجلة

مجمع اللغة العربية بمسوق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا »



عدد خاص

بالذكرى الثوبية لولادة الاستاذ الرئيس

محمد كرد علي

المحرم من سنة ١٣٩٧ هـ

كانون الثاني « يناير » من سنة ١٩٧٧ م



الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

١٨٧٦ - ١٩٥٣

(عن لوحة زيتية بريشة الفنان سعيد تحسين)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يشتمل هذا العدد على ما كُتِبَ أو قيل في الاحتفالات التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق خلال الأيام الخمسة بين ٢٣ - ٢٧ من ذي القعدة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٥ - ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٧٦ م ، تحليداً لذكرى رئيسه الأول الأستاذ محمد كرد علي ، ووفاء له ، وتأكيداً على رسالة المجمع في الحياة المعاصرة .

وقد وافق ذلك عرفاً حميداً من أعراف المجلس الأعلى للعلوم في إحياء ذكرى عالم من كبار العلماء كل عام ، فكان أن احتفل المجلس في اسبوع العلم السادس عشر ، في الوقت نفسه ، بذكرى الأستاذ الرئيس علي أنه أحد العلماء الأعلام الذين كان لهم أثرهم في الحضارة العربية الإسلامية وأحد رواد نهضة البلاد في عصرنا .

وإذا كانت الوعكة الصحية التي ألمت بي طيلة أيام الاحتفال المذكورة قد حالت دون مشاركتي الفعلية في هذه المناسبة الفالية ، فإنه لي شرفني أن أقدم هذا العدد بهذه الكلمات ، راجياً أن يتاح للمجمع الاستمرار في أداء رسالته التي انشأ من أجلها ، ووضع اللبنة الأولى في بناء صرحه الأستاذ الراحل المؤسس ، وأن يكون في إحياء ذكرى هذا المجعبي الأول ، سابقة طيبة وسنة حسنة تحمل في الطيات أنبل معاني الوفاء لعلمائنا الخالدين . وفقنا الله وهدانا سواء السبيل .

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور حسني سبيع

حفل افتتاح اسبوع العلم السادس عشر(*)

خطاب الدكتور حنيني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

سيادة ممثل رئيس الجمهورية وزير التعليم العالي ، الزملاء الأماثل ،
سيداتي سادتي

يحتم عليّ الواجب قبل كل شيء أن أتقدم بوافر الشكر لرئاسة
مجلس الوزراء ووزارة التعليم العالي باسم مجمع اللغة العربية لما كان من
جميل استجابتها لرغبة المجمع في إحياء هذه الذكرى وإقامة هذا الاحتفال .
ومثل هذا الشكر لمختلف الهيئات الرسمية وغير الرسمية التي أعانتنا
على إنجازه .

والشكر كذلك للزملاء والاخوة الذين لبّوا دعوة المجمع ، وأخص
أولئك الذين تجشموا عناء السفر من أطراف الوطن العربي ، فأهلاً وسهلاً بهم
وبكم جميعاً مع أطيب التمنيات في الحلّ والترحال .

وبعد فإنّ افتراض الفرص لإحياء ذكرى مولد رجل عظيم أو وفاته
لسنة حسنة درجت عليها كلّ أمة لها من تاريخها ما تعزّبه ، ولها من سيرة
عظائنها ما ترتبط به . وفي ذلك كله معنى الوفاء ومعنى التقدير وفيه معنى
الموعظة والحافز لشجذ الهمم واقتفاء الأثر .

والمجلس الأعلى للعلوم الذي تعود أن يقيم سوق العلم هذه في كل

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٦

عام ويجمع العلماء والباحثين من عرب وأصدقاء ليبسطوا ما توصلوا إليه من بحث ودراسة في شتى آفاق العلم والمعرفة - يضيف إلى عمله مآثرة جديدة لا تقل عن مآثره الأخرى هي احتفاؤه بإحياء ذكرى أحد علماء الأمة على مثل ما فعل قبل في إحياء ذكرى ابن الهيثم وابن النفيس وابن زهر وغيرهم ممن كان لهم أكبر الفضل في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية .

ويجمع اللغة العربية بدمشق وقد حتمّ عليه الواجب أن لا يغفل عن إحياء ذكرى مرور مئة عام على مولد مؤسسه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي طيب الله ثراه وأمسكته فسيح جنانه ، قد التقى والمجلس الأعلى للعلوم في هذه المرة على الاحتفال بأحد الخالدين هو الأستاذ محمد كرد علي من الذين أبلوا بلاءً حسناً بل وتفانوا في خدمة الأمة في مختلف آفاق العمل المجدي والنافع ، فكان من بناء النهضة القومية التي ننعيم بها .

لقد كتب كثيرون من الكتاب والمفكرين مقالات ومجوثاً كثيرة في سيرة هذا الرجل العظيم ونشروا عديداً من الكتب وهم متفقون جميعاً على أنه : هو الكاتب المبدع الذي يكاد ينفرد بأسلوبه الخاص .

وهو المؤرخ البارِع مؤلف خطط الشام الموسوعة التاريخية الغنية عن التعريف . وهو الصحفي القدير والعفيف اليد الذي أسس أول صحيفة يومية معروفة هي المقتبس ونشر المئات من المقالات في صحف القاهرة عندما التجأ إليها .

وهو المؤلف الفذ الذي نشر كثيراً من الكتب

وهو مؤسس مجلة المقتبس التي أصدرها في القاهرة ثم انتقل بها إلى دمشق .

وهو الذي أنشأ وغذى مجلة المجمع ، فلا يكاد جزء من أجزائها يخلو من مقال له أو نقد أو تعريف .

وهو من أبرز دعاة الإصلاح ، لاقى في سبيله ما لاقاه من هجرة وتشريد واضطهاد وتقديم للمحاكمة في العهد العثماني .

وهو المحقق الثبت — إذ حقق الكثير من كتب السلف ورسائل التراث .

هذا إلى فضائل أخرى يندر أن تجتمع في شخص واحد .

إن هذه السجايا التي كانت للأستاذ الرئيس ليست كل ما صنعه في حياته من صنيع سيقى أبد الدهر ، إن له مزايا أخرى أستمح لنفسي أن أدعوها بالمزايا غير المدونة إذ قل من ذكرها له ، مع ما لها من الشأن الكبير .

لقد شب المرحوم كرد علي في الربع الأخير من القرن السابق وهو القرن الذي عرف بالانحطاط والظلم والاستبداد ، وقبض الله لهذا الشاب الموهوب من يديه سواء السبيل في جميع نواحي الحياة ، ذلكم هو الشيخ طاهر الجزائري الذي قال عنه الأستاذ الرئيس إنه صدر الحكماء ، وإنه من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم . فسار كرد علي على هدي أستاذه واقتفى أثره فأكثر من المطالعة في كتب السلف وقرنها بطالعه بعض المجالات التركية والفرنسية التي كانت تصل إلى يده فذب الوعي فيه وأخذ على نفسه إنقاذ وطنه بما آل إليه من فساد وتربى على يدي ذاك الأستاذ الجليل حفنة من المستيرين والمتقنين الذين كانوا يتحلقون حوله ويفترقون من معين علمه ، وانتهى الأمر بتلك الفتية اليقظة إلى تشكيل جمعية النهضة العربية — وكانت سرية في عهد السلطان عبد الحميد —

ثم أشهروها علنية بعد إعلان الدستور العثماني - وكان من أبرز أعضائها الشاب محمد كرد علي وكان لها أنشطة مختلفة ترمي إلى رفع مستوى الشعب وبث الروح القومية فيه بعد أن قضى عليها الحكم التركي بقسوته وجورده . وكان من أعمالها تأسيس مدارس ليلية لتعليم الأميين وفتح دور للقراءة والتزود بالعلوم العصرية التي كانت بحكم العدم .

ولقد أغنى الشاب كرد علي الذي كان في عداد هذه الفئة النابهة عمل هذه الجمعية بعد أن زار بلاد الغرب ولاحظ أن ما فيها من تقدم وازدهار هو نقيض ما هي عليه الحالة في الوطن .

وتجسّد عمله بإيفاد أول بعثة علمية إلى خارج القطر ، وأعاناه على ذلك صلته ببعض أثرياء هذا البلد الطيب الذين كانوا أصدقاءه وكانوا يتقون به بحكم ما ناله من شعبية منقطعة النظير فيما يكتبه في المقتبس ، الصحيفة اليومية المحببة إلى الجميع ، إلا الفئات التي تخصمه لأنها كانت تشايح الحكم الفاسد القائم .

لقد توفّق الشاب كرد علي بإرسال أول بعثة شعبية إلى بلاد الغرب كان من بينها الأمير مصطفى الشهابي والسيد الأستاذ عز الدين علم الدين التتوخي اللذين أصبحا بعدئ من رواد نهضة هذا القطر فضلاً عن عملها الجمعي المعروف .

ولا شك أيها السادة بأن هذه البعثة العلمية التي كان للأستاذ كرد علي اليد الطولى في فكرتها واختيارها وتنفيذها وتأمين أموالها وتوجيه أفرادها هي الأولى من نوعها في تاريخ هذا القطر .

وأعاد الأستاذ الرئيس الكرّة بعيد تسنّمه منصب وزارة المعارف في مطلع عهد الانتداب الفرنسي إذ قاد بعثة علمية حكومية في هذه المرة ،

قادها وصاحبها إلى فرنسا وهي تضم نخبة ممتازة من الشبان منهم الأستاذان
المرحومان جميل صليبا الذي درس الفلسفة فكان من أعلامها والأستاذ الأمير
جعفر الحسني الذي درس الآثار واهتم بصيانتها والتنقيب عنها .

ولا غرو فقد أسس المرحوم كرد علي في المجمع داراً للآثار كانت
نواة دار الآثار العامرة الحالية . وإن من أتبع له زيارة المجمع في ذلك
الحين كان يرى في باحة المجمع عشرات التماثيل الحجرية كما كان يرى في
غرفة الخزائن المغلقة التي تحوي الكثير من الآثار الصغيرة بما عني الأستاذ
الرئيس يجمعه بشتى الوسائل . وظل هذا المتحف جزءاً من المجمع العلمي
العربي عدة سنين وأشرف عليه الأمير جعفر الحسني بعد عودته من الدراسة
وبعد انفصاله عن المجمع ، ولم يكن هدف الأستاذ الرئيس إلا صون هذه
الآثار وحفظها من الضياع والسرقة لكي لا تتسرب إلى خارج البلاد شأن
ما كانت عليه الحال فيما مضى .

وعني الأستاذ الرئيس أشد العناية في اقتناء الكتب النفيسة من
مطبوعة ومخطوطة ، منها ما خص بها المكتبة الظاهرية ومنها ما جعله خاصاً
بمكتبة المجمع ، منها ما كان شراء ومنها ما كان استهداء من كبار أصدقائه
الأعلام من القطر المصري خاصة .

ولم يفت الأستاذ الرئيس تشجيع من يتوسم فيه الخير والجد والعمل
وما مطبوعات التراث في المجمع إلا بتشويقه وتشجيعه ، كما حفل في شأن
الشعراء النابهين فأقام لهم في المجمع حفلاً تكريمياً كان من أثر ذلك أن
أضحوا في عداد الأدباء والشعراء المرموقين في هذا البلد ، من أمثال المرحومين
أنور العطار وزكي المحاسني وعبدالكريم كرمي والدكتور جميل سلطان
أمد الله في حياته وقد رأى من الوفاء إعداد قصيدة بمناسبة هذا الاحتفال
وقد تضمنها البرنامج .

هذا ولن ينسى للأستاذ الرئيس أبداً ما بذله من جهد عندما تسنم رئاسة مجلس المعارف غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى قبل تأسيس مجمع اللغة العربية وبعده حين عمل مع من اختارهم فأحسن الاختيار من علماء أعلام أسهموا في إيجاد مسميات عربية حضارية للاستعاضة بها عما شاع وذاع على الألسن من ألفاظ أعجمية تركية في كثيرها أو عربية مشوهة ، وإن هذه الألفاظ المستحدثة سرعان ما تسربت إلى الأقطار الأخرى وهي تعد بالآلاف .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأحسن إليه بقدر ما أحسن إلى لغة القرآن وما زاد بقلمه عن حوض الإسلام ورد تخرص المتخرصين عليه واقتراعات المقترين .

وإنه ليجزن النفس حقاً ألا يكافأ هذا العبقري في حياته لأن المعاصرة أبت إلا أن تكون حرماناً وأن لا يفتأ جهال الناس يحسدون علماءهم وشرارهم يحسدون خيارهم .

بيد أن المجمع العربي بالأمس ، بمجمع اللغة العربية اليوم ، عمل ما استطاع على الوفاء لمؤسسه ورئيسه ما يقرب من ربع قرن فسعى واستجيب لمساعد من قبل أولي الأمر في تسمية أحد الشوارع باسمه وإطلاق اسمه على مدرسة ثانوية واعتبار هذا الأديب الكبير في عداد الأعلام الذين يدرسون لطلاب الشهادة الثانوية وإصدار طابع باسمه ثم إقامة هذا الحفل الذي أجدد الشكر في الختام لكل من أسهم في إنجاحه وتبليغكم هذه الدعوة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد محمد كرد علي (*)

خطاب الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي رئيس المجلس الأعلى للمعلمين

أيها السادة الجمعيون .
أيها السادة العلماء .

إنه لمن دواعي السرور أن نلتقي بكم في دمشق الخالدة ونحن نخوض معركة المصير لإرساء القواعد الثابتة لمجتمعنا ولتحرير اجزاء عزيزة على كل منا من وطننا العربي الكبير . وإن دل هذا الاحتفال على شيء فإنه يدل على أننا في قطرنا بدأنا نحكي ذكرى أولئك الرواد الذين أسهموا ببناء هذا الوطن فحق علينا وضمهم بالمكان اللائق والاعتراف بالفضل للسابق والالتزام بخط السير الذي رسموه والنهج الذي وضعوه . وإن التقاء اسبوع العلم والاحتفال بذكرى مؤسس مجمع اللغة العربية في بلدنا يعني في نفوسنا معنى جليلاً يلح علينا ويستبد بنا ، فقد كان محمد كرد علي أحد أعلام نهضتنا البارزين ، علمنا كيف نفيد من تراثنا لنفاخر بما حواه من ذخائر ، وعلمنا الحرص على سلامة لغتنا وصفائها . إنه جهد في أن تكون اللغة خالصة للفكر قادرة على التعبير عنه .

لقد تعود الذين يترجمون لكرد علي أن يتحدثوا عن المجالات التي أصدرها ، والكتب التي حققها أو ألفها . وفي اعتقادنا أن العمل الأكبر

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٦ .

والانجاز الأفضل الذي صنعه كرد علي إنما هو جمع اللغة العربية . إنه حين دعا اليه ، ونهض به ، وجمع العلماء فيه ، وأرسى تقاليدته ، وربط ما بينه وبين العلماء في الأقطار العربية المختلفة وما بينه وبين المستشرقين في الدول الأجنبية كان ينظر إلى بعيد ، كان ينظر إلى عمل أجلّ تتضافر فيه جهود العرب ، كل العرب ، على خدمة العربية وعلومها . فبفضل كرد علي شهدت أرض العرب وفي دمشق مولد أول مجمع عربي سنة ١٩٢٠ ، ثم جاءت القاهرة بعدها تنشأ جمعاً مماثلاً سنة ١٩٣٤ ، وتلتها بغداد في ذلك سنة ١٩٤٧ وأخيراً هاهي عمان تحذو حذو إخوتها فتنشئ فيها جمعاً هذا العام .

لقد كان مجمع دمشق ملتقى الكفايات العلمية الجادة ممثلة في أعضائه العاملين ، وفي أعضائه المراسلين ، وفي أولئك الذين يناصرونه ويدركون الأبعاد التي يتحرك فيها ، والغايات التي يتطلع إليها . من أجل ذلك جاءت الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الأسد لتبقي هذه الروح وثابة دفاقة وتبعث بها القوة والدفع من أجل تحقيق الأهداف إيماناً منها بأن مهام المجمع مهام خطيرة الشأن بعيدة الأثر ، مهام الدفاع عن كيان الأمة والحفاظ على وجودها ، وهي مهام لا تقل عن المهام المنوطة بمن يدافع عن الوطن بروحه ويدفع عنه بسلاحه ، وكما يحمي الجندي حدود بلاده بحمي المجمع حدودها الفكرية والنفسية .

أيها السادة :

مهما اختلفت النظريات التي تعالج مفاهيم قوميتنا فمن المؤكد أن اللغة العربية تبقى روحها ولسانها وعقلها ، وتبقى المشعل الدائم الذي يبدأ من أعماق الماضي ويستمر إلى أبعد آماذ المستقبل ، فاللغة العربية ليست واحدة من هذه اللغات المستحدثة ، والعرب يسوا هذه الأمة الجديدة ولا هذا التاريخ القريب . فوجودنا يمتد في ضمير الزمن إلى البعيد البعيد في الماضي

وبقاءنا سيستمر إلى البعيد البعيد في المستقبل ، وتظل لغتنا عنوان هذا الوجود وهي فكر العرب وحضارتهم ؛ إن في أحرفها وأصواتها ، ومفرداتها وتراكيبها ، وصورها ومجازاتها ، منبع عواطفنا وأفكارنا وتطلعاتنا .

لقد علمنا كرد علي أن ساحات العمل اللغوي هي نوع من الجهاد لا يقل بحال عن ساحات النضال الأخرى بل يفوقه ويتقدم عليه ، لذلك عندما كادت إحدى مؤسساتنا التعليمية أن تنحرف عن نهج التعليم بالعربية جاءت الحركة التصحيحية لتضعها في الطريق الصحيح وأجبرتها على الالتحاق بالمؤسسات الأخرى . وإنا لنفاخر بأن قطرنا جعل تدريس كل ضروب المعرفة وأنواع العلوم جميعاً باللغة العربية ، وإن هذه الظاهرة ما كان لها أن تكون لولا التعاون بين الجامعيين والمجمعيين فاذا جئنا نحتفل بذكرى محمد كرد علي فإن هذا الاحتفال يضعنا أمام مسيرتنا العلمية .

لقد كانت سيرة كرد علي سيرة رائعة وكان يميزها في جميع مراحلها الالتزام بقضايا الوطن وقد استطاع هذا الرجل العظيم أن يفي بحقوق هذا الالتزام في حياته السياسية وحياته الثقافية وحياته الفكرية .

إننا نتمنى أن تكون هذه السيرة مثلاً رائداً في أذهان أبنائنا وعقول شباننا ، وعليهم أن يعرفوا أن الانصراف إلى العلم وتغليبها على كل ماعداه هو السبيل إلى تكوين العلماء ، وأن حق الوطن على علمائه كبير وحق العلماء على أوطانهم كبير ، وعلينا أن نعمل جميعاً على النهوض بأداء هذه الحقوق .

أيها الأخوة :

في الختام اسمحوا لي أن أتوجه بالشكر لجميع الذين وفدوا إلى قطرنا لمشاركتنا في هذا الحفل وأعاهدكم على أننا في هذا القطر من الوطن العربي سنعمل لتكون أكثر وفاء لحركة القومية العربية المعاصرة في أعلى جانب من جوانبها .
وشكراً لكم جميعاً والسلام عليكم .

خطاب الدكتور مجي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

سيادة الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالي
الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية
الحفل الكريم

إنه لواجب أن أتجه بالشكر عميقاً إلى مجمع اللغة العربية الموقر في دمشق على دعوته الكريمة التي شاء ، فضلاً منه وكرماً ، أن يوجهها إلي فأظفر بشرف المشاركة في هذه المناسبة القومية الغالية ، مناسبة الاحتفال بالذكرى المئة لمولد رائد جليل من رواد اليقظة العربية ، الرئيس الأستاذ محمد كرد علي ، مؤسس المجمع ، وقائده ، والذي كانت حياته العريضة والخصبة ، ملحمة فكرية ونضالية رائعة : موقفاً أصيلاً من الحياة العربية وقضاياها ، ورؤية بصيرة لأبعادها ، ومعاونة واعية لمشكلاتها ، وإرادة صلبة ، وهمة شاحخة ، وسعيًا موصولاً ، وجهداً براء ، وعطاء ثرا .

وإني إذ أحيي ، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ذكرى هذا العالم والمفكر العربي العظيم ، فإني أحيي في الوقت نفسه جيلاً من روادنا الشرفاء رفعوا المشاعل ثابرين في وجه الظلام الفكري وحملوا الامانة قادرين أمام الظلم الاجتماعي ، وتأبوا مناضلين على القهر السياسي والحكم

الأجنبي ، وأحيي سورية العربية الثائرة الولود التي نبت على أرضها الحرة
عشرات من هؤلاء الأبرار الذين قادوا طليعة النهضة الحديثة .

وأحيي كذلك معنى باقياً في طبيعة الفكر العربي الخلاق ، هو
عبقريته الدائمة في الأداء والاستيعاب للمعاني المجردة وللظواهر المادية ،
وقدرته الفلابة على المقاومة ، وعلى الاستمرار .

ولعل في احتفالنا اليوم دليلاً أي دليل ، على أن اللغة العربية التي
حملت إلى البشرية رسالة السماء الخالدة الدين القيم ، الإسلام ، ارتبطت
بفكرة التقدم والعدالة والحرية . فقد كانت نهضة هذه الأمة العظيمة في
كل حلقات تاريخها المتصل رهناً بنهضة فكرها ، وإن قادتها في مختلف
العصور بدأوا من هذا المنطلق التاريخي .

وحياة الرئيس محمد كرد علي ، طيب الله ثراه ، تجسيد لهذا كله
فقد قاتل تحت لواء العربية في كل قطر عربي ، في وعي رشيد بقدرة الفكر
على تغيير الواقع . ولقد فطن في وقت مبكر إلى خطورة الإعلام وأهميته ،
فاتخذ من الصحافة ميداناً لنضاله السياسي والعلمي ليصل بذلك بين الحياة
العامة وهموم الجماهير العريضة من ناحية ، وبين الأجداد الشائخة في قيمنا
الأصيلة ، وبين متطلبات المعاصرة من ناحية أخرى تأثيلاً للأصالة ، وطلباً
للإبداع . فلقد استطاع رحمه الله أن يجمع في مرونة قادرة بين ألوان من
النشاط والمواقف وأن يؤلف بينها ، فهو يعكف على التراث تحصيلاً
لأمهاته ، واستيعاباً لشوارده ، وفهماً لأسراره ، وهو يعطف على الثقافة
الأوربية يجيدها ويتعمقها ، ويتنفع بضمينها ومناهجها ، ثم يعزز ذلك
بالمباشرة الحية الواعية والمحخصة فيطوف في أوروبا ، حيث تزدهر الحضارة

المعاصرة ، ويدرس طبيعتها وظواهرها ومؤسستها لتخلص له من كل ذلك رؤية صالحة للحياة العربية ، يظل يدعو لها في اصرار ويعمل في شجاعة وإيمان وقدرة ، ويتحمل في سبيلها التضحية بعد التضحية ويجوز المشكلة بعد المشكلة ، في تجرد وانكار ذات ، حتى تحقق في حياته بعض ما كان يحلم به . ولكنه ظل حيث هو عاملاً يعلمهم ويتعلم مدى الحياة ، مثلاً من أمثلة الشموع والالتزام ، فلم يعيش في عالم الكتب بعيداً عن حياة أمته ، ولكنه وصل بينها أخذاً وعطاء في تفاعل حيّ وخلاق .

فلم يتجمد في أجداد الماضي الذي نشر صورته العظيمة وكشف عن جوانبه المضيئة أحياءً للأمل في الصدر ، وحفزاً للهمم في الضمائر ، ولم يجر وراء بريق الحضارة المعاصرة ، يخلط خيرها وشرها وغشها وسمينها ، ولكنه وقف منها موقف الناقد المتخبر ابقاء على الشخصية العربية في كل خصائصها وجلالها تنتفع من كل جديد تضيفه إلى ما لديها من القيم الخالدة ، والفضائل الباقية .

لقد كان الرئيس محمد كرد علي أحد معالم المجتمع العربي والإسلامي الحديث ، وأحد صناعه الكبار ، وإن آثاره العلمية والأدبية ستظل شاهدة على عبقريته شاحنة في تاريخ الفكر العربي ، ما كان ، فيما يقبل من الزمان ، وان قصة حياته ستظل كذلك قدوة صالحة بما تنطوي عليه من صفات شخصية فادرة ، ولما ترمز اليه من معاني إنسانية نبيلة ، تلهم الجيل العربي بعد الجيل قيم الإرادة والسعي والعطاء والوفاء .

وإذا كان الموت - وهو غاية كل حي - يطوي الوجود المادي للأحياء ، فإن الوجود المعنوي يتجاوز الموت ويستعصي على الفناء ، فالحياة

تهب أبناءها الذين وهبوا لها حياتهم ، البقاء جزاء وفاقاً ، وإن الرئيس محمد كرد علي واحد من هؤلاء الذين يعيشون في ضمير أمتهم وفي فكرها المثبات والآلاف من السنين فسلام عليه في الخالدين .

وإلى رفاق دربه وزملائه من المجمعين الذين يواصلون المسيرة في خدمة اللغة العربية والفكر العربي كل التقدير ، على ما ينجزون ويعطون امتداداً للرسالة ، وأداء للأمانة ، ولهم ولأبناء الأمة العربية والإسلامية ، حيث كانوا ، حسن العزاء في الفقيد الباقي ؛ أنزله الله عنده منزل صدق .
والسلام عليكم .

خطاب الدكتور ابراهيم مذكور

رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية
رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة

كرد علي علم من أعلام النهضة السورية الفكرية والأدبية المعاصرة ،
ورائد من كبار روادها . والمجتمعات البشرية بين سير ووقوف ، بين
يقظة ونوم ، وما أحوجها في فترات وقوفها إلى من يبعث فيها الحياة
والحركة ، وفي أزمان نومها إلى من يوقظها وينشطها . وتجدد الأيام في
أمثال هذه الظروف بدعاة النهوض والتقدم ، ورسول الإصلاح والتجديد ،
وكانما خلقوا لهذا وأعدوا له .

ولا شك في أن كرد علي واحد من هؤلاء الدعاة المصلحين .
مليء حياة وحركة ، ومنع شجاعة نادرة ، أقدم بها ، في سن مبكر
غير هباب ولا وجل ، على ميادين الإعلام والصحافة ، وما كان أشقها
وأقساها في المقدين الأول والثاني من هذا القرن ، ويعد بحق أول رائد
في الصحافة السورية . وترؤود بزاد وفير من الثقافة القديمة والحديثة ،
عربية كانت أو أجنبية ، ففاص في مجورها وأخرج منها النفائس الكريمة .
وأعطى أمته وقوميته عطاءً سخياً ، دون نزوع إلى طائفية أو عنصرية .
وبرغم أن أباه كان كردياً وأن أمه كانت شركسية ، فإنه كان

مؤمناً بالعروبة إيماناً جازماً ، يعتد بأجادها ، وببهاي بآثارها الحضارية والإنسانية . ومن آيات عروبه أنه كان يتعصب للأمويين ويدافع عنهم ، ولعل هذا كان مظهراً من مظاهر وطنيته وتعلقه بالشام ودمشق عاصمة ملكهم ، وكثيراً ما حمل على الشموية والشعوبيين . ومع هذا لم يكن جامداً ولا مترمماً ، بل كان يدعو إلى التجديد في غير ما تطرف ، وإلى الأخذ عن الحضارة الغربية في غير ما عدوان على القيم والمبادئ الإسلامية ، وكان يحرص الحرص كله على الملاءمة بين القديم والحديث .

* * *

ومجال القول في كرد علي ذو سعة ، فقد كان صحفياً وسياسياً ، أديباً و لغوياً ، محققاً ومؤرخاً ، ويطول بنا الحديث لو عرضنا لجوانبه الفسيحة والغنية . وبميننا أن نقف قليلاً عند كرد علي في مجمع القاهرة ، وصلته بصر قديمة ووثيقة ، قصدها في فجر هذا القرن ، وتلمذ مع من تتلمذوا لمحمد عبده ، فشهد بحالسه ، واستمع لحديثه ودرسه ، وأشبع في القاهرة هوايته الصحفية ، فكتب وحرر في صحفها ، وبخاصة في صحيفة المؤيد ، وأنشأ مجلة «المقتبس» الشهرية وتابع إصدارها في دمشق ، حيث تحولت بعدد فيها إلى صحيفة يومية . وقضى في القاهرة بضع سنوات كانت مجال أخذ وعطاء ، وإفادة واستفادة ، وتعليق وتوجيه . وشاءت الصدفة أن تثار فيها حين ذاك فكرة إنشاء مجمع لغوي يطور اللغة ويحميها من المولد والدخيل ، وسبق أن أنشئ فيها بالفعل عام ١٨٩٢ ما كان يسمى « مجمع البكري » الذي لم يعمر طويلاً . ولكن الفكرة لم تمت ، وبقيت حية نشيطة في العقد الأول من هذا القرن ، ولعل هذا كان ارهاصاً في المقعد الثاني « لمجمع دار الكتب » في القاهرة ، وللمجمع العلمي العربي بدمشق . وقد عاصر

كرد علي هذا كله ، وعاش فيه ، ولم يكن غريباً أن يُختار أول رئيس لمجمع دمشق الذي ناضل طويلاً في سبيل دعمه ، وعمل جاهداً في نشر آثاره . وكان علي صلة بالملك فؤاد الأول الذي تبنى فكرة انشاء مجمع لغوي رسمي يحقق ما هدفت اليه المجامع الأهلية التي أشرنا اليها ، وفي لقاء بينها عام ١٩٢٦ شاء الملك أن يفيد من تجربة دمشق السابقة ، فقدم له كرد علي صورة صادقة ، ويمكن أن يعد بهذا بمن مهدوا لمجمع القاهرة .

وقد أريد بهذا المجمع يوم انشائه عام ١٩٣٢ أن يكون مجمع اللغة العربية أولاً ، قبل أن يكون مجعماً مصرياً فكتوّن من عشرين عضواً ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر قسمة عادلة بين العرب والمستعربين ، وبدا هيئة عالمية لا اقليمية ، ومؤسسة أمية لا وطنية . وكان بين العرب التونسي ، والبناني ، والعراقي ، واثنان من شيوخ السوريين ، هما المرحومان محمد كرد علي ، وعبد القادر المغربي . فكرد علي من المؤسسين الأوائل لمجمع القاهرة ، ومرحلة التأسيس من المراحل الدقيقة في حياة أي مشروع أو عمل : فيها توضع اللبنة الأولى ، وترسم الخطة ، ويحدد المنهج . وتنه جمعيو القاهرة لهذا كله ، ففضوا دوراتهم الأولى كلها تقريباً في وضع اللائحة الداخلية لمجمعهم ، بينوا فيها أهدافه ، وشرحوا نظم عمله ، وفرقوا في وضوح بين المجلس واللجان ، ورأوا أن الدراسة الحقة إنما تتم في قلب اللجان وعلى أيدي هيئة محدودة من الخبراء والمتخصصين ، وعلى هذا نسير حتى اليوم . فجمعوا في اختصار بين تجارب المشرق والمغرب ، وأفادوا من خبرة العرب والمستعربين . ولم يكن كرد علي بعيداً عن هؤلاء وهؤلاء ، فأثاحت له رحلاته المتلاحقة أن

يتصل بعدد غير قليل من المستشرقين المعاصرين ، واختير بعضهم ، بوحى منه في الغالب ، عضواً مراسلاً بجمع دمشق ، وأضحى علماً من أعلام الفكر والقلم في العالم العربي في الثلث الأول من هذا القرن .

قضى كرد علي في مجمع القاهرة نحو عشرين سنة ، زاملته في سبع منها ، وكان حريصاً الحرص كله على أن يشترك في أدوار انعقاده المتعاقبة ولم يتخلف عنها إلا لضرورة قاهرة . وكانت أطول مما تحظى به اليوم ، فكنا نقضي في مؤتمرنا السنوي وفي صحبة زملائنا العرب والمستعربين شهراً ونصفاً على الأقل ، وقد نزيدها أحياناً أسبوعاً أو أسبوعين . ولم يقنع كرد علي بالاشتراك في المؤتمر ، بل انضم الى عدد غير قليل من لجان المجمع ، فكان عضواً في لجنة الأصول ، ولجنة الآداب والفنون الجميلة ، ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ، ولجنة الإحياء والطب ، ولجنة الأعلام الجغرافية .

ولكرد علي إسهام واضح في مؤتمر المجمع ولجانه ، فألقى في المؤتمر بعض الكلمات ، وعرض بعض المقترحات ، ونشر في مجلة المجمع طائفة من البحوث . واستمعوا إليه في افتتاح دور الانعقاد الثالث يقول : « بتوفيق الله أتم هذا المجمع دور الرضاعة حولين كاملين ، واليوم يدخل دور الحضانة . يتعمده أولياؤه ببالح العناية ، ويربونه على نحو ما يربي الطفل في خير البيئات ، لأن حياته مما يهـم خمسة وستين مليوناً من العرب ... إن من عهدت إليهم الولاية على هذا الطفل يشعرون أنهم في حاجة إلى العون من كل قادر على تغذيته بما يربي غرائزه ، ويفسح في ملكاته كلما تقدمت به السنون ، تلك دعوة كريمة من مجعبي قديم ، يوم

٢ (٢)

أن كان مجمع القاهرة في المهد ، ولا نزال نوجهها اليوم بعد أن جاوز هذا المجمع سن الأربعين .

أما مقترحاته وبحوثه فمتعددة ومتنوعة ، فهو الذي وجه النظر إلى ضرورة الإجابة عن سؤالات السائلين واستفتاء المستفتين ، ودعا إلى نشر مقررات المجمع بين جماهير المثقفين ، ومتابعة ما يمكن أن يوجه إليها من نقد أو ملاحظة . وتلك ولا شك ثمرة من ثمار تجاربه طوال خمس عشرة سنة في مجمع دمشق قبل أن ينضم إلى مجمع القاهرة . وله بحوث أكاديمية مثل «عجائب اللهجات» ، وأخرى عملية تطبيقية كإحياء بعض الألفاظ المهملة ، واقتراح ألفاظ جديدة تسد حاجات العلم والحضارة . وهو في هذا أميل بوجه عام إلى إحياء اللفظ القديم السهل ، وفي اللغة كنوز لم يكشف عنها بعد . وكثيراً ما ندد باستعمالات حديثة سمرت إلى العربية عن طريق بعض اللغات الأجنبية شرقية كانت أو غربية .

ولنقف قليلاً عند بحث ألقاه في افتتاح مؤتمر الدورة الثانية عشرة ، بعنوان : « من عمل الجمعيين » ، وفيه مجموعة ضخمة في نحو خمسمائة كلمة فصيحة يقترحها نظائر لكلمات حضارية في اللغة الفرنسية ، ولم يخل من ملح وطرائف ، وفيه يقول في صراحة أخاذة : « المجالس في العادة تتناقش في المعاني ، ونحن معاصر الجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا أن نقصر مناقشاتنا في الألفاظ ، والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً ، وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر السبل ... ومع ما يلاقي الجمعيون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ، ويميزاً بمملهم كل من يبدو له أن يتسلى ... وغفر

الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلماً ، ونسبوا إليه وضع لفظ « الشاطر والمشطور والكامخ بينهما » لكلمة « سندويتش » ... وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال ألفاظ استظهروها ، يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر ... واذكر أن أحد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ . وكنت يومئذ آخذ الأدب عن أحد المشايخ وكان إماماً في اللغة ، وما ان عرضت عليه الجريدة حتى ردها ، وقال إنها لا تفهم بدون شرح ، وحاولت فعلاً شرحها على طريقة الكتب الصفراء ، وفي شرحي لها اختلط رأسها بذنبها ، وامتزجت حواشيا الأربيع بعضها ببعض . واذكر أيضاً أن أحد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري والفيروزبادي . والغالب أن معظم اللغويين يجارلون لأول أمرهم أن ييسروا على طريقة الشنقيطي أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات . وواضح أن كرد علي يعبر في كل هذا عن عصر مضى ، وأصبحنا نؤمن جميعاً بأن اللغة للحياة ، وحياتها في أن تلائم أذواق الناطقين بها ، فتخف على مسامعهم ، وترق على ألسنتهم ، وتصدر عنهم ولا تقرض عليهم . وبهذا تستعيد العربية مجدها ، وتجيد مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى .

* * *

أيا السادة :

لقد قصرت حديثي في هذه الذكرى الكريمة ، كما رأيتم - علي

جانب واحد من جوانب كرد علي ، وما أكثرها ، ولا أزعم أني وفيت هذا الجانب حقه . وكل ما قصدت هو أن أشير الى صلة وثيقة وقديمة بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، عرف لها وزنها منذ البداية ، ولا تزال نعول عليها التعويل كله . وميدان البحث اللغوي فسيح ، وما أحوجه إلى أن تتضافر عليه الجهود ، وأن يضطلع به أولو العزم والقوة . واني لشاكر اصدق الشكر للسيد الدكتور حسني سبيح رئيس مجمع دمشق وللسادة أعضائه أن أتاحوا لي الفرصة لكي أؤدي الأمانة ، وأقول كلمة الوفاء والتقدير في هذه المناسبة باسم مجمع القاهرة . رحم الله كرد علي رحمة واسعة ، وأحسن له الجزاء على ما قدم للغة وأمتة ووطنه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الدكتور عبد الرزاق مجبي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي

السادة الأعلام

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فالمناسبة التي نحتفي بها من أكرم مناسبات العربية في جميع أقطارها ، ومن أجدرها بالاستجابة الحرّة المطاوعة من قبل أي متقف عربي ، ألم بنهضة العرب الحديثة وعرف الرادة الأوائل من أبنائها .

وإذا جاءت الشام في مقدمة الأقطار العربية الرائدة لهذه النهضة - وهي بالحق كذلك - فإن المحتفى به يجيء في طليعة الرادة في هذا القطر ، فالاحتفاء بذكراد يعني أول ما يعني احتفاءً برادة القطر الشامي للنهضة العربية ، وتوابعها بحقيقة ما قدمته هذه البلاد للأمة العربية ، ويعني ثانياً الاحتفاء بأبي الرادة ومعلمهم الذي ثقت الشام به ، وبإخوان تماوروا معه الأبجدية الأولى من كتاب النهضة الحديثة .

أما العراقيون - وبينهم أعضاء المجمع العلمي العراقي - فحين تلقوا الدعوة لهذه الذكرى - أكبروا في الشام روح الرعاية العلمية ، لذكرى جدية بالرعاية ، وقدروا أن في مشاركتهم بعض الوفاء لشخصية سبق أن آثروها بالعرفان وبالتقدير ، في كتب وبحوث عادت جزءاً من تاريخ الرجل ومعلم شخصيته .

فإليك ، أبا المجمع ، منا الاجلال والتقدير والعرفان بالسبق إلى إبداع الروح المجمعى ، وتقديم المثال الرائع في ذات مجمع دمشق الخالد .

أيها السادة

لو أن علماً من أعلام الأمة يغني عن تعريف لكانه الرئيس المحتفى
بذكراه ، ولو أن تعريفاً ضاق بالمعروف ووقع دونه وضوحاً وجلاء ،
لكانه التعريف الذي يورد تجليات لشخص محمد كرد علي ، فالرجل أجلي
من أن يعرف بقوم انتسب لهم ، أو قطر أقام فيه ، أو هيئة عمل معها

قالوا أبو الصقر من شيان قلت لهم

كلا لعمري ولكن منه شيان

ولقد قرأت سيرة الرجل وآثاره من قبل ، وأعدت قراءتها احتفالاً
بهذه المناسبة فكانت على جلالها من بعض مظاهر تأثيره في قومه ، وأثره
في النهضة الحديثة ، بل كانت المظهر المنظور لعالم غير منظور .

المظهر المنظور من سيرته أن أنشأ مجلة ، وأصدر صحيفة ، كانت
يومها من أمهات الصحف والمجلات ، والعالم غير المنظور الهيمنة المطلقة على
ما أنشأ والروح التي نُفِيت في كل حرف من حروفها ، وكل رأي
ضمته تلك الحروف .

العالم المنظور أن أنشأ مجعاً لغوياً ورأسه ، وغير المنظور أن كان كل شيء
في المجمع ، أو بدا وكأنه كل شيء في المجمع . العالم المنظور أن صادق
وخاصم ، وسالم وعادى ، وعاش حياته محارباً أو مجاهداً في أكثر من
ميدان ، خرج منها جميعاً بالظفر ، أو بالسلامة في أدنى تقدير ، والعالم
غير المنظور أنه لماذا كان كذلك ، وكيف تم له كل ذلك .

مفتاح شخصيته في تقديري اعتداده بنفسه اعتداداً ما كان يرضيه منها إلا بلوغ أبعاد الغايات في أكثر من مجال من مجالات الحياة ، ثم ما ساوره بأن ذلك من قدره القادر عليه ، والممكن منه ، لذلك تراه يعمل في ميادين موزعة على عدة اختصاصات ، بإيمان من قدرة تهيء له أنها قادرة على ولوج كل هذه الاختصاصات . يعينه على القناعة بما قدر لنفسه ، وأقدرها عليه ، دأب وحرص على أداء الواجب بوشك أن يبلغ به ما يبلغه المتخصصون الغارون المنقطعون لفرع من فروع المعرفة .

كان الرئيس محمد كرد علي فاعلاً بفاعلية ذاتية ، مريداً بإرادة لادنية ذاتية ولكنه فاعل بذاته لأتمته ، ومريد لمجتمعه بشخصه ، ومن هنا اختلط الأمر على بعض معاصريه وخلطائه ، فحسبوا فاعليته الذاتية أنها لغرض ذاتي وإرادته الذاتية اللدنية أنها لإرادة لمحض تحقيق غرضه ، فكثرت بذلك مناوئته وشائته ، وانبرى لحصومه بل لعذاته فئات تعمس في صفه ، بل فئات تسمى لتحقيق ما هو ساع إليه . ولو فهم محمد كرد علي - كما يجب أن يفهم - لانتقلوا من صفوفهم إلى صفه ، بل لو استطاع الرئيس أن يغير ما بذاته - وكان من الخير ألا يستطيع - نخلت حياته العلمية والاجتماعية من كثير من المتاعب ، ولتجنب المضايقات والمعوقات التي ألقاها المعوقون على طريق رسالته .

كان موسوعياً بأشمل ما تعنيه الموسوعية من معنى ، تنوعاً في المعرفة ووفرة الانتاج ، وبلوغاً بها الحد الذي تقع دونه همم الموسوعيين ، ولكن الموسوعية عنده لم تحيف الموضوعية التي يطالب بها العصر الحديث ، ولا التخصص الذي لا بد منه من أجل التوفر على أسباب الاحاطة .

ولقد توارد على صعيد دراساته كثير من المحدثين المتخصصين بالدراسات

الأدبية أو التاريخية أو الاسلامية ، فما وجدوه واقفاً من تلك القضايا ببعيداً عما وقفوا ، بل لم يجدوا فيما انتهوا إليه بالتخصص والموضوعية كثير فرقٍ عما انتهى إليه بالشمولية والموسوعية .

وكان الرئيس صحفياً يجيء العمل الصحفي في مقدمة أعماله ، والنعت به من أظهر نعوتة ، ولكنها صحافة الرأي لا الخبر ، وصحافة الدعوة إلى مهبثات الأحداث وإثارة أسبابها ، وليس إلى تسجيل الأحداث وما تسبب من حدوثها .

والفرق بالغ بين الصحافتين ، تلك صحافة مريدة قاصدة ، وهذه - إن صدقت - صحافة متلقية شاهدة ، وشتان بين أن تتربح الحوادث وترصدها ، وبين أن تمهد لها وترهص بها ، فأنت في الثانية مفكر مدبر ، وفي الأولى حاك مصور .

آمن بالعربية لغةً فدعا إلى تحريرها وتطويرها ، وصدق الدعوة بما نشر من آثار وحرر من أفكار ؛ وآمن بالعربية أمة لها شمائلها وخصائصها ومقوماتها فدعا إلى تحريرها وسيادتها ، وصدق الدعوة بكفاح سياسي مرير . وشفع الكفاح بالحجة التاريخية والسند العلمي فخرج من ذلك بها أمة من أرحم الأمم حين تسود ، ومن أقدرها على رد الحيف حين تساد ، وجلّى للمحب والشانيء أنها من الأمم الراقية ذوات التاريخ الحضاري ، المشهود له بالفضل على الانسانية .

آمن بالإسلام ديناً يعبد به الله وحده فطالب بتنزيهه عن شبهات الشرك وتجريده من طقوس الرهبانية ، وآمن به نظاماً حياتياً ميسراً يفرض العمل ويرفض العطل ويريد اليسر ولا يرضى العسر ، وقدر أنه والعلم ردفان ، وأنها للانسانية عونان ، تمش بها عيش سلام وتعاون وإخاء .

ذلك ، أيها السادة الأعلام ، غالب ما تهيأ لي من انطباع عن سيرة الرئيس
الرائد لا أدعي أنني استوفيت فيها جوانبه أو وفيت بها حقه ، وإنما هي
إمامة تعبر عما بلغت من سيرته ، وليس عما بلغت سيرته .

أبا الجامع ، ثم قرير العين بما خلد لك من ذكر ، وما كتب لك
من صالح عمل ، واهناً فإن جملة ما أسست وشيدت قائم يتسامى مع الأيام ،
بجهد نفر الصالح من تلاميذك وأبنائك في الجامعات وفي مجمع الخالدين ،
وإن الجامعات العربية علت لها صروح في كل صقع من أقطار أمتك ،
فتضاءت الأمية التي كنت تخشاها ، وانتشر العلم الذي نعمل على نشره ،
وأوشكت العربية تعود لغة علم وحضارة بل لغة لها في المحافل الدولية
قلم ولسان .

وأنت أيها الشيخ الجليل الرئيس الدكتور حسني سبح . من الله عليك
بالعافية ، ولا خلا لنا مجلس منك ، فبارك الله في سعيك ، ومدد عمرك ،
وكتب لك ولإخوانك في المجمع نائباً وأعضاء وأميناً سعادة العيش ، مع
أقصى ما ترجون لمجمعكم وأمتكم من تقدم وتوفيق .

وفي ختام كلمتي أستاذة تحية وشكراً للسادة السامعين .

خطاب الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

سيداتي سادتي ، أيها الحفل الكريم

إنه لشرف كبير لي أن أشارك باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، في هذا المهرجان العتيق ، مهرجان الذكرى المثوية لميلاد الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي ، طيب الله ثراه وجزاه عن العروبة والإسلام خير الجزاء . وإني باسم مجمع اللغة العربية الأردني الفتي ، أقدم جزيل الشكر ، إلى مجعنا الرائد بدمشق ، حصن العربية الأكيد ، وحامل لوائها الخفاق في مجال تعريب العلوم والتقنية الحديثة . ونحن نعتبر أن هذا المهرجان ، الذي أقيم لتكريم ذكرى أحد علمائنا الأجلاء الذين كافحوا من أجل إعادة العربية إلى سابق مجدها ، إنما هو مهرجان للعربية ، لغة العلم والحضارة والتقنية الحديثة . فإلى شيوخنا الأجلاء ومن سار على دربهم تحية إجلال وتقدير واعتزاز .

لن أتحدث ، أيها السادة ، عن الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، لأنني أترك ذلك إلى الثقات ، بمن صاحبوا الأستاذ الرئيس والذين يسعدنا الحظ أن نستمع إليهم ، ونلتقي بهم ، ولكنني أود أن أقف عند جزئيتين مهمتين ، تراحمان أفكاراً كثيرة خصبة ، تثيرها مؤلفات الأستاذ الرئيس وتحقيقاته الكثيرة ، في حياته الطويلة المعطاء : إحداهما عامة والأخرى خاصة على مقياس .

فأما الفكرة العامة التي تلح على ذهني ، كما مررت بمؤلفاته ، فتمثل بتجسيد الأستاذ الرئيس رحمه الله ، مفهوم العروبة الحقة ، إنه المفهوم الإنساني الأصيل للعروبة المشرقة بجذورها الإسلامية العميقة ، التي تمدها بالحياة والخير والحصوبة . فالعرب مادة الإسلام وحمله لوائه ، والعربية لغة القرآن الكريم ، دستور الأمة الذي ينير لها الطريق ، وبالتالي فمن كره العرب كره الإسلام . هذه هي الركائز الأصيلة التي أسسها في شخصية علم من أعلامنا المكافحين في سبيل توطيد دعائم العروبة والإسلام . فقد رآني الأستاذ الرئيس رحمه الله أن يهدي كتابه القيم « كنوز الأجداد » مثلاً ، الى أستاذه الذي أشرب قلبه حب العرب على حد قوله . يقول في الإهداء : إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم ، صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، أهدي كتابي « كنوز الأجداد » . فقد هداه تفكيره الإسلامي العميق ، ونزعتة السلفية الأصيلة إلى التعالي عن النزعات الإقليمية والطائفية والعرقية . فانتقدتها انتقاداً مرأ ، وهاجها دون هوادة . كان يتحدث عن قضايا الوطن العربي ومشكلاته ، بروح المواطنة الحقة ، وهل المسلم إلا مواطن في دار الإسلام ، لا تحده حدود ، ولا تعيقه حواجز . ففي هذا الإطار الرحب نستطيع أن نفهم شخصية الأستاذ الرئيس ، وهو العراقي الأصل ، الكردي الجنس ، الشامي الموطن والولادة والوفاء .

كان الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، من أعلامنا المكافحين في سبيل وحدة العرب وتحررهم من نير الاستعمار والتخلف . وإن شعوره الأصيل بالمواطنة الحقة في ديار العروبة ، هو ترجمة حقيقية لعقيدته الإسلامية ،

وتأدبه بأداب القرآن ، وتفهمه لأسرار العربية . فالعروبة عند الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، ليست عروبة الدم والعرق ، إنما هي عروبة العقيدة واللغة والانتباه .

وأما الفكرة الأخرى ، التي أشرت إليها فهي حديثه عن جذور مجمع اللغة العربية الأردني : ففي الفصل الذي عقده بعنوان « كفاءة عمل » في مذكراته ، أشار إلى محاولة مبكرة لم يكتب لها النجاح في الأردن ، لتأسيس مجمع لغوي قال :

« أسس المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢١ م ، وعلى مصادف من مشبطات أنتج ما ساعدت بيئته على إنتاجه ... » ، إلى أن يقول : « وأرادت بعض الحواضر العربية أن تحذو حذو دمشق في تأسيس الجامع العلمية ، فجاءت مصر بعد أعوام ، فأنشأت مجمعها اللغوي . فوضع ألقاباً من المصطلحات العلمية الجديدة ، وبسط قواعد اللغة العربية . وكانت بغداد وعمان وبيروت تذرعت بمنزل الغرض الشريف . » إلى أن يقول : « واتفقت أن كان مجمع عمان ناقص التركيب لقلة الرجال فأخفق .. »

وها أنذا اليوم ، أيها السادة ، أفق باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، بعان ، لكي نحتفل بالإجلال والتكريم بالذكرى المئوية لميلاده . وإن روحه الطاهرة ستسر بالنجاح بعد الاخفاق ، بقيام مجمع « عمان » بعد اجتيازه تجربة مثمرة على مدى خمسة عشر عاماً من خلال اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر . فقد مرت أعوام كثيرة ، بعد إخفاق مجمع « عمان » الذي أشار إليه الأستاذ الرئيس رحمه الله ، ولكن في سنة ١٩٦١ تأسست اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، ثم تحولت

الآن إلى مجمع اللغة العربية الأردني . وسيكون من أولى مهام مجمعنا الأردني إن شاء الله ، أن ينضم إلى اتحاد الجامع اللغوية الشقيقة في دمشق وبغداد والقاهرة .

كان رحمه الله يتطلع بأمل إلى الحواضر العربية الأخرى ، لكي تنضم ، في سبيل الكفاح من أجل العربية ، إلى الجهود الحيرة التي تحتضنها دمشق الخالدة . لقد أدرك رحمه الله مع زملائه الأخيار ، أن الأمة لا يمكن أن تلاحق بركب الحضارة وتصل إلى الإبداع إلا من خلال لغتها القومية ، وأن العربية - من حيث هي لغة - مؤهلة لاستيعاب جميع المعارف الإنسانية ، كما برهنت على ذلك في تاريخها الزاهر عندما أصبحت لغة العلم والحضارة في العالم .

سئل الأستاذ الرئيس ، في يوم من الأيام ، عن أسباب نجاح مجمع دمشق ، فأجاب إجابة عامة بقوله : لأن أعضائه أخلصوا في خدمته منذ وضع أساسه . ونحن الآن نعتقد ، أنه إلى جانب هذا الإخلاص والتفاني ، فإن المجمع عرف بصيرته النافذة ، أن النظرية تبقى جوفاء حتى يلاها العمل . فانجهدت عناية المجمع بدمشق منذ البداية ، بأمور اللغة ، عناية فائقة ، في المدارس على اختلاف مستوياتها من الابتدائية حتى الجامعة . وانطلق إلى تحقيق أهدافه انطلاقة علمية صحيحة ، فاستعان بالأساتذة المختصين بجميع أنواع المعرفة وبذلك جمع بين القدرة اللغوية وبين الاختصاصين بفاهيم الألفاظ الفنية . وهكذا تحققت أيها الأخوة أول تجربة في تاريخنا الحديث لتعريب الطب والعلوم بجميع قرونها ، في جامعة دمشق الحبيبة ، فاحتلت دمشق الخالدة بجدارة وبحق مركز الريادة والقيادة

في معركة تعريب العلوم والتكنولوجيا الحديثة . ونحن نمتد أن حركة التعريب مرتبطة ارتباطاً عضوياً بحياة أمتنا وتقدمها . فقد أصبح من البديهي القول : بأن الإنسان يستطيع أن يستوعب بلغته القومية أضعاف أضعاف ما يستوعبه باللغة الأجنبية مهما تكن درجة إتقانه لهذه اللغة . وبالتالي فإن الأمة لا تستطيع أن تصل إلى حد الإبداع إلا من خلال لغتها القومية . وإن القول بالتعريب لا يعني مطلقاً إهمال اللغات الأجنبية ، بل على الضد من ذلك ؛ فإن عملية الترجمة والنقل يجب أن تكون مستمرة ومتوازنة من اللغات الأجنبية إلى العربية ومن العربية إلى اللغات الأجنبية . ونحن إذا رجعنا إلى تاريخنا العلمي ، وجدنا التجربة إياها ، ووجدنا دور الريادة للمدينة الحاضرة ذاتها ... أليست في دمشق الفيحاء بدأت حركة تعريب الدواوين وترجمة أمهات كتب الطب والفلك ... أليست في هذه المدينة ، حاضرة الخلافة ، بدأت حركة الانعطاف الحضارية في تاريخنا القديم . وها هي الآن تعود لكي تقوم بدورها التاريخي ، في جعل العربية لغة العلم والحضارة . فتحية إلى دمشق وتحية إلى جامعتها الزاهرة وإلى علمائها الذين أرسوا قواعد التعريب في كلياتها ومعاهدها .

إن المشكلة الأساسية ، التي يجب أن تواجهها مجامعنا اللغوية ، وجميع المؤسسات العلمية ، تنحصر بتمكين الإنسان العربي أن يعبر عن جميع حاجاته الحضارية في حياته اليومية ، وفيما يتعلمه بالمدارس والمعاهد والجامعات ، بلغة عربية فصحة ، حية وموحدة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وليس بحفظها في بطون الكتب .

أيها السادة ، لا أريد أن أثقل عليكم بجزيئات ، وإن كانت مهمة ،

ولكنني أود أن أؤكد على وحدة اللغة . فاللغة الأدبية موحدة بالرغم من عوامل التشتت والفرقة . فالنص القرآني كفيل بوحدها . ولكن الخطر الداهم الآن يتمثل بنشوء لغات علمية مختلفة ، مع الأسف ، في أوساط من يؤمنون بالتعريب . فهناك مصطلحات علمية في مصر تختلف عنها في سوريا وفي العراق وليبيا والأردن وهكذا . ويحضرني في هذا المجال مثال صارخ . فهناك مثلاً كتاب في الرياضيات الحديثة ، ترجم في مصر ، وترجم في سوريا ، وترجم في الكويت ، وترجم في العراق ، وترجم في الأردن . وفي كل بلد تستعمل اصطلاحات مغايرة للاصطلاحات المستعملة في البلد الآخر .

إن نشوء مثل هذه اللغات العلمية خطر على وحدة الأمة ، وتشتيت جهود علمائها .

هناك قضايا كثيرة ، يجب أن تواجهها مجامعنا اللغوية والمؤسسات العلمية والرسمية متعاونة متكاتفة . وإن سبل معالجتها والتغلب عليها تركز بصورة رئيسية على المواقف السياسية التي تتخذها الحكومات العربية . فإن الإرادة السياسية التي تركز على التنظيم والتخطيط هي العامل الأساسي في تعريب العلوم وتوحيد مصطلحاتها .

لقد قامت مجامعنا اللغوية وعلمائنا الأجلاء بجهود مشكورة ، ولكن مع الأسف ، بقي أكثرها محفوظاً في المكتبات وعلى الرفوف ، ولم يجد طريقه إلى الاستعمال . وواضح أن ذلك لا يعود إلى تقصير العربية ولا إلى تقصير هؤلاء العلماء ... ونحن نعتقد أن كثيراً من الإخفاق مرده إلى

هذه العزلة المفروضة ، بين النظرية والتطبيق ... بين الجامع اللغوية
والمؤسسات التعليمية والرسمية .

أيها السادة ، لا أريد أن أسترسل ، بإثارة قضايانا اللغوية ، ولكنني
أعتبر الإشارة إلى بعضها ، في هذا الحفل الجليل ، تكريماً لروح الأستاذ
الرئيس محمد كرد علي ، مؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق ، وأحد
الأعلام الذين تفتنوا في خدمة لغة القرآن . فإلى روحه الطاهرة الرحمة ،
وإلى ذكراه الإجلال والعرفان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ محمد بخت الأثري

عضو مجمع اللغة العربية في بغداد

وزير التعليم العالي المحترم

أصدقائي وأحبابي العلماء الأجلاء رئيس مجمع اللغة العربية
وأعضاء العاملين .

إخواني الزملاء الأشراف أبناء دمشق الميامين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قدمت فيمن قدم إلى بلدكم وبلدنا الطيب الجميل الساحر ، بعد فراق
طال أمده ، شيقاً إلى مباحجه ، محبوراً بلقاء أهله ، وسعيداً بالمشاركة
فيه في أمر جامع خطير - لا تقوم لأمة ما حياة حرة مستقلة سعيدة إلا به ،
ألا هو العلم ..

وقد يجمع الله الشئتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وإن من سعادي أن يكون حظي من المشاركة في « اسبوع العلم »
- وأنا أرجو أن يكون الأسبوع رمزاً إلى الدوام والاستمرار - تكريم
ذكري ميلاد قائد النهضة العلمية في هذا الوطن العربي الأصيل ، العالم
المجدد والمفكر المصلح والكاتب العبقرى ، صديقي الأمل ، الأستاذ الرئيس :

محمد كرد علي ، مؤسس أول مجمع علمي في بلاد العرب رحمه الله
وطيب ذكراه .

وأنا إذا نعت مع الناعتين هذا الرائد السابق الجليل بـ « الأستاذ الرئيس »
فإنما أعني رئاسته في العلم والإصلاح والجهاد والبناء ، ولا أعني رئاسة المنصب
كما عني مثل ذلك قديماً من قدروا نبوغ أبي علي ابن سينا فلقبوه : « الأستاذ
الرئيس » وكلا الرجلين إنفا رأس بعلمه ومزاياه ، وعلا المنصب به ولم
يعل بالمنصب . وكان الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أمة في رجل ،
لا ينازع في ذلك منازع ، وكان في عصره واحداً من العظماء .. بمن يصدق
عليهم في تاريخنا العلمي الزاهر قول أبي العلاء :

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة ، وهم بمد المات جمال الكتب والسير
وسيرة هذا الرجل الفذ ، سيرة يتجسد في مرآتها المثال الحي
للقدوة الصالحة في العلم والعمل ، في الطامح والانبعاث ، في الثورة على
الفساد والجد في البناء .

وتحيتها لصاحبها تحية لمجد علمي طارف أنشئه ، وتحية حياة عقلية مثلى
رسم طريقها ، وأقام عليه الصوى والمنارات الهادية .

وهي سيرة حافلة بالآثر يضيق هذا الموقف عن استيعابها ، ولهذا
آثرت في تحيتها الشعر رمزاً وإيماء ، والشعر - كما قال صاحب سلاسل
الذهب : البحري - لمح تكفي إشارته ، وإني لأرجو ألا أكون
فيما طوعته من مياستها للمح والرمز والإيماء ، قد أخللت بشيء من حقيقة
صاحبها العظيم .

الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الأستاذ محمد بهجة الأثري

وطنَ الشمسِ الأعلياءِ سماءِ
أكبرَ قدرِكَ للنسبِوعِ .. ترفُّفهُ
رعياً لآصرةِ الذِّمامِ ، وطالما
قتيلُ الجحودِ ، فكَمَ أكنُ ما ثراً ،
للهِ أنتِ ! رفعتِ شأنَكَ بأذخاً
هم أصلُ مجدِكَ في الحياةِ وسيرُهُ
في المحنةِ العظمى إذ كرتِ مُعظماً
لما طوى عادي المنونِ مثاله
وافيتَ محفلاً به متحقيقاً
إنَّ المواهبِ والمآثرِ والنهسى
رتبُ جلائلُ .. كلُّها صدق امرؤُ
تزينُ الموازينُ الرجالِ بنقلهم
أذمتَ أم أطريتَ .. لستِ بناقصِ
قلُ في الحقيقةِ ما نشاءُ ، فإنَّها

* * *

٣٥

أدِمْ مَشَقُّهُ! والدنيا دِمْ مَشَقُّ خَمَائِلَا
 ما حالُ زَهْرِكَ بعدَ بَيْنِ (محمد)؟
 كانت به الدنيا لَدَيْكَ وَضِيئَةً
 زهراء.. تضحكُ من تضحكك وجهه
 (قيس) الهوى.. يهواك عاش مُدَلَّهَا
 وجلاكِ (ليلي) في البلاد خريدة
 ناغاكِ فاردة الفُتُون ، ولم يُعَبِّ
 فيحاء ، ناضرة الإهاب ، شذِيئَةً
 تَضَرَّتْ خَافِقَهُ فَرَفَّ تَصَابِيَا ،
 وَرَكَتْ مَحْبُثُهُ ، فلم يَمْدُقْ بِهَا
 مَغْرَمِي بزَهْوِ الحُسن .. كلُّ كَرِيمَةٍ
 أَغْلَاكِ أَنْتِكِ حَرَّةٌ عَرَبِيَّةٌ
 وهواكِ من هذا الهوى في نفسه
 إنَّ العروبة في هواه مودَّةٌ
 إنَّ السذي رزق الشَّمائل خَصَّهَا
 هُنَّ العرائس في الحاسن ، لا تترى
 ساقتهُ إسلاماً ، ونُبُلَ حضارة
 روعاء .. قد ملكت حِجَادَ، فَرَفَّهَا
 أجرى بها القلمَ المُنْقَفَ ناطقاً
 يجلو مفتاينَ كلَّ شيءٍ عندها
 وإذا زَرَى فسلُّ شعويُّ الهوى

وجداولاً ومنازهاً وبهاء ،
 ووسامُ لُونِكِ .. هل ظليلنَ وِضَاء؟
 ترداد من قَسَمَاتِه لَأَلَاءِ
 وتَسْرُهُ وَيُسْرُهَا استهواوا
 غَنَى بِكِ الدُّنيا صباحَ مَسَاءِ
 تسي العقول وتَسْحَرُ الشعراء
 شيخاً تعشقُ غادةً حسناء
 أبداً تفوح شذِيئَةً فيحاء
 وتَعَشَّتْ ناسمه فِخْفُ زَهَاءِ
 ملقاً يشوب صفاءها ورياء
 في الكون يُغلي حستها إطرأوا
 تليدُ العلاء وتَنسِلُ العظاء
 يتجاربانِ براءةً ووفاء
 تَصِلُ القلوبَ وتَعطِفُ البُعْدَاءِ
 منه بأكرمها جَدّاً وغناء
 في أمّة أخرى لمن كِفَاءِ
 خلصت كسبوك النُّضار نَقَاءِ
 عطفاً ، وأغلى حُبّها إغلاء
 بالسحر يختلب القلوبَ أداء
 صُوراً كأوضح السَّماءِ رُؤاء
 أصلاه حاميةً اللظى حمراء

يُعطي على الأقدار كلاً حقه
جمعت إلى الأدب المصفى شهده
(عبد الحميد) يودّ حلوه بيانه ،
ضمّ الجديد إلى القديم بمازجاً
وأتى المعالي والمعاني غضة
وهفا إلى التاريخ ينفذ سره
ومشى إلى حرّم التّراث معظماً
وأعزّ ما بتت الأبوّة من على
أعظم بفظته وصدق بلائه !
أنضى الثمانين الطّوال جلادة
لثقي الألاقي الشّداد ، ولم يمين

* * *

أي امرئٍ عالي السّنا هذا الذي
الرّائد السّباق .. لم يكذب له
التّاهض الوتاب .. يمضي عزمه
الموقظ النّشوام من غفلاتهم
الألمعي .. يرى ظنونك صادقاً
المبدع الأدب الطّريف محمّلاً
الجامع الأعلام ، والمستنفر

* * *

في كل يوم من سنه ولاده
 ك (دِمَشق) جلوة غرّة زهراء
 كالشَّبَع من (بَرَدَى) تَدَقُّق سَلَسَلَا
 ك (الرَبْوَة) العَنَاء .. أعلت هامة
 ك (الغوطة) الخضراء .. مدت رفرفاً
 كسائها الضحياء .. رفّت منظراً ،
 كرياضها المستلطفات أناة ،
 كمروجها صدرأ على ضاحي السنا
 كنسيمها الثباني .. تنفّس وردّها
 كنعيمها الخضيل الينع ، ربا بها
 .. هذي المقاتن ، كيف أخلص زهوها

* * *

أمسيّد الصّرح العظيم .. تمرّت
 والنّاطحات الشّجب .. تقصّر دونه
 و « جنان بايل » تستظل بظله
 فنيت وتفتى والنّاطحات ، وعمره
 لم يبّن من زبر الحديد مناكبا
 .. أعليت في الوادي المبارك عرشه
 والعلم ، والفكر التواقب كالضحى
 آويتهنّ إليه فاستدرت به ،

شرفاته ، وتوطدت إرساء
 قنناً ، ويشمخ فوقهنّ سماوا
 متقاصرات دونه استحياء
 هو والخلود تلازماً ولقاء
 مصمماً ، وبينية جندل خرساء
 وجعلت ثمّ دعامته العلماء
 رُوْحاً له ، وشعارهنّ رداء
 وإليه لاذّ بيانه وأفاء

أمّ اللغات .. قوامها وبلاغها ، وكفى بها شرفاً له وعلاء

* * *

يا (بجمع الفصحى) الحبيب .. زها بها ، وزهت به ، وتقدّست أسماء
عجباً عجاباً ! مالُ زادك باخلُ ، ليكن زادك كالنهام سخاء
كتبُ تتابعُ سائرنا هنا وهنا على طول المدى سفراء
سبحاً بأفاق البلاد .. تتجوبها شهباً زواهر تحسر الظماء
من أين ذلك؟ وكيف عتلك ساحرُ يعشي العيون ويوهيم الأشياء !
لا والذي برأ الحقيقة عامه ، وأقام أعيان الوجود سواء
ما كان غير الصدق باعث همّة يُعطي من التزر الشحيح تراء
أرساك للقصد الشريف نبالة مرس تنخل رفقة شرفاء
دامت على الرسم القديم ، وأمعنت في الجهد إخلاصاً له وفداء
لا تأكل المال المرتب باطلاً ، وتثيبه المطوأة والشؤباء

* * *

يا باني العلياء .. بلّغت الرضا ، ورزقت فردوس النعيم حياء
في رقرق خضرة .. تضاحك منقسماً ، قدمته ، وتسامر الحنقاء ،
أرأيت غير الصديق يورث طيباً ، ويذيق من كرم الرضا صباء ؟
(المجمع) المعمور .. ذكرك عالق بسماه ، وبك استطال سماء
جبّلا (ديمشقي) .. (قاسيون) ثالث لهما رؤس قواعد وضحاء

* * *

أفتى (ديمشقي) وشيخها وعظيمها وأجل من أسدى يداً بيضاء

إن أنسَ ، لا أنسَ الوداد وخطوةً
 دياجها الكرمُ الصميمُ وطيبةُ
 خلقي خُصِصتَ به وعمِّ وفاؤه
 .. كرمتمَ لئدي معانياً ومغازياً
 أغليتَ سألني ناشئاً ، ورفعتَ لي
 أعززه بها ثقةً .. لو ان كفاءها
 ثقة .. وقفتُ حيالها متيمناً ،
 ذقتُ اللذادة من كفاحي بالئدي
 وطويتُ أدراجَ الطريق إلى المدى
 فلاوسيمتتكَ ، ما حييتُ ، ترحماً
 فتشَّ فؤادي .. ثمَّ فيه صحيفةُ

ألبستَنيها حلَّةً سيراءِ
 تتفقُّدُ البُعْداءَ والخلطاءِ
 كالشمسِ جللتِ الوجودَ أباها
 والسَّينُ دونَ جلالها عليها
 بين الأعظم في البلاد لواءِ
 روحي ، لجُدتُ بها عليك جزاءِ
 ساقَتِ مضائي أن يزيدَ مضاءِ
 أوحى ، ولم أبطر بها خيلاءِ
 ياليتَ شعري ! هل بلغتُ رجاءِ ؟
 يستنزل الرِّضوان والآلاءِ
 للأصفياء ، ترأسك الطُّغراءِ !

خطاب الدكتور عدي زنان النخيب

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

كانت الدنيا ثم كان الناس ، ثم كانت الأعراف والحضارات ، وبنيت كل جماعة من هؤلاء أمجادها ومفاخرها .

وتقلّب الناس في النعمى والبؤسى ، تقلب الجديدين على هذه الحياة الدنيا .

وكان لهم في كل بؤسى ونعمى مثل من نور يبتدون بيديها فيرعونها حقّ رعايتها تدمم بالنور إذا حزب الأمر ، وتهديهم سبلهم إذا دعا الداعي ليوم عصيب .

وكان من هذه المثل ، رعاية الأمم ، الأمم على اختلاف نصيبها من الحضارة ، لذكرى عظائها بناة مجدها ، والذائدين عن تراثها وقيمها ، حتى لقد غدا من أهم معايير هذه الحضارة وأدق موازين الأخلاق وفاء الشعوب لهؤلاء الصفوة من القادة المصطفين .

ومن أجل ذلك ، كانت الأمم العريقة كالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء .

وبوحي من هذه الحقيقة الخالدة ، وبهدي من هذه المثل الرفيعة كان
هذا الحفل الذي نشهده اليوم !

* * *

سادتي :

قبل مئة عام أنعم الله على دمشق ، لاحجب عنها ما عودها من نعم ،
بطفل ليس له في أصوله من دماشقة إلا واحد .

درج الصبي على أرض دمشق ، دمشق الطيب أهلها ، النمير ماؤها ،
الشذي هواؤها ، فاستولت على فؤاد الفتى وغدا أسير هواها .

شبّ الفتى ، وعرف أنّ النور شعّ من دمشق في يوم غبر ،
فأضاء صباحه ظليطلة علماً وحضارة ، ورقصت على سناه بالمجد بغداد ،
فهام الفتى بمدينته ، وغدا بها كلفاً ، يحب لها الخير كل الخير ، ويجاول
دفع الشر عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وغني قلب الفتى بحب دمشق ، فأوسع حب الشام كلها ، فاتسع
القلب للحبّ الجديد ، فدفعه ذلك إلى قصّ الخبر عنها في أيام مجدها ،
وفي أيام امتحن الله بها جلد أهلها على المكاره وإيمانهم بربوبيته .

وعشق الرجل الحرية فأنزله الغناء بها أرض مصر العظيمة ، مصر
الطيبة السمحة الكريمة ، ورأى الرجل قلبه يتسع من جديد للحب الجديد
فأحب مصر وأحب أهلها وتغنى بحامدهم ، غناء لا يعدله إلا غناؤه بما للعرب
من فضائل ، وبما في الإسلام من حقائق ، فوقف نفسه للدفاع عن حضارتهم
ولفتهم تجاه كل شعوبي وفاجر ، وآلى على نفسه أن يزود عن الدين ويردّ
شبهات الدفقة والمستشرقين .

هذا الدمشقي البار ببلده وبالأمّة التي اختارها الله لحفظ لغة التنزيل العزيز ، هذا الدمشقي الذي أحب الشام ومصر وكلّ العرب ، وكلّ الموحدين ، هو محمد كرد علي ، محمد كرد علي الذي نحتفل اليوم بذكرى مولده قبل مئة عام ، إنه المبصري الفذ ، والمؤرخ والأديب ، والعالم المصلح ، والصحافي اللامع ، صاحب الأسلوب البليغ والبيان الناصع المشرق ، إنه الرجل العظيم الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة يعتز بها ويمكن وراء كل جملة فيها دليل قاطع على واسع عمله ، وعمق تفكيره ، وصدق حبه للعرب والإسلام .

إنه الرجل الذي أنبتته دمشق فأعطاها قلبه وثمار قلمه ، وترك فيها المجمع الذي تمتاز به وتفاخر ، لأنه أقدم المجمع في بلاد العرب ، المجمع اللغوية التي تقوم اليوم لتحمي الفصحى من أعدائها ، ولتقنيها حتى تسير ركب الحضارة في عصر العلم والتقنية .

لقد انتقل محمد كرد علي إلى الرفيق الأعلى منذ نصف وعشرين سنة فهل عرف الناس فضله وحسن بلائه ، وهل وفوه حقه ؟

من صور الوفاء لهذا الرجل العظيم أن دمشق يوم وداعه زحفت باكية حزينة تشيعه ، ثم جنت على رفاته فضمها ثراها الندي مضمخاً بالعطر والحب والتقدير .

من صور وفاء دمشق أن محافظة المدينة أطلقت اسمه على بقعة من ترابها العزيز . وأن وزارة التربية في القطر العربي السوري أدخلت أدبه الرفيع في مناهج التعليم . وأن مواصلات الدولة البريدية جعلت رسمه يجوب آفاق الدنيا يحمل للناس ذكرى مولده لتتبع في صدورهم ما تهيج .

من صور هذا الوفاء أن نقابة المحامين ، نقابة الرجال الذائدين عن الحق العاملين على سيادة القانون ، فتحت صدرها وقاعتها لعقد ندوات احتفالاتنا هذه .

وكرم الفكر الإسلامي محمداً كرد علي يوم علت أصوات نفر من أعلام الرجال تشاركنا الاحتفال من عليكرة في المشرق إلى رباط الفتح في المغرب مروراً ببوادبست على نهر الدانوب .

وكرمه بجامع اللغة العربية واتحادها حين نذبت رؤساءها الأعلام لمشاركة مجمع دمشق مهرجانه .

وكرمت الدول العربية مجتمعة ذكرى ميلاد الرجل فأقبل على دمشق لمشاركتها احتفالاتها ، الشاعر الأديب والمفكر العربي الكبير مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ويكرمه المجلس الأعلى للعلوم في سورية يوم يدعو رئيسه إلى الاحتفال بذكرى مولد العالم المصلح والمؤرخ الثبت خلال اسبوع العلم هذا .

ونجتمع اليوم في بيت كان من أعرق بيوتات دمشق الخالدة للاحتفال بذكرى ميلاد الرجل الفذ برعاية السيد رئيس الجمهورية ، وهل من تكريم لهذه الذكرى أبلغ من هذا التكريم !!

للسيد الرئيس ولكل من شارك في تكريم مؤسس المجمع العلمي العربي آيات الشكر وخالص التقدير .

رحم الله محمداً كرد علي وطيب ثراه وجزاه كفاه ما قدم لأمته .

شامية محمد كرد علي

الأستاذ شفيق جبري

كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف ، فقبل له في ذلك فقال :
تردحم الأفكار في صدري فيقف القلم لتخييره . فلما حاولت أن يعضي لي
قول في الاحتفال بذكرى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله
في واسع رحمته ، تذكرت قول ابن المقفع فشمرت بازدهام الأفكار في
صدري ، فإن حياة الأستاذ مديدة الآفاق ، فلا يدري القلم بأي أذى
منها يبدأ ، وحسب هذه الحياة أن صاحبها عاش في عصر استفاضت فيه
حوادث السلب والنهب والقتل والمصادرات وقطع المناخير والآذان وظلم
الأبرياء والاستبداد والقضاء على كل حرية ، فضلاً عن طبقة من المشايخ
كان الأستاذ الرئيس يعتقد فيهم الجهل والفساد وسوء السيرة ، وخلاصة
هذا العصر ظلمات في سياسة الدولة وإدارتها وفي سيرة بعض رجال الدين
وفي تسلط الأعيان وقد لحص خصائص هذا العصر في فصل من فصول
مذكراته عنوانه : عيدنا الوطني ، فكيف يستطيع أستاذ مثل كرد علي
أن تملأ هذه الأمور عينه وأذنه وأن يغضي عليها أو يتغافل عنها ، ففكر
في سبيل الإصلاح وطريق المعالجة فلم يجد سبيلاً أرشد من الصحافة ،

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

فهي الأداة التي استعملها على نحو ما قال ه للمطالبة بالإصلاح وطرده لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة وبعث القرائح واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة .

لا شك في أن طريقاً مثل هذا الطريق في الإصلاح والمعالجة لا يدخل السكينة على قلب صاحبه ، فقد غالب الأستاذ الرئيس الدنيا وغالبته ، وبلا خيرها وشرها ، وذاق حلوها ومرها ، وانقلبت عليه وانقلب عليها ، ومارس الرجال ومارسوه ، ووقع في شرهم ووقعوا في شره . ومن قلب النظر في مذكراته اهتدى إلى نوع من الحياة لم يكتب لها الهدوء في أيامها ، ولكنه على الرغم من هذا كلته لما أشرف على الثمانين من عمره خاطب نفسه مخاطبة من لم يبال بكل ما مر به في سبيل الإصلاح فوجع إلى صفاء عقله فقال :

« يا نفس لا تغضبي ولا تعتبي فقد عمرت طويلاً ، ومتعت كثيراً ، وقتت بجهال الوجوه وجلال الطبيعة ، وهيمت بصنع الخالق والمخلوق ، واستكثرت الخللان والمعارف ، وسعدت إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم ، وإلى الرجاء أدنى من القنوط ، وإلى السرور أكثر من الغم ، وعشت في سلطان الرضا طيبة الطعمة لا يد لأحد عندك . »

لقد كتب لي من الاتصال به ما لم يكتب مثله إلا لقليل ، فكان وزيراً للمعارف مرتين ، فتهياً لي بعد طول المخالطة أن أقف على كثير من خصائصه ، على ظواهره وبواطنه ، على مزاجه وطبعه وخلقه ، ولكنني أتعدى هذا كلته في كلمتي وأحبس ذهني على ناحية واحدة من نواحيه ، علي

فرط حبه لأرضه وعلى ما نشأ عن هذا الحب من التغني بالذين أعطوا هذه الأرض ما وهبه الله تعالى لهم من فضله . وقبل أن أشرع في الإشارة إلى هذا الحب وهذا التغني أرى من الواجب عليّ أن أختص بالشكر الأساتذة الذين لم ينسوا محمد كرد علي ولم يغفلوا عن الاهتمام بذكره ، فكانهم أدركوا أن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، آخر عصر متصل بأول العصر الذي يليه ، يسلمه ما شاع فيه من المحاسن . وما يقال في اتصال هذه العصور يقال في اتصال رجالها على مختلف منازلهم ، فليس من الإنصاف في شيء أن يهمل عصر من العصور العصر الذي سبقه ، وليس من العدل في شيء أن يهمل رجال زمن من الأزمان التوبة بفضائل من سبقهم ، سواء اتفقت آراؤهم ومذاهبهم أم اختلفت ، فإن في مثل هذا الإهمال طمساً لحقائق التاريخ واستنكاراً للمحسنين إلى هذا التاريخ ، ونحمد الله تعالى على أن جمعنا لم ينس أول رؤسائه محمد كرد علي ، ولا ريب في أن تذكره إيثاره بدخل السرور على قلبه في عالم الغيب ، فلقد شكاه إهمال الناس لرجالهم من أصحاب الفكر والبيان الذين أنشؤوا ثورة العقول قبل إنشاء ثورة السيوف ، وأفصح عن هذه الشكوى وذكر أصحاب الأمر والنهي بفتة صالحة كانت من العاملين الممتازين فقال :

« نحن لا نوميء هنا إلى من لم يكونوا مع الثائرين في وقت من الأوقات ، بل إلى من كانوا مع الثائرين من البداية إلى النهاية وكانت عين الرضا متجلية على كل من حمل السلاح ، أما من شقت حياتهم في إعداد الأفكار للثورة الحقيقية ومهدوا السبل لإنارة الأفكار وجاهدوا سنين حتى لقتلوا الأمة معنى الوطن والوطنية والعرب والعربية فهؤلاء لاحظهم من التثويه لأنهم ما حملوا السلاح . »

لاشك في أنه يعني نفسه بشقاوة الحياة في إعداد الأفكار للشورة الحقيقية وتمهيد السبل لإنارة الأذهان ، ولا شك في أنه يعني نفسه بتلقين الأمة معنى الوطن والوطنية والعرب والعربية ، فإذا كانت نهضتنا الحديثة قد نسبت الأستاذ الرئيس محمد كرد علي فإن مجمعنا لم ينس رئيسه الأول الذي أحب أرضه وقومه أشد حبة ، وأوحى إليه هذا الحب ما أوحى من مقالات ومحاضرات وكتب أعربت عن منزلة أرضه وقومه في أعماق نفسه أبلغ الإعراب ومكنت هذه المنزلة من قلوب أهل عصره كل التمكين .

انتدبت الحكومة العثمانية الأستاذ الرئيس محمد كرد علي خلال الحرب الكبرى الأولى ليكون في جملة الوفد الشامي إلى الآستانة ، فودع غوطة دمشق في مقال كلته شعر . ولا مندوحة لي عن الرجوع إلى بعض مقاطع هذا المقال ، من هذه المقاطع قوله :

« وداعاً غوطة دمشق الفيحاء ، مجلى الطبيعة ومعنى الأنس وروضة الطيبات ومهبط التجليات ، سلام زكي كتربتك المسكية ، جميل جمال بسطك السندسية ، عطر كأنوار أدواحك الجنية ، وتحيّة طيبة تتساقط على عمرانك تساقط الوابل والطل على جناتك الغياء ، وحراجك الغلباء ، وأشجارك الملياء ، وغلاتك الكثيرة الإناء » .

وإذا تغنى في هذا المقطع بطبيعة الغوطة وأرضها فقد تغنى في المقطع التالي بطيرها وحيوانها فقال :

« سلام غوطة دمشق كلما غررت أطيارك فملك على المشاعر سجع الحمام واليام ، وهديل العندليب والفزار ، وتغريد العصفور والشجور ، كيف لا تستهوين النفس ونعيق الغربان ونعيق الضفادع إذا رددتها الصدى في

لياليك يفسرها القلب بمعانٍ لا نفهم منها في الكور الأخرى كما يفسر
في النهار ثغاء الماعز وجوار البقر وخوار الثيران .

إذا كنتُ قد حبست ذهني على أفق واحدٍ من آفاق الأستاذ الرئيس
محمد كرد علي ، على أفق محبة الوطن ومحبة قومه ، فما ذلك إلا لأنّ
الأستاذ ، نصر الله عظامه ، رأى في غوطة دمشق ما يراه بعض
الإفرنجية في مدنهم ، فإن مدن الوطن في نظرم إنما هي بمنزلة الكتب ،
ولكنها كتب مصوّرة ، يقرؤون فيها أخبار أجدادهم ويرون فيها صور
الأجداد ، إنهم يقدسون دور أحقر مدينةٍ من مدنهم لأن هذه الدور
قد أوى إليها الحبُّ والبغض واللذة والألم في قرون متوالية ، إنها
تحتفظ بأسرار رهبة وتعرف أشياء كثيرة عن الموت والحياة ، ولو كانت
حجارتها تتكلم لقات لأهلها أشياء تُضحك وأشياء تُبكي .

لقد فتن الأستاذ الرئيس بغوطة دمشق أعظم فتنة ، فإذا اعتزل دمشق
إلى ريفه في الغوطة ، إلى داره في قرية جسرين ، فإنما يعتزلها ليصغي
إلى أحاديث كتاب يجالسه إصفاؤه إلى حفيف الشجر وتغريد الطير وثناء
الغنم وجوار البقر ، فللغوطة في نفسه منزلة رفيعة ، فقد فتن بكل شيء
فيها ، فتن بخضرتها وطيرها وحيوانها وكثيراً ما سمعته يقول : لكل شجرة
من شجرها ولكل بقعةٍ من بقاعها منزلة في قلبي ، فقد كان يقضي فيها
بعض لياليه ويجمع فيها خواطره ويؤلف فيها مؤلفاته ، وهذا النوع من
التعلق بالأرض والحنو عليها والحنين إليها إنما هو الوطنية المجردة من
الجبجبة وأباطيل البيان لأن هذه الأباطيل تجعل الحبّ باطلاً ، فارغاً ،
فمن وراء متعطفات السواقي والأنهار ووراء الحدائق والأشجار بلاد الملوك
م (٤)

القدماء والقصور المصقولة كما يُصقل الجوهر ، فيذكرنا هذا كله وطننا القديم وما كان عليه في العالم ، فنشعر بفرط الحنو على هذا الوطن وهذه الأرض .

لم ألمح إلى ما ألمحت إليه من إفراط الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في محبة وطنه وقومه على شكل هادئ ، صافٍ ، إلا لأن هذه المحبة قد نشأت عنها مؤلفاته القيّمة وفي مقدمتها خطط الشام ، فقد أضاف بخط الشام إلى وطنيته الصافية قوميته الراسخة ، أي جمع بين محبة الأرض ومحبة من ملكوا هذه الأرض وتعاقبوا عليها أحقاباً طويلة ورزقوها ما أوحاد إليه أديبهم وعلمهم وفلسفتهم وحضارتهم . وما خطط الشام على نحو ما ذكره الأستاذ الرئيس في مقدمته إلا : « زبدة الوقائع والكوائن وأخبار الصعود والتدليّ والمظاهر الغربية التي ظهرت بها هذه الديار في غابر الأعصار » . فالأستاذ أحبّ أرض الشام ورجالها ، أحبّ كل عظائرها ، ولم يقتصر حبه على عطاء الشام وحدهم وإنما أحبّ عطاء العرب بأجمعهم على اختلاف ديارهم .

ولقد حمّله حبه للعرب وتفانيه بحضارتهم على أشدّ الدفاع عما تمّ على أيديهم من جلائل الأعمال ، ومن طالع تقده لبعض الكتب في مجلّة المجمع العلمي العربي شعر بشعوره القوي بالدين وبالقومية ، ولولا الخوف من الإطالة لتبسّطت في الاستشهاد بهذا الشعور .

أمّا في الدين فكان يكره الحشو والتفريق بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان وكان يتمنّى أن تكتب كتب الدين في عصرنا بأساليب أبي يوسف في الحراج والزخشي في الكشاف والغزالي في الإحياء وابن

حزوم في الملل والنحل ، وأما دفاعه عن القومية فكان يقف بالمرصاد لكل كاتب يُحس بأن في كتاباته عن العرب بعض الانحراف عن الحقيقة لتعصب أو لأمرٍ آخر ولا يهتم في هذا الباب أن يكون لهذا الكاتب صلة بأصحاب الأمر والنهي فكان شديداً على من تحدثهم أنفسهم بسلب العرب مزاياهم .

أفاحتاج كاتب من بلغاء الكتاب أو مؤرخ من كبار المؤرخين إلى أكثر من هذا الفضل لتخليده على ترادف السنين ؟ . وإذا كنت لم آت في هذه الكلمة الوجيزة على كل ما اختصه الله تعالى به من المحاسن فإني أكتفي بتلخيص هذه المحاسن في كلمة واحدة ، فإني أرى في « شامية » الأستاذ الرئيس محمد كرد علي جملة عبقريته وتفصيلها . وأحمد الله تعالى مرة ثانية على أن جمعنا ورجال هذا المجمع لم ينسوا منزلة الأستاذ العظيم الذي أضاءت عبقريته ظلمات الشام من بدء حياته إلى أن دخل جنة الخالدين .

في ذكرى العلامة محمد كرد علي

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

إن التغيرات السياسية الكبرى في التاريخ العالمي التي شهدتها العصور الغابرة ، قد جاءت نتيجة لفتوحات الحربية التي قام بها آنذاك الآشوريون والبابليون والفرس وفرضوا خلالها سلطانهم على شعوب أخرى غريبة عنهم . ونتيجة للتكاثر السكاني المتزايد فقد استعرت نار التسلط والهيمنة في جموع البشر . أما القادة الذين أنعم عليهم بالمقدرة فقد شقوا طريقهم إلى الانتصارات بجد السيف في خضم الحروب التي خاضوها . وكان كل نصر من تلك الانتصارات يراكمه بؤس وفاقاة الملايين ، وذلك إلى حين نهوض شعوب جديدة جوعى ومتعطشة للدماء ، تحت رايات قادتها ، لتطرد بالعنف والقوة حكامها الذين استولوا في حينه على مقدراتها بحكم الفتح والغزو ، مرسية في الوقت نفسه دعائم سلطانها القائم بدورده على القهر والعنف .

وفي مقابل هذه الحركات المتكررة على شكل موجات من التاريخ العالمي أخذ بعضها بخناق البعض الآخر ، فإن الاسلام يقف على طرفي تقيض منها بصفته نظام دولة . حيث ان الاسلام ليس اجتياحاً وهيمنة وشهوة في السلطان ، بل هو أسمى من ذلك بكثير ، إنه قوة معنوية

زاخرة جبارة ، استطاعت عن طريق الدين الخفيف أن تبعث الحياة من جديد في الامبراطوريات القديمة بواسطة تلك الحضارة الأصيلة التي انطلق بها العرب من قلب الصحراء المجذبة . ومن المعروف أن كلاً من الجيش البيزنطي والفارسي كانا مزودين آنذاك بأقوى وأفضل الأسلحة المتواجدة في ذلك الزمن . بينما لم يكن في أيدي العرب من الأسلحة إلا ما هو قديم ، بما درجوا على استعماله في حروبهم القبلية مثل السهام والحرب والسيوف والمقاليع . وخلال الحروب القبلية في الجاهلية لم يتطور فن الحرب وسوقيته ، حيث كانت الحروب تحسم عن طريق المبارزات والبطولات الفردية . والإسلام بصفته مجموعة تعاليم معنوية وخلقية كذلك فقد عود العرب على مزاوله فريضة الصلاة التي تقام بصورة جماعية ، وبطريقة تقرب من النظام العسكري ، وهي ممارسة تطورت في وقت لاحق لتغدو تدريبات سوقية في فن الحرب . ولقد استطاع الإسلام ، باعترافه بأنبياء اليهود والمسيحيين ، بل وبتقديسه لهم ، أن يوحد صفوف كل المؤمنين في معسكر واحد ، وهم الذين تمكنوا بقوة التعاليم الدينية المعنوية ، وبالرغم من تخلف مستوى تسليحهم الحربي ، من قهر الجيوش البيزنطية والفارسية والتغلب عليها . وإلى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية الأخرى ، فإن كون الإسلام بمثابة دين عالمي لكافة البشر هو العامل الرئيسي الذي قاد خطى أولئك العرب الذين كانوا في حينه فقراء إلى تلك البقاع الحصبة والغنية ، بمن أعلن أهلها ، بعيد مقاومة قصيرة الأمد ، عن آيات الولاء طوعاً لا قسراً .

وهكذا فلم يكن السيف أو الشهوة في تملك الخيرات المادية الفانية هو الذي انتصر ، بل كان الانتصار لتلك القوة الروحية الهائلة التي جمعت

المسلمين في كل مكان يندفعون ويفتحون ، متسلحين بالتعاليم القرآنية الكريمة وناشرين كلمة الله . والآيات القرآنية الدفاقة المعاني والساحرة المباني هي التي أعلت راي الظفر للإسلام . ولا يوجد هناك أي كتاب قادر على منافسته في مجده هذا ، ولا تستطيع أبرع الترجمات له أن تجعل المرء يتحسس ، حتى ولو على وجه التقريب ، تأثيره ذلك . وكل إيمان وعلم المؤمنين إنما ينبثق من ثناياه ، وهم يرون فيه رائعة شاعرية أسمى من كل تقليد أو تشبيه ، وينظرون إليه كأروع إبداع في اللغة العربية . بل إن أولئك الذين ينظرون فيه نظرة العلم الموضوعي المحايدة ، بمحصين مضمونه ومحتواه ، يجدون أنفسهم مجبرين على الاعتراف بأثره الجبار . ومن معين هذا الكتاب الكريم اختار المؤمنون تلك الحقيقة الخالدة ألا وهي أن هذا الكون قد خلقته وتوجهه قوة روحية واحدة . وعلى هدي من هذا الكتاب تطور ونشأ المجتمع الإسلامي - العربي ، أحد أكبر إبداع التاريخ الانساني قاطبة . وهو يشتمل في ثناياه على مختلف علوم الفلسفة والعلوم الطبيعية واللغة وإدارة الحكم وتصريفه كما يتناول الإنسان ، مبتدأ التاريخ وخبره ، وطور عنه نظاماً للتشريع استطاع أن يملك ناصية المؤثرات الخارجية المتغيرة منذ ألف وخمسمائة عام ، مؤمناً في الوقت نفسه التوفيق الفردي للمؤمنين مع ممارسة المساواة في القوانين . كما ان نظاماً اجتماعياً شعبياً بكل ما في الكلمة من معنى قد نشأ على هدي من الشريعة ، التي تمثل أحد أروع إبداعات العقل البشري .

ولقد قام العرب بنقل العلوم الاغريقية والهندية إلى لغتهم الخاصة بهم ، وأنقذوا بذلك علوم المصور القديمة لتكون بمثابة ركيزة ترتكز عليها

النهضة الفكرية الأوروبية . ولقد اكتسب الفكر مجالاً رحباً في الإسلام عن طريق تفسير القرآن والاجتهاد في فهم مراميه . ولقد كانت حركة المعتزلة بمثابة التوجه المتوهج للعقل الإنساني ، إلا أنها لم تنزلق في منزلقات التطرف ، حيث إن المعتزلة يعتبرون أنفسهم أهل التوحيد والعدل . وهكذا فإن حريتهم الفكرية لم تحد بهم عن طريق المثل العليا الأساسية للأخلاق . وبما يسجل لهم أنهم اتخذوا من العقل أساساً لدرسهم وتجرهم وذلك في القرن الثامن الميلادي ، عندما كانت أوروبا كلها غارقة في ظلام السبات الفكري . وكانت الفلسفة في الإسلام قد انطلقت من الثيولوجيا ، أي من المسائل الخلقية ، وهو أمر لم يحدث مثله في أوروبا إلا عقب انصرام قرون عديدة ، حيث لم يجر التوصل فيها إلى الثيولوجيا العقلانية إلا عن طريق ترجمات كتب الفلاسفة العرب . ولا يزال هذا الفضل العربي تراثاً جيداً حتى يومنا هذا ، وكل مُشكّر له إنما هو متكبر لجادة الصواب ليس إلا . ولقد تجلت الروح العربية وتسمنت القمم عن طريق نقلها وتطويرها للمؤثرات الخارجية بصورة عقلانية هادفة ، تستند على مراقبة الطبيعة وعلى أخذ التطور التاريخي للمجتمع بعين الاعتبار ، خاصة وقد واكبت كل ذلك بتحسسها القانوني للأخلاقيات .

وعبر سيرة المجتمع العربي نلتقي بتلك الإبداعات الروحية الثرية التي أغنى بها كنز المعارف الإنسانية . فإلى جانب الثيولوجيا العقلانية ، فإن الأفكار القائمة على الحدس الشعوري قد شكلت معاً التصوف ، وقد قام الغزالي في أثره الخالد « إحياء علوم الدين » بخلق تناسق متكامل للتصورات الصوفية الأدبية الجياشة .

ولقد كان الغزالي مسلماً مؤمناً ، ولذا فقد تقبل الأمور التي لا يستطيع العقل إثباتها وتسجيلها كحقائق معترف بها . وتقوم نظرية الغزالي على فلسفة الأحاميس ، التي تتجلى من خلالها مخاوف الإنسان وإحساسه بالوحدة ، كما يتجلى فيها أيضاً يقين الانسان بأنه يعتمد على قوة عقلانية ومحبة له ، هي قوة الله ، التي يستطيع أن يستغيث بها من أعماق أعماق يأسه ، والتي لا حدود لرحمتها وعفوها .

والأدب العربي يفخر ، عن حق ، بالعديد من الإبداعات التي تمثل أموراً فريدة من نوعها . واقتصر هنا على الاستشهاد بذكر واحد فقط من بين الإبداعات الغزيرة والعديدة ، ألا وهو « مقدمة ابن خلدون » ، التي تشتمل على العلوم الطبيعية وعلم الأحياء ، والاشتراكية وكافة القضايا المتعلقة بها وبالاقتصاد والاجتماع على حد سواء ، وهي تقدم إجابات على كل الأسئلة المتعلقة بتلك الموضوعات بشكل يجعل الجيل الحالي يتقبلها بشعور من التقدير والعرفان .

هذه هي الأفكار التي جاشت في خاطري ، هنا في المجر ، وأنا أحيي الرأس إجلالاً أمام الذكرى العطرة للمثل والقدوة المغفور له محمد كرد علي تغمده الله برحمته الواسعة .

انطباعات عن محمد كرد علي

الأستاذ محمد الفاسي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله .

أيها السادة الكرام والعلماء الأجلة والزملاء الأماثل .

أحييكم باسم إخوانكم في الجانب الغربي من عالمنا العربي الإسلامي وأحيي دمشق الفيحاء من أختها فاس الزهراء ، وأعتبر لكم عن عظيم امتناني لإتاحكم هذه الفرصة لتجديد العهد لأصدقاء أعزاء ومشاهدة هذه النهضة الشاملة التي تتجلى في هذا القطر الشقيق ، داعياً المولى تعالى أن يوفق قادته إلى تحقيق أهدافهم لاسترجاع أراضيمهم المغتصبة وفي تعميم الرفاهية لهذا الشعب الكريم المغوار المتشبث بالعروبة في لغتها وفي ثقافتها .

وإذا كانت مناسبة إحياء ذكرى رجل عظيم من أبرز رواد النهضة العربية الإسلامية في هذا القرن هي الغاية من التقائنا هذا فإني أريد أن أحدثكم قليلاً عن وشائج القربى بين بلاد المغرب وبلاد الشام إحياء لما كان يعمل له الأستاذ الرئيس محمد كرد علي من توحيد كلمة العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

إنكم تعلمون أن المسلمين الأولين الذين فتحوا المغرب والأندلس كانوا من عرب الشام لذلك طبعوا أفكارنا في كثير من مظاهر الحضارة بالطابع الإسلامي . فمثلاً : عندما أسسوا المساجد الأولى ببلادنا جعلوا قبلتها إلى الجنوب كما هو الشأن في البلاد الشامية ، وذلك لتقائمه بدون أن يلتفتوا إلى الموقع الجغرافي حيث إن الكعبة المكرمة بالنسبة إلينا تقع إلى جهة الشرق . ولما تنبه المغاربة إلى هذا الخطأ صار المؤذنون في المساجد التي قبلتها إلى الجنوب يقولون بعد الأذان : تحرفوا بتحريفة الإمام يرحمكم الله . وهكذا الأمر إلى الآن في أعظم مسجد بالمغرب وأجلته : جامع القرويين بفاس الذي مر على بنائه اثنا عشر قرناً وسبعة عشر عاماً .

ومن جراء هذا سمي الجنوب بالمغرب القبلة وأهله بالقبليين . ولغة المغرب في كثير من مفرداتها شامية فنقول الخليب لا اللبن ونقول الانجاص لا الكمثرى . وفي عوائد فاس شبه بما شاهدته في هذه المدينة الخالدة مثل جعل نباتات الزهور في السطوح والشرفات . ومثل أسواقها المسقفة . وإني شعرت وأنا أجوب أسواق الحميدية وكأني بالقيسارية والطارين بفاس . وماء دمشق العذب كماء فاس النмир ، وحتى الطبيعة لها شبه ، حيث إن مدينة فاس تحيط بها بساتين الفواكه المتنوعة كما هو الشأن في غوطة دمشق . ويطل على جانبها جبل زالغ كما يطل قاسيون على هذه المدينة الجميلة . والذين رأوا منكم مدينة فاس لسوا هذا التشابه وهذا التوافق .

ومن أعجب الموافقات أن مدينة فاس كان يخترقها نهر من غربها إلى شرقها فعمدنا إلى تسقيفه ومد طريق عليه ، وهذا ما شاهدتم تفعلونه الآن .

وأهل المغرب في كل زمان كانوا يحنّون إلى هذه الديار الشامية
بمعناها الأعم القديم أي بما في ذلك مدن القدس والحليل فبذلك يحكي لنا
التاريخ مرافقهم في المشاركة في الحروب ضد الصليبيين وتطوعهم للجهاد في
صفوف البطل العظيم السلطان صلاح الدين . وليس كذلك من الصدف أن
هبوا في رمضان سنة ١٩٧٣ إلى الاستماتة مع إخوانهم في حرب الجولان
وتحرير القنيطرة الشهيدة وقد وجد عندهم نداء صاحب الجلالة الحسن الثاني
أيده الله استجابةً عامة لما عرفوا به من الميل العظيم إلى الجهاد في
سبيل الله .

أما التحدث عن هذا الرجل العظيم الذي نحى ذكرى ولادته الميمونة
على الأمة الإسلامية منذ مئة سنة مضت فهذا أمر لا تسعه الحطب لأن
الرجل ، مع بضعة رجال نبغوا في هذا القرن ، كان أكبر من كل ما يمكن
أن يذكر عن علمه وتأليفه وتأسيسه لأول مجمع في بلاد العرب . وذاك
أن الأمة العربية الإسلامية أنجبت في عصور حضارتها الزاهرة نبغاء في
كل ميادين المعرفة والفن . وكان المستوى الثقافي إذ ذاك يساعد على انبثاق
تلك العبقريات . ولكن محمد كرد علي وشيوخه من أمثال محمد عبده
وطاهر الجزائري وشيخ الجميع جمال الدين الأفغاني ومعاصري محمد كرد علي
من أمثال الأمير شكيب أرسلان والشيخ رشيد رضا - كل هؤلاء برزوا
في عهد انحطاط وجمود تقاعست فيه الهمم عن متابعة أعمال أسلافهم
وتشبثوا بقشور العلم ، وابتعدوا عن الروح الإسلامية الصافية وتعلقوا
بالخرافات والبدع . وقام هؤلاء الدعاة والمصلحون ينادون بإصلاح الأوضاع
في كل الميادين الدينية والثقافية والسياسية .

وقد كان لمحمد كرد علي نصيب وافر من هذه الحركة المباركة الجبارة وإن كنت أنا شخصياً لم أحظ بعرفته لأن الفترة التي كان يمكن أن ألتقي فيها به كانت ونحن نكافح في سبيل استقلالنا . ولكننا كنا تغذينا بما كان يصلنا من كتبه ومقالاته . ويعتبر ، مع من ذكرت من رجال العرب زعماء الإصلاح والوطنية الحقة ، من المفكرين الذين أوقدوا شعلة الوطنية في نفوس شباب المغرب الذين تزعموا حركة الإصلاح والكفاح في سبيل الاستقلال من أمثال الزعيم الراحل ابن العم علال الفاسي ، والأستاذ محمد غانم ، والأستاذ عبد الحائق الطريسي رحمهم الله .

ونجد في كتابات كثير من رجالنا الاعتراف بفضل محمد كرد علي على تكوينهم . وقد قرأت لأخيها وزميلنا في الجامع العربية الأستاذ عبد الله كنون شافاه الله صفحة بديعة في التنويه بأثر محمد كرد علي عليه . ولا ننسى أن الشبان الذين خاضوا ميادين الكفاح السياسي والثقافي في البلاد العربية تأثروا هم أيضاً بسيرة محمد كرد علي وأفكاره ومبادئه .

ولعل من أبرز ما عمل لخير الأمة العربية كفاحه في سبيل اللغة العربية ، ليس فحسب بتأسيسه لأول مجمع في العالم العربي ولكن بما كان ينشره من مقالات ومن دراسات في الجمعيتين الأبوين وفي مجلتيهما وفي غيرها من دوريات البلاد المشرقية . وإنه بمحبته للغة العربية وتعلقه بها لمثال صادق لكثير من علماء العجم الذين ثقفتهم لغة القرآن والذين هم نتاج البيئة العربية . ويحضرني في هذا الصدد قولة الفيلسوف العالم الفذ البيروني حيث قال : « لأن أسبباً بالعربية أحب إلي من أن أمدح بالفارسية » . يمثل هذه الروح كافع محمد كرد علي وقاوم مناوئيه في سبيل إنشاء الأداة التي يتمكن

بواسطتها من المحافظة على هذه اللغة وتصفيتها من الشوائب . وإن لنا في كفاحه هذا الذي سطر مراحل الدكتور عدنان الخطيب في كتابه « مجمع اللغة العربية في دمشق في خمسين عاماً » لعبرةٌ تحدونا إلى العمل المتواصل مع التيقن من بلوغ الغاية ، لأن التحدي هو مفتاح النجاح . وكأنني في قولي هذا أخاطب نفسي لأنني منذ سنين وأنا أسمى وأدعو إلى تأسيس مجمع مغربي يتخصص في دراسة الحضارة الإسلامية العربية في الجناح الغربي من العالم الإسلامي . وقد قرب أن ينبج الصبح عن هذه المؤسسة بفضل رعاية جلالة الملك العالم الحسن الثاني أيده الله . وإننا في طريق إتمام وضع القوانين التي سيصدر بها قريباً مرسوم ملكي رسم قواعد هذا المجمع وسيكون على بعد الزمان من مآثر محمد كرد علي ، وإن من سنّ سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وفضل محمد كرد علي في تأسيس أول مجمع في العالم العربي فضل كبير لأنه إذا كانت الجماع الأولى في العالم الأوربي وليدة اهتمام الملوك ورجال الدولة فإن المجمع الذي أسسه رحمه الله وليد فكرة رجل واحد لا ملك ولا زعيم وإنما عالم مفكر رائد .

وأريد أيضاً أن أذكر هنا أنه ليس من باب الصدف أن تكون سوريا هي البلد العربي الوحيد الذي تدرس فيه سائر المواد في كل مراحل التعليم باللغة العربية فذاك نتيجة هذه الروح المؤمنة بصلاحية اللغة العربية التي بثها في هذه البلاد محمد كرد علي . وقد لمّح إلى هذا سيادة الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم في كلمته الختامية يوم افتتاح الاحتفال بهذه الذكرى ، والاعتراف جميل بفضل رائدنا الجليل جازاه الله خيراً عن لغة كتابه الكريم .

وإن معهد التعريب الذي أسسته في سنة ١٩٦١ جامعة محمد الخامس لما كنت رئيسها هو كذاك وليد فكرة محمد كرد علي . وقد كانت وزارة التربية الوطنية دعت إذ ذاك إلى عقد مؤتمر التعريب حضره كثير من رجالات العلم والأدب العرب ، وكان لي شرف رئاسته ، وقد دعوت فيه إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية ، هذه القضية التي تشغل بال المسؤولين عن التعليم الجامعي والعلماء الباحثين ، كما تعرضت لأول مرة إلى مسألة الأرقام العربية التي يسمونها انكليزية وإن كان كل العلماء في العالم العربي اقتنعوا الآن بأصالة أرقامنا ، وأن الذي أدخلها إلى أوربا هو الراهب المسيحي الذي صار بعد ذلك البابا سيلفستر الثاني ، وقد تعلمها في جامعة القرويين ونقلها باسم Chiffres arabes كما لا يزال يسميها الأوروبيون إلى الآن .

أقول إن كانت هذه الحقيقة ثابتة عند العلماء المشاركة اليوم فإن للبلاد العربية التي تستعمل الأرقام الهندية لم تقدم بعد على إبدالها بالأرقام العربية . وأول من يتعين عليه أن يبدأ بهذا العمل هو سوريا معقل العروبة العتيد ، وما ذلك على هممكم بعزير ، زيادة على ما في ذلك من الاتفاق مع العالم بأسره الذي استعمل حروفنا ، ولثلاث تنقطع الصلة بالكتب القديمة فلا مانع من تعليم تلك الأرقام العشرة كما يفعل الأوروبيون بتعليم أبنائهم الأرقام الرومانية العديدة . زد على كل هذا أن استعمال الأرقام العربية يوفر على الشعب مشقة استعمال الطريقتين في لوحات السيارات وأرقام المنازل كما هو الشأن في مصر ، وفي المطارات وفي كثير من المناسبات للاضطراب لاستعمال الأرقام العربية مع الأرقام الهندية . ولي اليقين أن محمد كرد علي لو أدرك هذا الزمان واكتشف أن عرب المغرب حافظوا على هذه الأرقام

العربية ، لأنه في وقته كانت الصلات منقطعة بيننا بسبب الاستعمار ، لتسارع إلى الدعوة لاستعمالها .

وأخيراً فإن من آثار دعوة محمد كرد علي للعناية باللغة العربية والمحافظة عليها ونشرها ما عملنا له من إدخالها لليونسكو في الأسبوع الماضي كلفة عمل ، وقد صودق في مؤتمر نيروبي لهذه المنظمة على المرحلة الأخيرة من جعلها في مستوى واحد مع اللغات الأوربية الأربعة التي كانت لها وحدها هذا الشرف ، مع العلم أن اللغة العربية هي لغة العالم الثالث الوحيدة التي نالت هذا الشرف .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وجازاه أحسن الجزاء بما أسدى من خدمات للأمة الإسلامية وللغة العربية ، ووقفنا جميعاً إلى متابعة هذا الكفاح الشريف حتى تتبوأ في كل الميادين المقام اللائق بمجدنا القديم .

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لرجال مجمع دمشق وعلى رأسهم الزميل الرئيس الدكتور حسني مسيح شافاه الله وعافاه ونائبه الدكتور عدنان الخطيب وكل أعضائه الكرام على دعوتي للمشاركة في هذا المهرجان مهرجان الوفاء وتقدير العلم والعلماء ، كما أتوجه بالشكر لرجال الحكومة السورية وفي مقدمتهم الرئيس القائد حافظ الأسد والوزيرين الجليلين الدكتور محمد علي هاشم والدكتور شاكر الفحام وكل العاملين على إنجاح هذه الذكرى على ما أسدوه إلي من رعاية وحسن استقبال .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد كرد علي

من علماء العرب النخالدين

الدكتور ناجي معروف

الرئيس محمد كرد علي : شخصية فذة ، عديدة النواحي ، متشعبة الجوانب ، حافلة بجلاتل الأعمال ، ومن أهم أعماله ومزاياه في نظري بعد إنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق إيمانه بالعلم أساساً لكل عمل باعتبار ما يبني على العلم يبقى ويخلد ، وما لا يبني على العلم يزول وينهار ، وأمران آخران جديران بالبحث والدراسة :

أولها : أنه كان مؤمناً بالعربية وأهلها .

وثانيها : أنه كان يقف بالمرصاد للشعوبيين ، يرد طعونهم على العرب والإسلام ، ويفتد حججهم بحجج وبراهين لا يأتيا الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

ومن الحق أن أقول : إنني نشأت على حب محمد كرد علي في كتاباته وبحوثه وكتبه منذ عهد النشأة ، وأشربت مبادئه وآراءه العربية والإسلامية ، وردوده على الشعوبيين والمستشرقين المتعصبين على العرب والإسلام ، تلك الردود التي اتسمت بالبحث العلمي والرصانة في التفكير ، والتحري عن الحقائق ، والصفة بالنزاهة والإنصاف وعدم التحيز وبخاصة في كتابه : الإدارة في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية .

ومن هنا كان للمرحوم محمد كرد علي أثر كبير في نزعتي القومية ، وتوجيهي وجهة عربية إسلامية ، وكان لي مدرسة عالية تعلمت فيها الاعتزاز بالعرب والعربية ، والحضارة العربية ، والثقافة الإسلامية ، حتى أصبح رائدي البحث عن كل جديد في هذه الحضارة العربية العتيقة من حيث أصالتها ، ومن حيث عروبة المدن التي أنشئت عبر العصور ، ومن حيث عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في المشرق والمغرب ، وقد أثبت في كتابي الأخير وفي الكتب التي تنشرها لي وزارة الإعلام العراقية أن أرف العلماء المسلمين الذين يضافون إلى البلدان الأعجمية إنما هم من العرب الخالص .

وإذا كنت قد تطرقت في هذه الكلمة إلى ذكر العلماء العرب المنسوبين إلى المواطن الأعجمية فلأني وجدت وأنا أصلح الصفحات الأخيرة من « تجارب » كتابي الخاص بعروبة العلماء المنسوبين إلى الأرباع الأربعة في خراسان : نيسابور ومرو وهرات وبلخ . أن المرحوم محمد كرد علي أشار قبلي بزم طويل إلى عروبة اثني عشر عالماً من أعلام العرب المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في كتابه أمراء البيان ، وبحث في عروبة صاحب ابن عباد .

قال ، رحمه الله ، في عروبة الصاحب بن عباد (١) وكأنه يتكلم عن نفسه :

أجمع من ترجموا لابن العميد أنه فارسي من أهل « قم » ، ولا يفهم

(١) أمراء البيان ج ٢ ص ٥٥٠ - ٥٥١

م (٥)

من كونه فارسياً أنه من صميم الفرس ، فقد يسكن العربي قمّ وقزوین وشيراز ونيسابور والري وهو عربي بأصوله ، فينسب إلى البلد الذي نزله أو ولد فيه ، وما هو فارسي بالمعنى الذي نفهم به اليوم معنى هذه النسبة ، ولا يبعد أن يكون ابن العميد أو أجداده عربياً أقحاحاً ، نشأوا في تلك الأرض فنسبوا إليها . وقد حدثنا التاريخ بأن مئات من علماء المسلمين وأبناء الأنصار والمهاجرين هاجروا إلى البلاد التي فتحت على أيدي العرب في الشرق والغرب فنسبوا إلى أوطانهم لا إلى آباءهم كما كانوا من قبل ، فضاعت بذلك أصولهم .

وليس من المستحيل أن يكون غرام ابن العميد بالعرب والعربية موروثاً وتأصل فيه بالدرس ، وكلم من غريب عن هذا اللسان خدّمة خدّمة أبناءه الأصليين . وقد قال أبو الريحان البيروني ، وهو من خوارجهم ومن أعظم علماء الإسلام : « الحجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علمٍ نُقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودّ وجهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسماء الليلية » .

وقال ، رحمه الله تعالى ، في الهامش المرقم (١) من الصفحة ٥٥ من كتابه « أمراء البيان » :

« تُعلّم أصول من اشتهروا في فارس من العلماء بإلقاء نظرة على كتب الأنساب ، والوفيات ، وتراجم المحدثين وغيرهم .

فقد نسبوا صاحب الأغاني إلى أصفهان ، وهو أموي عربي »^(١)

(١) وفاته سنة ٣٥٦ هـ ، كتابنا عربوية العلماء ... في المشرق الإسلامي

- ونسبوا صاحب القاموس إلى فيروزآباد ، وهو بكري عربي (١) .
- ونسبوا القزويني ؛ صاحب آثار البلاد ، إلى قزوين ، وهو عربي من سلالة مالك بن أنس (٢) .
- ونسبوا ابن حبان البُستي ، صاحب التآليف العظيمة ومن طبقة البخاري إلى بُست ، وهو تيمي (٣) .
- ونسبوا أبا حيان التوحيدي إلى شيراز ، وهو من صميم العرب (٤) .
- وكان أبو داود السِّجِسْتَانِي ، صاحب السنن ، من الأزد (٥) .
- وأبو العباس النَّسَوِي ، مصنف المسند ، من بني شيبان (٦) .
- وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب المسند ، من بني قُشَيْر (٧)

- (١) وفاته سنة ٨١٧ هـ . وهو مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب شيخ الإسلام . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .
- (٢) وفاته سنة ٦٨٢ هـ . كان مدرساً بالمدرسة الشرايية بواسط . كتابنا عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .
- (٣) وفاته سنة ٣٥٤ هـ . كتابنا عروبة العلماء .. في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٧
- (٤) علي بن محمد ولد بشيراز (أوتيسابور) وتوفي سنة ٤١٤ هـ في رواية . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .
- (٥) وفاته سنة ٢٧٥ هـ . كتابنا عروبة العلماء في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- (٦) وفاته سنة ٣٠٣ هـ . وهو النسائي أيضاً . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨
- (٧) وفاته ٢٦١ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧

والهَرَوِي المفسر من ولد أبي أيوب الأنصاري (١) .
 وأبو الوليد النيسابوري ، فقيه خراسان ، أموي من ذرية سعيد بن العاص
 الأكبر (٢) .
 والفخر الرازي المفسر عربي (٣) .

وقال ابن قتيبة : إن خارجة بن مصعب هو من بني شجعة من
 ضُبَيْعَةَ ، وكان أفقه أهل خراسان وأرضاهم عندهم ، وعقبه بخراسان ،
 وكان أبوه مصعب بن خارجة مع علي بن أبي طالب ، (٤) .

ومع أنني حاولت أن أبحث في المشرق الإسلامي عن العلماء المسلمين
 الذين ينحدرون من أصلاب عربية فإني وجدت المرحوم محمد كرد علي
 يؤكد هذا الأمر ، ويجادل أن يؤكد أيضاً أن العربي هو من يحدق
 العربية ، ولو كان من أصول غير عربية . وفي هذا دلالة كافية على سعة
 أفقه ، ومبلغ تفكيره ، وتحريه عن علماء العرب واعتزازه بهم وإعجابه
 بلغة العرب . وإنك لتجد في محاضراته التي ألقاها في كلية الآداب بجامعة
 القاهرة سنة ١٩٣٣ م ، أي منذ أكثر من أربعين سنة ، تماير مختلفة تمّ كنها

- (١) هو أبوذر الهروي الأنصاري المتوفى سنة ٨٣٤ هـ . كتابنا عروبة
 العلماء ... في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .
 (٢) هو حسان بن محمد الأموي المتوفى سنة ٣٤٩ هـ . كتابنا عروبة العلماء ...
 في خراسان ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١ .
 (٣) وفاته سنة ٦٠٦ هـ . وهو عربي من سلالة أبي بكر الصديق . كتابنا
 عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .
 (٤) وفاته سنة ١٦٨ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٢١

عن حبه للعرب وإعجابه بهم ، وبحضارتهم وثقافتهم بله الدين الإسلامي الذي
بشروا به في العالم .

وإليك فيما يأتي مقتطفات من أقواله وآرائه التي دونها في الكتابين
المذكورين عن العرب والعروبة والحضارة العربية ، مفتخراً أو مدافعاً ،
أو مناقشاً للشعوبيين والمستشرقين مفتدأً لآرائهم بحجج ووثائق من تاريخ
العرب أنفسهم ، أو بأقوال من آراء المستشرقين المنصفين الذين أنصفوا
العرب والإسلام .

قال طيب الله ثراه وعطر ذكراه :

كان الصحابة (١) « عظاماً في كل مظاهرهم حتى أدهشوا الأمم بجميل
صنعهم ، وأنشأوا في نحو مئة سنة مملكة عظيمة لم يسبق لأمة قبلهم أن
دانتم في مثل ماتم على أيديهم » (٢)

وقال : « إن ما نقله العرب عن غيرهم من تراتيب الممالك معروف
ومعترف به ، والإنصاف يقضي أن يُسجل لهم قسطهم من الأعمال المنبغثة
مباشرة من قرائحهم المزيّنة بأخلاق عالية ، ما عهد ، فيما نظن ، مثلها كثيراً في
الأمم السالفة ولا الخالفة » (٣) .

وقال : يقول دريول Driault « .. كان الفتح العربي في طرفي
البحر المتوسط أعظم وأخصب من الفتح الروماني ، وقد دامت بمالكه
قروناً ، وكانت مصانعه أعظم أثراً من مصانع رومية ، وما هي إلا عنوان

(١) كان عددهم (١١٤) مئة وأربعة عشر ألفاً .

(٢) الإدارة في عز العرب ص ٦

ثقافة عالية جداً . وقد كان لهم الأثر المشهور في إسبانية إلى آخر القرن الخامس عشر « (١)

ويقول بارتلمي سان هيلير . « تَدَمَّتْ نفوس قساة الطباع من سادة القرون الوسطى بملابستهم العرب وتمازجهم بهم وعرف الفرسان بدون أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم شعوراً أرق وأشرف وأعرق في الإنسانية من شعورهم » (٢) .

ويقول لوبون : « . . كان للمدنية الإسلامية تأثير عظيم في العالم ، وتم لها هذا التأثير بفضل العرب ، بل المناصر المختلفة التي دانت بالإسلام . وبنفوذهم الأدبي هذبوا الشعوب البربرية التي قضت على الامبراطورية الرومانية . وبتأثيرهم العقلي فتحوا لأوروبا عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية ، وهذا ما كانت تحمله . وعلى ذلك كان العرب أساتذتنا مدة ستمئة سنة » (٣) .

ويقول لوبون أيضاً : حاول « رنان » أن يثبت عجز العرب ، في محاضرة ألقاها في جامعة السوربون عن الإسلام ، فنقض بيده كل مزاعمه ، فقد ذكر مثلاً أن ارتقاء العلم كان بفضل العرب خلال ستمئة سنة (٤) .

ونقل رحمه الله عن لوبون قوله : « لأصحابنا كولد زهير المجري ومركليوث الانكليزي ولامنس البلجيكي أقوال بعيدة عن محجة الصواب في الإسلام (وهناك) طبقة راقية تأخذ بمذاهب العلم والأدب وتفاخر

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٠

(٢) ن . م الجزء الأول ص ٨

(٣) ن . م الجزء الأول ص ٩

(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٠

إلى اليوم بمجد العرب وتاريخهم ، وتحرص على إحياء مدنيتهم ، ودراستها ، حرصها على إحياء كل علم نافع (١) .

وألقى المرحوم محمد كرد علي باللائمة على أولئك الذين أصدروا أحكاماً جائزة على العرب ومدنيتهم فقال : « ومنهم من أعمى التعصب المذهبي بصره وبصيرته فكال الباطل كيلاً ، وخط وخط تحت أستار العلم والبحث » (٢) .

وقال أيضاً : « إن من أعظم العائنين بتاريخ المسلمين المنكرين أثر العرب في الحضارة جماعة ... قد جعلوا همهم الأكبر ... تشويه بعض الحقائق الثابتة ... ومنهم ، بل من المقدمين فيهم ، مؤلف اسمه « لامنس » عاهد تاريخ الإسلام على مناقضته ، وتمحص للحط من قدر العرب منذ عرفوا بين الأمم (٣) .

ويذكر المرحوم محمد كرد علي الشعوبيين الذين ألفوا الرسائل والكتب ، وصنفوا المسامرات والخطب ، وراجت عندهم أسواق المباح والمقابح ، وناهضوا العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب ، وقاموا بنقصون من حضارتهم وتاريخهم ، لأغراض في نفوسهم لا تحفى على أرباب البصائر . ويقول : لهؤلاء الشعوبيين طرق غريبة في الحط من العرب ، يتناولون فيها كل مسألة تؤدي مباشرة أو غير مباشرة إلى العبث بزوايا تناصرت الأخبار على تفرد العرب بها (٤) .

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٤

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٤

(٣) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٠

(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٥ - ٣٦

ويقارن محمد كرد علي بين المستشرقين المنصفين وغير المنصفين منهم فيقول : إن « لامنس » الشعوبي البلجيكي يسقط من شأن مؤرخي العرب كما يسقط من شأن علماء الافرنج ، وبراون الانكليزي يقول : إن كتب العرب في التاريخ أوسع الكتب وأدقها ، ويرى أن التاريخ في بعض المؤلفات العربية لم يكتب على نسقه في أوروبا . ويذكر بالإعجاب ابن خلدون وابن الأثير ، والطبري ، والفخري وغيرهم . قال : وفي باب العلم والفلسفة والأخلاق نجد من المؤلفات ما لا يوجد له مثل (١) .

ويقول محمد كرد علي : شق على بعض الشعوبية أن تُنسب مزية للعرب فسلبوهم كل فضائلهم المحسوسة الثابتة في الإسلام والجاهلية . وشق على آخرين ، وهم معترفون ضمناً بفضل العرب ، أن يقوم العرب بقسطهم من خدمة الحضارة . وينقل من كتاب « أخلاق المسلمين وعاداتهم » لـGautier قوله :

لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية من فضيلة المساحة لم تكن تتوقع من أناس يحملون ديناً جديداً ... وما فكر العربي قط في أشد أدوار تحمسه لدينه الجديد أن يطفىء بالدماء ديناً منافساً لدينه (٢) .

ورد على كارادفو (٣) (Carra de Vau) فقال : أخطأ في قوله : إن معظم مدينة المسلمين قامت بعناصر غير عربية . وقال أيضاً : فاتة أن من دخلوا في الإسلام من الفرس والقبط والسريان

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٨

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٤٢

(٣) اسم كتابه « المفكرون في الإسلام » Les Penseurs de L'islame

والروم وغيرهم درسوا في مدرسة العرب وأخذوا لغتهم وثقافتهم ودينهم وعاداتهم . وإذا كان ابن سينا والغزالي والبيروني والرازي مثلاً أعاجم بأصولهم فهم عرب بتربيتهم وثقافتهم .. (١)

وحاول المرحوم محمد كرد علي أن يقتبس نبذاً من أقوال العلماء الغربيين في العرب فدوسن ما وافق رأيه في العروبة والعربية والإسلام ، فنقل عن كوستاف لوبون الفرنسي قوله :

« كان المسلمون من الشعوب الوحيدة التي حملت علم التمدن حقيقة ، وهم الذين فازوا وحدهم بنشر المواد الجوهرية من المدنية وأعني بها : الدين ، والمصانع ، والصناعة ، بين ظهري عناصر جديدة من غير عنصرهم » . ثم قال وتساءل لوبون أيضاً بقوله : « هل من الواجب أن نذكر أن العرب ، والعرب وحدهم ، هم الذين هدونا إلى العالم اليوناني واللاتيني ، وأن الجامعات الأوربية ، ومنها جامعة باريس ، عاشت مدة ستمئة سنة من مترجمات كتبهم ، وجرت على أساليبهم في البحث . وكانت المدنية العربية من أدهش ما عرف التاريخ ... وإن العرب هم الذين مدتوا أوروبا في المادة والعقل والخلق ... ومتى درس المرء ما عمل العرب ، وما كشفوه من العلم يثبت له أنه ما من أمة أنتجت مثل ما أنتجوا ولئن كان تأثير العرب في الغرب عظيماً فإن تأثيرهم في الشرق أعظم . وما من عنصر أثر تأثيره قط وإن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » (٢)

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٢

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٤

وذكر عن أحد علماء إيطاليا - رينالدي - قوله : « لماذا لا نسمع كلمة إعجاب بالشعب العربي العظيم الذي ترك في طريق المدينة آثاراً عديدة ، والذي حمل معه أنظم المعاونات ، وأجل الحدم للنوع الإنساني ؟ » (١) وقال بريس دافن الفرنسي في كتابه « الفن العربي » : « إنه بعد سقوط الدولة الرومانية لم يكن هناك شعب يستحق أن يعرف غير الشعب العربي ، وذلك أولاً لكثرة فحول الرجال الذين أخرجهم هذا الشعب العظيم ، وثانياً لما أحدثته في العالم فنونه وعلومه من التقدم العجيب مدة قرون عديدة » (٢) . ونقل عن كستلو قوله في كتابه قانون التاريخ : « كان التقدم العربي بعد وفاة الرسول عظيماً ، جرى على أسرع ما يكون فنشأت المدينة الإسلامية نشأة باهرة وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل النور العقلي ، وتمثلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة والفلك والكيمياء والطب والعلوم الروحية فأصبحوا سادة الفكر ... » (٣) .

ونقل عن لوثرروب ستودارد الأمريكي مؤلف حاضر العالم الإسلامي قوله : « ما كان العرب قط أمة تحب إراقة الدماء ، وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك أمة موهوبة ، عظيمة الأخلاق والسجايا ، توافقة إلى ارتشاف العلوم ... » (٤) .

ونقل عن كتاب إيقاظ الغرب للإسلام « لهيدي » قول « ليونارد » : ولقد وصلت المدينة الإسلامية عند العرب إلى أعلى مستوى من عظمة العمران

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٥

(٢) » » » » » ٥٦

(٣) » » » » » ٥٨

والعلم فأحيت المجتمع الأوربي ، وحفظته من الانحطاط ، ولم نعترف - ونحن نرى أنفسنا في أعلى قمة من التهذيب والمدنية - بأنه التهذيب الإسلامي ، ولولا مدينة العرب ، وعلمهم ، وعظمتهم في مسائل المدنية ، وحسن نظام مدارسهم لكانت أوروبا إلى اليوم غارقة في ظلمات الجهل ، وكيف ننسى الحسارة الفادحة التي جنيناها على آداب العرب ؟ بل الجناية التي جنيناها على العالم أجمع بتدميرنا عن جهل وغرور أوفاً من كتبهم ... » (١) .

ونقل عن غوتيه قوله : « إن محصول المدنية العربية في العلم على اختلاف أنواعه يفوق محصول المدنية اليونانية كثيراً ، ذلك لأن العِلْمَ العربي كان له أصول قديمة » (١) .

وبعد : فهذا يسير جداً بما دون (الأستاذ المرحوم) محمد كرد علي في دفاعه عن العرب ، والعربية ، والذب عن حضارتهم ، إما نقلاً عن كبار علماء الغرب المنصفين ، ومناقشة الشعوبيين منهم ، أو مما توصل إليه نتيجة دراسته الدائبة للدين الإسلامي والحضارة العربية ومزايا العرب والعربية . وقد رد بكل ذلك على منازع الناقمين على العرب والعروبة والإسلام . وإنك لترى أنه رحمه الله تعالى كان يتسقط الأخبار من أفواه العلماء ، ويلتقط كل ما هو حسن عن العرب ، ويدون كل صفة حسنة وصف بها العرب ، وينفي عنهم كل معيب وقبيح .

وإنني لسعيد جداً أن تتاح لنا هذه الفرصة لتكرار هذا الدرس البليغ الذي درسناه على هذا الأستاذ الكبير قبل أكثر من أربعين سنة ، وأن نحبي الذكرى المثوية لولادته ، وأن نكثر من الترحم عليه . فقد دافع عن الإسلام وعن العرب وعن لغة العرب ، وذب عن حضارة العرب ، وكان حقاً من علماء العرب الخالدين .

تحيةة دمشق (*)

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

يا قلب هليل وكبير! دمشق : جنة عبقرة
بدت لعيني منها رغم السحاب المكور
مشاهد مشرقات وأدور تهور
ازبنت وتحلت لها من المجد تاج
في كل عضو بجزهر من البدر مضر
ولم تزل في فواها تطوي الدهور وتنشر
قد عشت فيها خيالاً مع الوليد ابن بجر
يفو استيقاً إليها في عهد فتح و جعفر (١)
مصوراً ما تبدى من حنينا ، وتأزر
بريشة حملتها يد صناع نعيم
باللفظ حلي المعاني من الرشاقة يخطر (٢)

(*) القصيدة التي استهل بها الأستاذ الصيرفي بحثه التالي عن الأستاذ كرد علي .

(١) إشارة إلى السنوات التي قضاها الشاعر في تحقيق ديوان البحري .

(٢) الفتح بن خاقان ، والخليفة جعفر المتوكل .

وجئتُها ذاتَ يومٍ
 ترى الحقيقةَ عيني
 أرى الملائكَ فيها
 أرى الطبيعةَ تزهو
 لوحائِها رسمتها
 والماءُ في بردِها
 والخيرُ في غوطتها
 تفاحها كخدودِ
 وكرمها حانُ شعري
 والخورُ يعلوُ شيوخاً
 و«النَّيْرَبانِ» وشاحاً
 قد وثَّيَا في اتِّساقِ
 في كلِّ لونٍ بهيجِ
 بالجمالِ الموثقى
 دِمَشقُ آيةٍ مجدِ
 سماؤها في علاها
 فوقَ المآذِنِ تعلو
 وأرضها وراثها
 وأهلها من نقاهم
 والشَّيْعَرُ فوقَ لهاهم
 من كلِّ مُبدعِ شِعْرٍ
 وكلِّ كاتبِ نثرٍ

والعودُ ما زالَ أخضرُ
 مجلوبةٌ دونَ ميترَ
 بين الأناسيِّ تظهرُ
 فثأً يشوقُ ويسحرُ
 يدُ القديرِ المصورِ
 كفضَّةٍ تتحدَّرُ
 على الأفانينِ مثيرُ
 خجلي من اللثمِ تحذَرُ
 يدنو ليُجنِّي ويُعصِرُ
 على كواهلِ «دُمُر»
 فثانةٍ تتبخترُ
 بالزَّهرِ غضاً مُنورُ
 منه النسيمُ تعطرُ
 بينَ الورشاحِ المُحبَّبِ
 تغزُّو السَّيْنِ وتقهرُ
 تردُّدُ «اللهُ أكبر» !
 تسبيحةً تتكورُ
 تيرُ ، وميسكُ ، وعنبرُ
 وجهُ منيرُ متضمرُ
 يُصغي له كلُّ منبرُ
 رثى ، وغنَّى ، وصورُ
 بسبي العقولِ وبأسِرُ

وكلِّ صاحبِ فِكْرٍ في كلِّ فنٍّ تَبَحَّرُ
 وكلِّ عالمِ دينٍ هدى السبيلَ ونورَ
 وللبطولاتِ سِفرٍ مع الخلودِ مُسَطَّرُ
 من ثأرينَ أزاخُوا ليلَ الدخيلِ المُسَيَّرُ
 لكنَّ أحداثَ يومٍ من القطيعةِ أغبرُ
 قد حَلَّاني اعتسافاً عن سلسيلِ مقصَّرُ
 فمدتُ منها بقلبٍ من الأسي يتفجَّرُ
 بزفرةٍ تتسعَّرُ ومهجةٍ تتفطَّرُ
 كآدمٍ وهو يُقصي عن الجنانِ وكوثرُ
 كان انفصلاً ، ولكنَّ لم يستطعَ أنْ يدمِرُ
 مشاعرَ الحبِّ فينا أو يستبدُّ ويأمرُ
 دمُ المروبةِ فينا صافٍ ، ولن يتكدَّرُ
 مها اختلفنا فإننا أهلٌ ، وصهرٌ ، ومعشَرُ
 بين الجوانحِ أتمُّ - رَغْمَ المسافاتِ - حَضَرُ

* * *

وبعدهَ عشرٍ وخمسٍ من السنينَ يُقدَّرُ
 أنْ أستعيدَ خطايَ على ثراها الممطَّرُ
 والشَّيبُ جِللَ رأسي والشَّقْمُ في تجبَّرُ
 لكنَّ قلبي شبابٌ لما يشبُّ أو يكبَّرُ
 أرنو إلى كلِّ حُسنٍ باللحظِ وهو محيَّرُ
 إن رفرفَ القلبُ خففاً قام الحجي فتصدَّرُ
 وإنْ تقدَّمتُ باعاً قالِ السَّقامُ : تأخَّرُ !

ما ليلسقامٍ ومالي ! أنا على الحسنِ أسهره
الحسنُ كأسِي وخمري أصحو عليه وأسكره !

* * *

« فيحاء » جئتُك أسعى شعري صلاةً فؤادٍ
سعيَ الخبيجِ لمشعره من النفاقِ مطهره
نزلتُ في صبحِ فجرٍ طوى الأشقاءَ فيه
من المؤاخاةِ أسفره ليلًا كثيباً تعكّره
جلادُ عزمٍ وحزمٍ لـ « حافظٍ » ولـ « أنور »
صينوا كفاحٍ مريرٍ من التعجرفِ يشاره
وديدنا حفاظٍ لكلِّ شبرٍ مخرّره
وقاندا عزماتٍ إلى انتصارٍ مظفره
وكاننا صفحاتٍ من الخلودِ ستُذكره

* * *

يا مجمعي دمشقٍ عن الوفاءِ أعير
اخترتوني ضعيفاً بين الشوامخِ أظهر
في مجمعٍ - لرجالٍ بناةٍ فكرٍ - موقر
اخترتوني - حفظتم - فجئتُ أسعى لأسكر
والحره إن أسره يدٌ ، فدنّ يتنكر
أسرتُموني فعفوا إذا بياني قصره !

محمد كرد علي

نموذج فريد في ريادة تحقيق التراث

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

عندما بدأت المطابع العربية في الآستانة والقاهرة وبلاد الشام (كما كان يطلق عليها حينذاك) تدور في ريش وأناة في السنوات العشرين الأخيرة من القرن الماضي لتنتشر على الناس بعض ذخائر التراث الفكري العربي على قدر طاقة تلك المطابع في ذلك الحين ، وحين أخذت بعض دوائر الاستمراق في أوروبا على عاتقها نشر طائفة مما تيسر لها جمعه من تراثنا المجيد ، وقبل أن يحث القرن العشرون خطاه لتطلع شمسها بإشعاعاتها الجديدة غامرة الشرق بأعثة فيه نهضة جديدة ووثبة فريدة ... كانت سماء دمشق ، الفيحاء عاصمة الأمويين ومسرح جولات العلماء والشعراء والأدباء الذين ملأوا الدنيا نوراً ، تطل على الفتى الذي ولد - بعد أن مضى عام من الربع الأخير من القرن المنصرم - في مدينة دمشق وهو يحث خطاه ولما يبلغ بعد الرابعة عشرة من سنه حياته نحو ينباع الثقافة ومناجم كنوزها ومخابئ دررها سعياً وراء الحصول على كتاب أو صحيفة مما تنشر تلك المطابع ليقتنيه ليده ساهراً مع أنجمه يلتهم في نهم وشغف ما في الكتاب أو الصحيفة غير مهالٍ بإضعاف نظره أو إرهاب بنيتة ، وحين يضع ما بين يديه ليستسلم إلى

سنة من النوم ، تراود خياله قبل النعاس وخلال النوم صورة الكتب وهي مصفوفة على الأرفف التي شاهدها في بيت زاره وهو في السادسة من عمره لا يفقه من أمرها شيئاً وقتذاك ، ولكنه تمنى وهو الطفل الساذج أن يكون له في المستقبل من حياته مثل هذه الصفوف من الكتب .

وكان ثمة حلم آخر يراود خيال الفتى بعد أن كبر - بين حين وآخر - هو أن يستطيع بهذا الإدمان الدؤوب على الاطلاع في جلد عجيب والنهم الشديد إلى الاستزادة من كل طارف وجديد من العلم والمعرفة ، أن يشق - فيما بعد - طريقه إلى عالم هؤلاء الأعلام من رجال الفكر والأدب واللغة ليتسنى مقعده بين هؤلاء الأفاضل . وفي ذهنه مع هذا الحلم الكبير خيال آخر لا يبارحه لشخصية أعجب بها طفلاً وفتى وشاباً وشيخاً ، وحفظ لها في نفسه كل إجلال وتقدير ووفاء منذ رأى صاحب هذه الشخصية وهو يفد على مدرسته كمفتش ، فملك عليه حواسه ، واستولى عليه الإعجاب به ؛ فعاش هذا التلميذ حاملاً لهذا الأستاذ العالم هذا الإعجاب طيلة حياته وبعد وفاته .

كان هذا الفتى الذي لا تكاد المطابع أن تسد نهمه إلى القراءة الجادة هو « محمد كورد علي » أو « محمد فريد » كما أسماه أبوه ، والذي ولد منذ مائة عام أي في سنة ١٨٧٦ م . وكان هذا الأستاذ المفتش هو الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام (١) ، والذي انتقل إلى

(١) انظر الدراسة الواعية التي كتبها الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب وألقاها محاضرات على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ونشره المعهد المذكور في القاهرة سنة ١٩٧١

م (٦)

جوار ربه بعد حياة حافلة بكل مجيد من الأعمال في الخامس من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٠ ، أي قبل وفاة تلميذه الوفي باثنتين وثلاثين سنة . والذي كان يقول عنه هذا التلميذ : « أستاذنا الملامة الشيخ طاهر الجزائري في هذه الديار كالأستاذ محمد عبده في مصر » .

* * *

ومشى الفتى بعد ذلك مع القرن العشرين المشرق خطوة بخطوة ، يتسع أفقه بالتساع قراءاته لآثار أمراء البيان حتى يحقق حلمه الكبير فيتسهم بينهم مقعده المأمول ، كما تتسع رحاب البلاد لأدبه وعلمه ، وحين تضيق به بلده لظروف سياسية قاهرة ، تفتح له القاهرة صدرها رحباً ليعود إليها ثانية في إعزاز وتكريم ، فيشارك في تحرير الكثير من مجلاتها وصحفها ، ويلتقي فيها بطائفة من أعلام الفكر وقادة الرأي . ويصدر في القاهرة أوائل عام ١٩٠٦ مجلته « المقتبس » شهرية علمية أدبية على مدى ثلاث سنوات برزت فيها شخصية « محمد كرد علي » المحقق المعني بتراث العرب ، والرائد لنشر هذا التراث بطريقة علمية صحيحة ، إذ يعارض ما ينشره على عدد من النسخ حين يتبها له الحصول على ذلك . ويجمع طائفة مما نشر في مجلته من كنوز هذا التراث في كتاب يضم القسم الأول منها بعنوان « رسائل البلغاء » . وكما تبرز في هذا الكتاب شخصية المحقق العالم ، تبرز شخصية صاحب النوق الرفيع فيما يختار للتحقيق والنشر . وبين هاتين الشخصيتين تتجلى شخصية هذا الرجل الوفي لأستاذه الشيخ طاهر الجزائري فيقدم في كتابه ما قام بتحقيقه أستاذه لكتاب « الأدب الصغير » لابن المقفع .

ويقدم الطبعة الأولى لهذا القسم ، المنشورة في القاهرة عام ١٣٢٦ هـ

١٩٠٨ م بقوله : « خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من أهل القرون الأولى . وقد وقع الإجماع على أن عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكتاب كانا من زعماء هذا الشأن ، وأن أسلوبها أحسن أسلوب في إحكام ملكة البيان . كانت حكم ابن المقفع أول ما كتب لي الوقوف عليه من رسائل هذين الإمامين ، عثرت عليها في قسم المجاميع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية في مجموع كتب سنة ٨٤٤ هـ فنشرتها في مجلة (المقتبس) ، ثم نشر فيه أستاذي العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائري كتاب الأدب الصغير لابن المقفع أيضاً ظفر به في مجموع عند أحد أعيان بعلبك من بلاد الشام » .

ويحتم هذه المقدمة بالكشف عن الهدف النبيل الذي يقصد إليه من نشر هذه النوادر من تراثنا الخالد بقوله : « وإني لأرجو أن تكون هذه الأوراق خير مثال يحتذى المتأدبون في كتابتهم وأن يقع فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على ما يتمم بعض الأحكام على الحضارة العربية ، وأن يستخدمها الدعاء لإصلاح الأخلاق خير ذريعة بعاجون بها أدواء النفوس ، فيكون منها عموم النفع كلها كررتها السن الأنام ، وكرت عليها الأعوام والأبام » .

على أن صورة المحقق المدقق والحجة الثابت مع التواضع الشديد الذي لازمه طيلة حياته وظهر في كثير من مقدمات ما نشر من تأليف وتحقيقات ، لتظهر واضحة جلية - وهو يخطو من حياته عامه الثاني والثلاثين - حيث يقول في مقدمة هذه الرسائل ، وقد هاله ما وقف عليه في مخطوطة كتاب « المنثور والمنظوم » لأحمد بن أبي طاهر المحفوظة بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) قسم الأدب - من أخطاء وتصحيف وتحريف :

« ولغاية التحريف على كتاب المنشور والمنظوم (١) اضطرت مرة إلى حذف حمل برمتها والإشارة إليها أو أبقيتها على عثلاتها وأشرت إليها بعلامة استفهام إذا كان يفهم مع التحريف حاصل المعنى . إلا أن الغلط وقع في الأكثر في رسالة الصحابة وولي العهد واليتيمة » ... ثم يقول : « كنت أود لو قبض لي الرجوع إلى الأصل الذي نقلت عنه نسخة المنشور والمنظوم لأعارض عليها ما أشره اليوم في هذا المجموع عساني أسقط فيها على ما فات الناسخ الثاني ، ولعل ما تعذر عليّ إثبات صحته من عبارات ذنبك الصديقين المقدمين يتيسر لغيري من الباحثين العارفين فيرشدوني إلى أصل آخر أو يهتدون إلى وجه الصواب في هذا الكلام الطيب » .

وكان دستورده في تحقيقاته أن يثبت في المتن الرواية التي يعتقد أنها أقرب إلى الصحة أو ترجح عنده أنها كذلك ، ويبقى الاختلاف للحاشية ، وإذا أعجزه إثبات الصحيح في كلمة أو جملة أبقاها على حالها مع الإشارة إلى أنه توقف فيها ، ثم إصلاح بعض الأخطاء بالاستعانة بما تيسر له من المصادر ، وإبقاء ما لم يهتد إلى ما رسمه الناسخ متجنباً التخمين والاستنباط ما أمكن .

ولقد ظل هذا دأبه في السعي وراء الحقيقة ، وبحث غيره - في هذا التواضع الجرم - على البحث معه أو بعده ، والاهتداء إلى وجهها الصحيح السليم من كل شائبة . وهو خلق فريد في نوعه .

* * *

(١) ما ذكره الرئيس « كرد علي » عانينا منه نحن في الرجوع في تحقيقاتنا عند النظر في مخطوطة المنشور والمنظوم المحرفة تحريفاً غير معقول والكلمات الناقصة التي ترك ناسخها بياضاً في موضعها .

ونراه ، بعد أن نشر لابن المقفع أيضاً « الدرّة اليتيمة أو الأدب الكبير » بتحقيقه هو معارضةً على ست نسخ يقول - وقد وقع على يتيمة ثانية لابن المقفع كذلك - مظهراً لنا صورة العالم البصير والناقد الحبر بأساليب هؤلاء الأعلام ، والمطلع على ما كتب الأقدمون عنهم ، في سمت القاضي الذي يحكم عن علم وإدراك وروية في مثل هذه المشكلات :

« وقعت شبهة لبعض أهل العلم فيما إذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبل هي اليتيمة بعينها ، أم هي يتيمة ثانية لابن المقفع . ويزول هذا التناقض إذا لوحظ ما قاله إمام المتكلمين أبو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث وأربعمئة ، فإنه ذكر في كتابه إعجاز القرآن أن الدرّة اليتيمة كتابان : أحدهما يتضمن حكماً منقولة ، والآخر في شيء من الديانات . غير أنه يبقى هناك إشكال في أنه ليس في إحدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات ، كما قال الباقلاني . وإذا رضينا بالظن فنقول : إن هذا الاسم وضعه أناس لبعض رسائل ابن المقفع ، ومن هنا نشأ الاشتباه فمددها الناظرون . ويبعد أن يقال إن ابن المقفع سمى الرسالتين معاً باسم واحد لمخالفته في الظاهر لمقتضى الحكمة . ولو قلنا إنه سمى إحدى الرسائل ، فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ما قال . »

* * *

ثم نراه بعد أربعة أعوام من نشره للقسم الأول من « رسائل البلغاء » يعيد نشره من جديد في طبعة ثانية يقدم لها بقوله :

« نشرت القسم الأول من رسائل البلغاء وفيه ما عرف لعبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والحكم لأول مرة سنة

١٣٢٩ هـ = ١٩٠٨ م فوقعت موقع الاستحسان من رجال العلم والأدب وجهابذة الذوق السليم في كلام العرب ، وأقبل المتأدبون عليها حتى نقد المطبوع منها في مدة وجيزة . وها قد صحت العزيمة الآن على إعادة طبعها في هذا المظهر مضافاً إليه ثماني رسائل نادرة جعلت القسم الثاني من الرسائل ، وكانت نشرت أيضاً في سني مجلة المقتبس السبع الأولى ، ومنها ما نشره كاتب هذه السطور [أي محمد كرد علي] ، والآخر لبعض مؤازري هذه المجلة من الأعلام . وقد نظر الأستاذ سليم أفندي البخاري الدمشقي في رسالة الأدب الصغير واليتيمة لابن المقفع وعلق عليها حواشي وفوائد ، فمعظم الحواشي التي عليها هي له . وعارضت الأدب الصغير على الطبعة التي نشرها منها في العام الماضي (أي سنة ١٩١١ م) الأستاذ أحمد زكي باشا المصري معتمداً فيها على مخطوطين منها أثر عليها في إحدى مكاتب الآستانة وأثبت في الهامش الاختلاف بين النسخة البعلبكية والنسخة الاستانبولية . أما الرسائل الأخرى فإن الرسالة العذراء لابن المدبر ورسالة ابن القارح هما مما أسعدني الحظ بنشره ، ورسالة ملقى السبيل (١)

(١) ضبط في كتاب « تعريف القماء بأبي العلاء » (٤٣) : « ملقى » بما يؤيد سكون اللام لأن القاف لم تشدد . ثم ورد هذا التعليق في الحاشية رقم (١) من تلك الصفحة : لأن الربيع الكلاعي كتاب : « منابذة الأمل الطويل ، بطريقة المعري في ملقى السبيل » (انظر نصح الطبيب ٢ : ٧٩٩) . وفي مكتبة جامع الزيتونة معارضة أخرى للحافظ الكبير محمد بن الأبار القضاعي سماها : « مظاهرة المسعى الجميل ، ومحاضرة المرعى الويل ، في معارضة ملقى السبيل » وهي برقم ٤٧٩٩ ، وضبطت فيها كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتثديد القاف المفتوحة . وفي مكتبة الأسكوريال برقم ٥١٩ معارضة ثالثة لذي الوزارتين محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغامقي . ثم ضبطت القاف مفتوحة =

لأبي العلاء المعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني نشرهما الأستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي ، وكتاب انعرب في الرد على الشعوبية لابن قنينة نشره الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ، ورسالة رشيد الدين الوطواط والمنتخب من عهد أزدشير في السياسة نشرهما الأستاذ أحمد بك تيمور انصري ، وكتاب الأدب والمروءة لابن جناح الربيعي نشره الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي .

وها هو يرينا هنا صورة أخرى يتجلى فيها حرصه على الاقتراب بعمله وعمل أستاذه من درجات الكمال بقدر ما استطاع — والكمال لله وحده — ثم هو لا يغمط عمل إنسان أو جهده فهو يذكر ما بذل سليم البخاري في إعادة النظر في الأدب الصغير الذي حققه طاهر الجزائري ثم لا يقف عند ذلك فيعاود هو النظر فيه على ضوء ما رجوع إليه أحمد زكي باشا من مخطوطات أخرى

ثم يرينا في هذه الصورة كذلك جانباً من جوانب خُلُقهِ الكريم هو روح التعاون وعدم الأثرة حين يذيع على الناس ما نشره طائفة من

= غير مشددة في صفحة ٥٣٨ .

وقد أشار الأستاذ محمد سليم الجندي في كتابه « الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره » (٩٠٢) إلى معارضة ابن الأبار وضبط كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة في اسم هذه المعارضة .

ولكن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ناشر « ملقى السبيل » لم يشر إلى ضبط الكلمة وتركها غفلاً إلا من ضمة فوق الميم . (انظر رسائل البلغاء ص ٢٨٣ الطبعة الثالثة) .

المحققين الأعلام في مجلته «المقتبس» من تحقيق لبعض الرسائل النادرة فيضمها إلى مجموعته .

* * *

ويجيء في الطبعة الثالثة التي نشرها سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م في القاهرة أيضاً - وهذا وفاء كريم منه للبلد الذي احتضن الطبعتين الأولى والثانية ، والوفاء طيبة فيه - وقد أضاف إلى هذه الطبعة «يتيمة السلطان» لابن المقفّع بتحقيقه هو ، وهي مما لم تظهر به الطبعتان السابقتان من آثار ابن المقفّع التي نشرها فيها . قال عنها أنها «رسالة بين مجموع مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٦٧٢ مجاميع ، وهي في نحو من ثماني عشرة ورقة بخط فارسي مجوّد ، ولا يعرف لها تاريخ كما ليس بها إشارة إلى الأصل المنقولة عنه ، وهي غير كاملة كما بدلة على هذا ختامها ، وبين عبارات هذه اليتيمة ما جاء بلفظه فيما سبق لابن المقفّع أو في ثوب من اللفظ قريب منه . أما عن صحة نسب الرسالة إلى ابن المقفّع فذاك شيء لم يُعَيّن عليه ما كان بين الاختيار والطبع من زمن قصير . وما هي ذي الرسالة بين يدي الباحثين منشورة بعد أن كانت مطمورة ، وهم على الأيام شركاؤنا في التعقيب والبحث» .

ثم يضيف إلى هذه الطبعة الجديدة رسالة أخرى هي «قانون البلاغة» لأبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفى سنة ٥١٧ هـ ، وهي بما نشره المجمع العلمي العربي [مجمع اللغة العربية حالياً] في المجلد السابع من مجلته وشفها بما نشره في هذه المجلة الأستاذ عبد العزيز اليميني الراجكوتي الهندي عن كتاب «جاويدان خيرد» . وتبعها بما نشره في المجلد الرابع من مجلة المجمع أيضاً من رسالة «تهذيب الأخلاق» ليجي بن عدي ، وكان بعض

القدماء نحلها للجاحظ . وأتبعَ حِكْمَ ابن المقفّع المنقولة من كتاب الأدب بحكمٍ أخرى له جاءت في مخطوط كتب سنة ٥٥٧ هـ ذكر فيه أنه كتاب « الأدب الصغير لأبي عمرو عبد الله محمد بن المقفّع » ؛ ثم بيتيمة له . وشرح مافاته ورفات غيره التعليق عليه في الطبعتين السابقتين .

وهذه أيضاً سنةٌ سنّها الأستاذ محمد كرد علي - رحمه الله - وسار عليها المجمع الموقّر في سنرات سابقة حيث كان بعيد طبع ما نشر بعض العلماء الأجلّاء من تحقيقات في المجلة لنوادير من التراث ... ونعل المجمع الموقّر بعيد نشر الكثير بما تضمّه المجلة في سنواتها الطويلة اشتمرة كرسائل منفردة ، أو كرسائل مجموعة ، سيراً على سنة الأستاذ الرئيس الأول ، فإن ما نشر على حدة أصبح في حكم المخطوط النادر ، وما نشر في متن المجلة قد لا يعلم به إلا قليّة من الأدباء .

* * *

إن هذه الملاح التي عرضناها من خلال أول عمل شرع فيه العلامة الجليل الأستاذ محمد كرد علي ، في ميدان التحقيق ، وأوضحنا منها دستوره الذي عمل بأحكامه ، لهي صورةٌ متميزة ونموذجٌ فريد لمحقق رائد أفنى حياته في خدمة اللغة العربية حتى أنشأ لها مجمعاً خالداً على الزمن - ياذن الله - وهو أقدم المجمع العلمية الرسمية في العالم العربي يقترب الآن بخطاه الواسعة من سنواته الستين ، وأنشأ له مجلة جديرة بالتقدير والاحترام تجاوزت عامها الخمسين ، وهما يحتضنان التراث العربي أكرم احتضان وبحنوان عليه أعظم حنان ، كما أقام مكتبة قيّمة ضمت الألوف من المؤلفات والمراجع والمخطوطات .

وإن هذا النهج السليم الذي سلكه هذا العالم الجليل - بهذه الملاح

الكروية لم يحل منه كتاب من الكتب الخمسة التي حققها ونشرها بعد «رسائل البلغاء»، وهي:

١ - «سيرة أحمد بن طولون» لأبي محمد عبد الله بن محمد المدني .
طبع في دمشق سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .

٢ - «المستجد من فعلات الأجواد» لأبي علي الحسين بن علي التنوخي . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

٣ - «تاريخ حكماء الإسلام» لظهير الدين البيهقي أبي الحسن علي ابن زيد من سلالة خزمية بن ثابت الملقب بذئ الشهادتين صاحب رسول الله ﷺ . وهو غير البيهقي المحدث والبيهقي الأديب . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

٤ - «كتاب الأشربة» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

٥ - «البيزرة» تأليف بازيار العزيز بالله الفاطمي . وكان هذا الكتاب آخر عمل علمي قام به الفقيه العظيم وأشرف عليه وكتب مقدمة له تاريخها ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٧١ هـ = ١٢ آب (اغسطس) ١٩٥٢ م . وتم طبعه بين منشورات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م بعد انتقاله إلى رحاب ربه الكريم في الثاني من نيسان (ابريل) ١٩٥٣ م .

وهو في هذه الكتب الخمسة لم يجد قط عن هذا المنهج السليم ، ولم يُغفل لإنسان أعانه في عمله ذِكْرَ هذا العون .. وهذا خلق العالم الكبير ، والرائد الحبير ، والخبطة القدير ، والناقد البصير .

وإن هذا الوفاء الذي ألمعنا إليه حين أشرنا إلى وفاته لأستاذة الشيخ طاهر الجزائري، وأشرنا إليه في طبعه «رسائل البلغاء» ثلاث طبعات في القاهرة، ووفاءً لمدينة القاهرة التي عاش فيها فترة من الزمن... هذا الوفاء هو من أبرز صفات هذا الرجل العظيم المتعدد المواهب والجوانب، فلقد امتد هذا الوفاء فشمّل الأعلام من الأدباء والعلماء والمؤرخين والحكماء - على اختلاف عصورهم ومواطنهم - والذين عاش مع آثارهم منتفعاً بملهمهم، متشرباً أساليبهم، نحياً تراث بعضهم أو دافعاً غيرد لإحيائه، حيث سجل تواريخ حياتهم في كتابه: «أمراء البيان» الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة في جزئين سنة ١٩٤٨، و«كنوز الأجداد» الذي نشره المجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٠... كما شمل هذا الوفاء الوطن الذي ولد تحت سمانه وفوق بطحائه واستمد حياته من غذائه وفيض مائه، وتقلّب في نعمائه، وتلقّى العلم على نوابغ أدبائه وعلمائه، وترتّب على مناصبه العلمية ومراكزه الثقافية، فألف ونشر من أجله معلّمته التاريخية «خطط الشام» في ستة أجزاء (١)، ثم سجل تاريخ «غوطة دمشق» التي

(١) ذكر المرحوم الأستاذ الدكتور سامي الدهان في «مجلة المجمع العلمي العربي» (ص ٢٤٥ من المجلد الثلاثين. الحاشية رقم ٢) أنه قرأ في الكلمة التي ألقاها الأمير مصطفى الشهابي خلال استقباله عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر إشارة إلى هذا الكتاب يقول فيها عن الأستاذ الرئيس: «وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة».

فعمل المجمع الموقر يعمل على تحقيق أمنية منشئه، وأن يضاف إلى أجزائه =

أحبها، ونشره له المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٢ . وشجع محققين آخرين ونشر لهم نحققاتهم عن « فضائل الشام ودمشق » للربيعي ، و« تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ، و « تاريخ داريا » للقاضي عبد الجبار الخولاني ، وغير ذلك .

* * *

رحم الله الفقيد العظيم ، وجزاه الجزاء الأوفى عما قدم للأمة العربية ولغتها وآدابها وعلومها وتاريخها وأعلامها من جهود باقية على الزمان ، لا يسها جحود أو يأتي عليها نسيان . ورفع قدره في أحراد ، كما رفع قدره في دنياه ، وأبقى في العالمين ذكراه .

= الستة ما كان قد نهضت به اللجنة التي تشكلت لوضع معجم خطط الشام مشفوعاً بالمصورات لنتم الفائدة من هذا الكتاب القيم . ويقدم هذا كله تحية لروح الفقيد العظيم في إحياء ذكراه .

تحية إلى روح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الدكتور عيسى الناعوري

حين يخطر على بالي اسم المغفور له محمد كرد علي ، يسبق اسمه إلى خاطري لقب « الشيخ الرئيس » . ولست أدري - أو لعلني أدري - لماذا يقترن هذا اللقب القديم - الذي عُرف به ابن سينا وحده في الماضي - باسم محمد كرد علي كذلك ، فأراه لا يقل جدارة به عن شيخ العلم القديم ، الطبيب الرئيس ابن سينا .

و حين أفكر في الجوانب العديدة التي اشتهر بها الشيخ الرئيس محمد كرد علي ، أراني لا أدري أيها أعظم وأجدر بالتقدير والتكريم في هذه الذكرى المثوية لولادته ، التي أحسن جمع اللغة العربية اللامشقي صنماً في الاحتفاء بها : أهي مؤلفاته العديدة ؟ أم هي « خطاه » الشامية الشهيرة ؟ أم هي تأسيسه للمجمع العلمي العربي في دمشق ، وإدارته ورعايته له - بين العواصف الهوج - حتى وفاته ؟ أم هو فكره الحكيم المتزن ، وتواضعه الجهم ، وأخلاقه الرفيعة ؟ أم هو حفاظه على لغة الضاد - لغة القرآن الكريم ، ولغة القومية العربية ، وما عمله من أجل بعثها وإحيائها ، واستعادة زهوها وقوتها ومكانها في حياة القرن العشرين ؟

كل هذه جوانب ، لا تدري أيها أجدر بالتقدير والتكريم ، ولكنها كلها بالتقدير أكثر من جدية .

الجيل الذي جاء فيه « الشيخ الرئيس » محمد كرد علي كان جيلاً عظيماً : واجه العواصف الماحقة للعروبة ولقنها العزيزة بإيمان الجبارة ، وصمد لها صمود الرواسي ؛ فحفظ اللغة العربية من التريك ، والفرنسية ، والنكلنزة ، ورد سفينتها إلى شاطئ السلامة ظافرة منتصرة . وكان كرد علي جبارة من أولئك الجبارة ، وصخرة من تلك الصخور الراسية التي تحطمت عليها الأنواء الهوج ، ولم تتأثر بها ، ولا يجهتها العنيفة المستمرة .

جهد الشيخ الرئيس من أجل تكوين المجمع العلمي الدمشقي ، ومن أجل استمراره ، ومن أجل جعله ضرورة ملحة ، وشعلة وهاجة ، لا مجرد مجلس يجتمع فيه شيوخ للدراسة وقتل الوقت ، كل هذا معروف مشهور ، وفضل محمد كرد علي فيه لا ينكره منكر . ولست بسبيل أن أفضل ذلك ، فإن هنالك من سيفصله غيري ممن رافقوا الشيخ الرئيس في عمله الجمعي ، ومن عرفوا جهاده وجهوده ، ومن قبسوا من علمه وفضله ، فهم به أعرف وأدري ، وهم أقدر على أن يقولوا فيه كلمة الحق التي يستحق ، للتاريخ وللعلم ، وإعطاء الحق لذويه . ولكنني مع ذلك أود أن أذكر بالتقدير العميق أنه ، لولا فضل الشيخ الرئيس محمد كرد علي ، فلربما ظل مجمع دمشق حيث توقف بعد فترة قصيرة من إنشائه ، هي فترة تأسيسه الأولى ، عندما عطّل عمله في نهاية شهر نوفمبر ١٩١٩ ، « بصرف رئيسه وخمسة من أعضائه من وظائفهم ، توفيراً لرواتبهم ، واكتفى بمضوين إداريين للقيام بالإشراف على داري الكتب والآثار » - كما يقول الدكتور عدنان الخطيب في كتابه (مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً) الذي صدر عام ١٩٦٩ في منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق .

لعله كان من الممكن أن يظل الجمع واقفاً عند ذلك الحد ، بسبب
العواصف السياسية والاقتصادية التي كانت الحكومة العربية الفيصلية يومئذ
تدور وتلف في قلب دوامتها ، وفي ظل الخوف من المستقبل الذي كان
على كف عفريت من مؤامرة سايكس بيكو ، والتهديد الفرنسي بغزو
سوريا ، لولا أن « عهداً بتاريخ ٧ أيلول « سبتمبر » ١٩٣٠ إلى الأستاذ
الرئيس محمد كرد علي بوزارة المعارف ، فأعاد الحياة والنشاط إلى الجمع
العلمي ... وعاد الجمع العلمي العربي يسير بخطى حثيثة ، بجهود رئيسه
العظيم ، الذي كان يدعمه بنفوذه الأدبي العميق ، وبسلطات الحكومة ... »
— كما يضيف الدكتور عدنان الخطيب كذلك ، وكما يعترف بعدئذ بأنه
« لم تمض عشر سنوات على تأسيس الجمع العلمي العربي بدمشق ، حتى
أصبحت هذه المؤسسة ، الفريدة من نوعها في العالم العربي ، صرحاً
شامخاً ... ملأ أسماع الناس ، من عرب ومستشرقين . . . وكثرة ذلك
بفضل جهود الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وما عرف عنه من همة
عالية ، وحيوية فائقة ، وبفضل الصلات التي أحكمها مع أكبر العلماء وأهل
الفكر من مختلف الأمم والشعوب ... »

كان اهتمام محمد كرد علي بتأسيس الجمع ، ثم باستمراره رغم كل شيء
وكل عائق ، نتيجة لشعوره بالحاجة الماسة إليه . كان (التعريب) يومذاك
ضرورة قومية قصوى — كانت (العثمينة) هي السائدة في لغة المدارس ،
ولغة الدوائر الحكومية ، ولغة الحياة العامة . وكان العثمانيون قد خرجوا
من الأرض العربية ، وعاد الحكم العربي والروح العربية يحتلان مكانها
فيها ؛ فلم يمد من الممكن أن تظل تتعايش على الأرض العربية (العثمينة)
الماضية ، والروح القومية العربية . واللغة العربية كانت دائماً ، وما تزال ،

وستبقى ، أهم عنصر يربط العربي بالعربي ، ويُبقي جذوة العروبة مشتعة في الصدور . وكان لا بد إذن من (التعريب) . وكان مجمع دمشق ، برئاسة محمد كرد علي ، وبهيمته ، وبدأبه ، وبجهوده الشخصية ، معقد الأمل في عملية (التعريب) - أو عملية رد العربية ، ورد العروبة ، إلى مكانها الأصيل ، وإلى أهلها الأفحاح ، فبذلك تبعت القومية العربية بعناً حقيقياً . وكان لا بد من السرعة في عملية التعريب هذه . واستطاع المجمع الدمشقي في زمن قصير أن يؤدي رسالته في الإحياء اللغوي والقومي بأكثر مما كان ينتظر منه .

وزالت العثمنة عن لغة الدواوين ، ولكن جاء عنصر غريب آخر ، هو الحكم الفرنسي الاستعماري ، الذي حاول بدورهِ (فرنسة) كل شيء عربي ، مثلما فعل من قبل في أقطار المغرب العربي : تونس ، والجزائر ، والمغرب . وكان على مجمع دمشق - ولتسميته في تلك الفترة بمجمع محمد كرد علي ، فلن يكون في ذلك مبالغة ، ولا خروج على الواقع ، ولا تجن على زملاء محمد كرد علي ورفاق جهاده ، وكلهم للتقدير والتعظيم والفضل أهل - كان على مجمع محمد كرد علي ذلك أن يقف طوداً سائحاً ، يحول دون هذه (العجمنة) الجديدة . وقد أفلح أكثر مما كان ينتظر منه .

أتراني بما أقول أكرّم مجمع دمشق في ذكرى مؤسسه الثوية هذه ، أم تراني أكرم المؤسس نفسه في ذكراه ؟

كلاهما جدير بالتكريم ، فقد اقترن كلاهما بالآخر في تلك الفترة اقتراناً لا يجوز معه الفصل بينها : بين المجمع والمؤسس .

فلكليها أطيب التحية في هذه الذكرى الغالية على قلب الضاد ، وعلى قلب المروبة الشريفة المناضلة لأجل حياة أفضل وأرسخ جذوراً .

قصة المذكرات (١)

الدكتور عدنان الخطيب

- ١ -

تاريخ كلمة بين الاصل والتوليد

يقول ارباب المعجمات : الذا لوالكاف والراء اعلان عنها يتفرع
كلم الباب ، احدهما : ذكرت الشيء : خلاف نسيتُه ، وذكورته
ذكراً وذكرياً وذكري وتذكيراً : حفظته واستحضرتُه وجرى على
لساني ، وما يجري على اللسان بين الناس ، قد يدونه البعض في قرطاس .
وذكر الشيء : عابه ، والناس : ذكر عيوبهم ، والتذكير :
ذكر الشيء بعد نسيانه ، والاستذكار : الدراسة للحفظ . والذاكرة
عند المولدين : قوة من قوى العقل تبث على استذكار المعلوم في الذهن ؛

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق مساء يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

(١) كتب الدكتور عدنان الخطيب بحثاً مطولاً عن « مذكرات محمد كرد علي »
تحت عنوان « قصة المذكرات كاملة » وقد حال ضيق الوقت في ندوات الاحتفال
دون قراءة القصة كاملة ، فاجتزأ منها بالمقدمة التي نثرت هنا ، وستنشر كاملة
في كتاب مستقل .

٢ (٧)

- ٩٧ -

وعند الحكماء : قوة تحفظ ما تدركه القوة الوجدانية من المعاني وتذكرها؛
وعند الفلاسفة : القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره .
والمذكّرة : ما تحفظه أو تدونه ليذكر كترك أو تبعث به ليذكر غيرك ،
أي لتجعل الذاكرة تعمل عملها .

وفي مصطلح المترجمين المذكرّة : ما يعبر عنه بالفرنسية بكلمة
Note حيناً ، وبكلمة Mémorie أحياناً . وعند رجال القانون : بيان
بمحل أو مفصل يقدم إلى القاضي تشرح فيه بعض المسائل القانونية أو
تفند فيه مزاعم أو بيانات الخصم ، وقد تطلق على أمرٍ يصدره
القاضي لينفذ .

خلق الإنسان نسيئاً ، يحفظ شيئاً وينسى الكثير ، والناس مذ
عرفوا الكتابة ، بدأ أفراد منهم يحفرون الحروف والرموز ليذكروها أو
أو يذكروها من يمرّ بها ، ثم أخذ آخرون يثبتون حادثاً أو يجلون غامضاً
كي لا ينسى ، وقام علماء يؤرخون للعظائم ، وارتد بعضهم بسجل ما سمعه
عن ما جرى منها ليمتفع الناس بذكوراد .

وصف كثيرون رحلات قاموا بها ، ودوّن كثيرون معلومات جمعوها
يوماً فيوماً أو كلها حصلوا عليها حفظاً لها من الضياع ، جرى هذا في الشرق
وفي الغرب ، وكان المؤلفون هنا وهناك يُعَتِّقُونَ كتاباتهم ، بأسماء تدل
على الموضوع الذي كتبوا فيه أو تبين عن الدافع إليه أو ترمز إلى الغاية
منه ، وكان من أجلّ كتب التراث ما عُنِّنَ بـ « السيرة » أو دون في
« السير » ، كما كان مما وصل إلينا من كتب ما أطلق عليه اسم « التذكرة » .

وفي الغرب ترك كثير من الكتاب والأدباء مدونات تحت أسماء



رسم الطابع التذكاري الذي صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام
علي مولد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
(تصميم الفنان عزيز إسماعيل)

مختلفة مثل « خواطر » و « اعترافات » و « أسرار » و « قصة حياتي » و « مذكرات قضائية » كما شاع لدى رجال السياسة تدوين ذكرياتهم ولا سيما بعد الحروب الطاحنة أو المعارك الفاصلة ، يفتدون فيها ما قاموا به من أعمال أو بشرحون الملابس التي اكتسفت بعض مواقفهم فدفعتهم إلى سلوك معين أو إجراء مستغرب ، مطلقين على ما دونوه اسم « Mèmoires » ، وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى عكف كثير من الرؤساء والوزراء والقواد الذين حكموا بلادهم خلال الحرب على تدوين الحوادث التي شاركوا فيها وعرض الأسباب التي يرونها تسوِّغ لهم ما فعلوه ، ونقلت إلى العربية عشرات من الكتب تحمل كلها تقريباً اسم « المذكرات » .

فكيف طغت لفظة Mèmoires لدى الافرنج على غيرها من الكلمات التي كانت شائعة قبل زمن ليس ببعيد ، ومن أين جاء المترجمون بلفظة « مذكرات » ، ولماذا اختاروها دون غيرها من ألفاظ عربية ؟ . ولماذا فضلها على لفظة « ذكريات » التي نرى لها حتى اليوم أنصاراً يحبون لها أن تحتل عناوين كتبهم ؟ .

لقد مرّ على البشر زمن كانوا فيه إذا ما تنازع اثنان منهم على حق قنما ، وأحدهما مكره طبعاً ، بتحكيم القوة بينها ، فيتبارزان أمام الناس بالشائع من السلاح ، ويغدو الحق من غلب ، ثم أصبح للمهارة في المباراة أثر في إنهاء الخصومة بين المتنازعين ، وعندما تولى القاضي في الدولة الحكيم في المنازعات بين الناس ، غدا الحصان يتبارزان أمامه بمساعدة من يتقن عرض النزاع ويحسن البيان عن أوجه الحق لدى

موكله ، يقارع خصمه بالحجج ويجيبه بالنصوص معتمداً على نصاعة الأسلوب وفصاحة الكلام .

وهكذا وسمت المحاكات في العصور الحديثة بطابع المبارزة ، غير أن السلاح فيها أصبح : علماً من القانون ، ومهارة في العرض ، وروعة في البيان ، وكان على المترافع أمام القاضي أن ينهي كل هذا برقعة Mèmoire يدون فيها خلاصة ما قال ، ويوجز فيها أهم ما أطال في شرحه ، لتكون سنداً يستعين به الخصم للرد ، وتذكرة للقاضي تلم له أطراف النزاع قبل أن يقطع بالحق .

وشاعت كلمة Mèmoire في البلاد العربية منذ تسربت إليها تشريعات الفرنجة وأصول التقاضي لديهم ، مترجمة بلفظة « مذكرة » .

وأحب المشتغلون بالسياسة - ومضى وقت كان أكثر هؤلاء في الشرق كما في الغرب ، من رجال القانون - إثبات ملخص ما جرى في مفاوضات اشتركوا فيها أو تدوين ما وقع في اجتماعات حضروها ، في « مذكرات » تحفظ المعلومات التي عرفوها وحقائق ما شاركوا فيه ليتمكنوا من الرجوع إليها إذا ما دعت إلى ذلك مصلحة ما ، ثم أخذ نفر من رجال السياسة يتابع تدوين ذكرياته حتى كانت كتب كاملة تحمل اسم « مذكرات » فيها قصة كاملة لموضوع عام أو تاريخ حقبة من الزمن يحكي سيرة كاتبه من خلال الحوادث التي كان بطلاً لها أو مشاركاً فيها .

ولم يقتصر تدوين « المذكرات » على رجال السياسة ، بل كان للقضاة والأطباء ، فضلاً عن الأدباء والصحافيين ، نصيب كبير في تدوين الذكريات حتى غدا ما يسمى بـ « أدب المذكرات » أدباً عالمياً مرموقاً

في مختلف اللغات ، يتهافت الناس على قراءته للتمتع بما يتضمنه من أفكار أو بيان رائع ، أو للاطلاع على تراجم ذاتية قيمة ، أو لمعرفة حقائق سياسية مستورة ، أو وثائق تاريخية مجهولة ، وبعض المذكرات كانت تتضمن كل هذا أو بعضه .

إن المذكرات ، بصورة عامة ، ذكريات شخصية تحمل في الغالب بأسلوبها أو روحها الطابع المميز لكاتبها ، ويمكن تصنيف المذكرات في ثلاث فئات .

الأولى : يجمعها وصف « المذكرات السياسية » وهي مفيدة لتأريخ فترة من الزمن أو لتفسير حوادث وقعت خلالها ، وقد لا يكون الهدف من تدوينها . إلا الدفاع عن سلوك قام به صاحبها أو عن رأي ارتآه خلال تلك الحوادث ، أو رد تهمة أُلصقت به .

الثاني : مذكرات اجتماعية ، وأصحابها يهتمون عادة بتصوير عيوب الناس أو شرح مزايا فيهم ، رغبة منهم في إصلاح المفاسد ، أو محاولة لتطوير مجتمعاتهم أو النهوض بها .

الثالثة : المذكرات الأدبية ، وقد تتضمن سيرة ذاتية لأصحابها ، مفصلة واضحة أو موجزة ، لا يلتزم بالتتابع في حوادثها ، وكثيراً ما يستخدم بعض الكتاب في مذكراتهم الأدبية الخيال أو الرموز لغايات قد لا يصرحون بها تاريخياً إداركها للقراء .

هذا وفيما نشر من مذكرات ، ما يصعب تحديد انتهائه إلى إحدى هذه الفئات ، وفيها ما قد يكون مجرد انطباعات وذكريات سجلها الكاتب حتى لا تنسى ، وهي تتضمن بعض ما في الفئات كلها مرتبة أو غير مرتبة .

- ٢ -

المذكرات بين التأريخ والادب

قلم الأديب حرٌّ طليق ، أما قلم من يتصدى لكتابة التاريخ ، فيجمع العلماء على وجوب انصافه بـ « العدالة » لا تحرفه عن تدوين الحقيقة رغبة ولا رهبة ، ولا يثنيه عن قولة الحق هوى ولا ميل ، يسجل الحقيقة غير متزيد فيها ولا متستر على شيء منها ، وهم يشترطون فيمن يؤرخ للعصر الذي يعيش فيه « الانصاف والتجرد » ، حتى إن بعضهم يوصي المؤرخ بالابتعاد عن كل مامن شأنه أن يشكك في عدالته أو يربب في إنصافه ، فلا يسرف في مدح من يحب ولو كان فاضلاً ، ولا يشتط في نقد من يكره ولو كان سيئاً .

أما من يتصدى لتدوين ذكرياته ، فشأنه غير شأن المؤرخ ، فلا يمكن أن يطالب امرؤ بترجم لنفسه ، أن يتجرد عن عواطفه فيعدد مثلاً مثالب الشخصية ، ويكشف للناس عما جبل عليه من مطامع ، أو ينقد تصرفاته وسلوكه ، ولكن إن فعل فهو حرٌّ !

كما أنه لا يمكن أن يطالب امرؤ بدون ذكرياته أن يسجل الحقائق كما رآها مبفضوه أو خصومه ، فالمرء لا يلجأ عادة إلى كتابة مذكراته أو تدوين سيرته الذاتية إلا ليبين عن حقيقة قد ينكرها الناس أو يجهلونها ، أو ليكشف عن الحقائق كما رآها بنفسه ، أو يشير إلى الأسباب التي مكنته من رؤيتها ، أو ليسجل مشاعره إزاء بعض الحوادث أو صانعيها .

إنما يشترط فيمن يدون « المذكرات » الصدق والانصاف ؛ الصدق

فما يرويه أو ينقله ، والانصاف مع من يكرههم فلا ينحلهم رأياً
لم يرتأوه ولا يزور على لسانهم كلمة لم يتفوهوا بها ، ولا يتهمهم بفعل
هم منه براء ، فإن التزم بهذا الشرط تغدو مذكراته من الوثائق التي
يمكن للمؤرخين أن يعتمدوا عليها .

- ٣ -

نمذجة نماذج من أصعب المذكرات

عرفت سورية في تاريخها الحديث عدداً من رجال السياسة ،
نشروا سيرهم الذاتية في « مذكرات » فأغنوا المكتبة العربية بوثائق فذة،
أضاءت جوانب هامة من الواقع الاجتماعي المتخلف ، أو من التاريخ
السياسي المضطرب ، وكشفوا حقائق كانت مجهولة ، أو كانت غائبة تكتنفها
الشيئات وتدور حولها أقوال تشويها الأهواء .

وكان في طليعة من نشرت مذكراتهم بعد « مذكرات » الأستاذ
الرئيس محمد كرد علي ، ثلاثة من كبار رجالات هذا الوطن (١) ،
أخذوا إلى كتابة سيرهم الذاتية وتدوين ما عرفوه من الحوادث السياسية ،
بعد نضال طويل وكفاح مرير في سبيل الوطن ورفاهه وأمنه ، فترجموا
لأنفسهم وسجلوا الأعمال التي قاموا بها وهم يتولون أمانة الخدمة العامة ،
عارضين على الناس ما عرفوه من خفايا السياسة ، وسخة كانت أو نظيفة .
لقد أثبت مرة على مذكرات هؤلاء الرجال فأرضى ثنائي كثيراً

(١) هم الأساتذة حسن الحكيم ويوسف الحكيم أطال الله حياتهما وخالد العظم

رحمه الله .

من العلماء وطلاب الحقيقة ، ولكنه أغضب بعض رجال السياسة ،
فأنكروا علي رأيي ، لأن هؤلاء يختلفون عن أولئك في تقويم الأشياء
وتقديرها ، ولا سيما إذا كان لهم صلة بهذه الأشياء ، أما أنا فقد عرفت
الرجال الثلاثة وعرفت ما جبل عليه كل واحد منهم من خلق .

إن الرجال الثلاثة لم يدونوا في مذكراتهم كل ما يبحث عنه المؤرخ
من حقائق تاريخنا السياسي ، إذ كان الواحد منهم لا يهتم إلا بما عرفه
أو اتصل به أو شارك في صنعه ، كما كان أسلوب كل منهم تابعاً من
مزاجه الخاص ، ومن تحليل شخصي للحوادث التي دون تفصيلاتها ،
واختلافهم هذا ما كان ليفسد تقويم ما كشفوا عنه من حقائق التاريخ كما
عرفوها أو كما خيل إليهم أنهم عرفوا حقيقته .

الأول منهم رجل صدق واستقامة ، رفعته إلى قمة العمل العام
أخلاقه ومزايده ، فسمى ما وسعه الجهد في خدمة الوطن ، بدأ يدون
ذكرياته عن الطريق الذي مشى فيه خطوة خطوة ، ودون مشاهداته
واصفاً ما رآه دون أن يعطي اهتماماً كبيراً لما يجمله من خلفيات
مشاهده ، وصور من رآهم من الناس أو عمل معهم من رجال السياسة ،
دون أن يهتم بما تنطوي عليه صدورهم من عواطف ، كما سجل ما سمعه
أو قرأه دون أن يركض وراء الدافع إليه أو يتحوى عن الباعث
عليه ، وكان في جميع ما كتبه صادقاً في روايته منصفاً في أحكامه .

والثاني منهم كان رجل قانون أمضى جل حياته يقطع بالحق
منازعات الناس ، مشرفاً على توزيع العدالة بينهم ، ثم أخذ يدون
ذكرياته في العهود التي عمل خلالها على دعم سيادة القانون ، فجاءت مذكراته
وكانها كتبت على المنصة التي كان يجلس عليها ، إثباتاً للوقائع التي جرت

أمامه أو أثرت في مجلته دون التفات إلى غير الموثق منها ، ووصفاً حياً المتداعين وشهود الجلسة ، وقد بدا التهذيب في تصرفاتهم ، كما بدت النظافة في ثيابهم ، دون التفات إلى حقيقة أخلاقهم وما تحت ثيابهم من سوءات .

أما الثالث رحمه الله فوارث مجد قديم ، جُبل على حب الفن ، كان يتلمهى برسم من يراهم وهو في أخرج المواقف ، دفعه طموحه إلى خضم السياسة فخاضه حتى علقت أوحالها بثيابه فخلعها ثم عرّى من عرفهم من الرجال ، وأخذ يرسمهم بقلمه كما بدوا لناظريه بادئاً بنفسه مسجلاً عيوبه وعيوبهم غير مفند عيوب نفسه ولا حافل بجوانب الحسن والجمال عند من بكرهم ، ولكنه كان صادقاً في تسجيل عواطفه ومشاعره تجاد من وقفوا في سبيل تحقيق طموحه ، كما كان جهده وعنته في إنصافهم من خلال ما كتبه واضحاً بيناً .

- ٤ -

الإنسان الذي تعدرت عبقرياته ولم يستطع ارضاء نفسه

بدأت عبقرية محمد كرد علي بالمتفتح والقرن التاسع عشر الميلادي قد شارف على الانقضاء ، كان العالم الغربي يومئذ في أوج التقدم الحضاري الناجم عن الثورة الصناعية والتوسع الاستعماري ، بينما كانت بلاد الشرق الأدنى تنساب وهي بين النوم واليقظة ، ومبادئ الثورة الفرنسية قد تسربت إلى بعض الطبقات فيها بقصد القضاء على النظم السياسية والسلطات الاستبدادية القائمة فيها يومئذ .

كانت الدولة التي كنا جزءاً منها تتمخض عن ثورة عارمة ، ما لبثت أن انفجرت سنة ١٩٠٨ ، وقام فيها نظام جديد يخفي بين برديه استبدالاً أشد مما كان بحجة صيانة أحكام الدستور وكفالة سيادة القانون ، وانتهى الأمر بأصحاب النظام الجديد إلى المغامرة في حرب عالمية لم تنته إلا وخارطة العالم السياسية قد تبدلت .

في بلاد العرب أعلنت الثورة ضد الاحتلال والتمزق ، وفي سورية قامت مملكة مستقلة ، ولكن المطامع الاستعمارية لدى الدول المنتصرة ، أعاققت الاستقلال وزادت في التمزق وفرضت الانتدابات ، وابتدأ العرب في صراع جديد في سبيل الحرية والوحدة والتقدم .

في هذه الفترات المضطربة من تاريخ العرب السياسي ، عاش الانسان محمد كرد علي صحافياً يعمل على نشر الوعي بين الناس ، وأديباً يسعى لاحياء العربية وتراثها الجيد ، وكاتباً يحاول إصلاح المجتمع والنهوض به ، ومؤرخاً يجمع لبلاد الشام خطتها وما تفرق من أخبارها ، ووزيراً يطلع على كثير من الأمور التي تجري وراء الأستار .

دخل محمد كرد علي من مطلع شبابه في خدمة الحكومة بدمشق ولكن الصحافة استهوته فترك الحكومة ليشغل فيها فوجدها في بلده وليدة تجبو ، وتطلع إليها تدرج في مصر وارتحل إلى القاهرة ليخوض غمار المهنة التي استهوته حتى وافته الفرصة فعاد إلى بلده ليواصل الانغماس في متاعها لأنه كان يراها أعظم وسيلة للمطالبة بالإصلاح وطرده لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة وبعث الفراغ واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة .

غير أن الأحوال السياسية لم تكن تسمح بقيام صحافة حقيقية ترضي الإنسان في محمد كرد علي ، فقد كان على الصحفي يومئذ أن يتعد عن أمور كثيرة لينقي المتاعب وأحياناً ليحفظ حياته ولهذا قال : « وأكثر ما يجب أن يتوقاه المحرر ذكر شيء يمس السلطان من قريب أو بعيد أو يمس عمله ورجاله وجيشه وإدارته وسياسته ، وألا يشير إلى مسألة تاريخية فيها ذكر الخلافة والحربة والشورى والدستور وقتل الملوك وخلعهم » .

يكتب محمد كرد علي في النقد الاجتماعي ووصف التخلف وكيفية « تسرب الجهل إلى العيب بالعقول » حتى لم يبق « من العلم الحقيقي غير قشوره » مئات من المقالات صور فيها الناس في تشدقهم بالأقوال وتحاذقهم بالأفعال ، ونقد سلوكهم ، كما نقد ظلم الولاة واستهتارهم بمصالح الرعية ، ورغم حذره الشديد من كل هذا واكتفائه بالتاميح دون التصريح في أحيان كثيرة فقد تعرض لمخاطر التعرض لرجال الدولة فأقيمت عليه الدعاوى ولوحق من قبل رجال الأمن وطلب رأسه في بعض الحالات فاضطر إلى المغامرة والفرار مجتازاً البوادي والقفار يلبس لبس الاعراب وينتحل تجارة الجمال .

رغب محمد كرد علي في أن يؤرخ لبلاد الشام من غابر الأزمان حتى عصرها الحديث ، فأعد للأمر عدته وألزم نفسه بالشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للتأريخ ، ثم قدم « خطط الشام » واضعاً جهده في « العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من المبالغات والخرافات ، ونخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه من شية شبهة أو شائبة غلو » ثم قال : « وعنت في قسم التاريخ السياسي أن أين علل الحوادث

وتسلسل الكوائن ودواعي الأحوال القريبة والبعيدة واستخراج النتائج واستنباط القواعد ، والتاريخ ربيب الحرية لا يتصرف فيه على هوى من يكتبه أو يقرؤه ولا على أذواق المعاصرين وميولهم . وما دام موضوعه الاعتبار بالحالي لمعرفة الحالي والآتي ، فهو جدير بأن يتحرى فيه الحق ، ولا يدون سواه ولا يتناغى فيه بغير الواقع .

في كل ما كتبه محمد كرد علي كان الصحافي الحق والناقد المنصف والمؤرخ الصادق ، وعندما التجأ إلى مصر وجد فيها من الحرية ما افتقده في بلاد الشام فاحبها ، كما وجد فيمن تعرف إليهم من المصريين ما حببهم إليه ، فأخذ يشيد بمصر والمصريين بقامه ولسانه حتى انه أهدي أضخم جهوده إلى صديق مصري ، وأنزل مصر منزلة الشام من حبه لها معتقداً أنها شقيقان يتم كل منهما الآخر وهو يقول عنها : « انتفع الشام وهو القطر الشقيق الأصغر لمصر المحبوبة ، بالنهضة المصرية أكثر من عامة الأقطار العربية ، للجوار وأواصر القربى وكثرة التشابه بينها » .

وألزم محمد كرد علي نفسه بالدفاع عن مصر العزيزة على قلوب العرب والمسلمين ، ضد كل من يحاول الانتقاص من مركزها من العالم العربي والإسلامي ، حتى أنه دفع إلى ذات يوم مجلةً قائلاً : « اقرأ ما كتبه منتقص من فضل مصر على العرب ، وتول الرد عليه إن كنت تحب الدفاع عن الحقيقة التي يتجاهلها أمثال هذا الكاتب ، وكان ردي من بواكير ما نشرته لي مجلة المجمع العلمي العربي » .

كان لمحمد كرد علي مجلس يوم الثلاثاء يرثاه العلماء والأدباء وأهل الفضل ، وتسلسل ذات يوم إلى هذا المجلس رجل باسم الأدب والشعر ،

وكان الناس قد تسامعوا بمشادة وقعت في مصر بين كرد علي وزميل له من كبار انجमेين ، دافع كرد علي عن العربية وسمعة مصر في العالم الإسلامي ، وهاجم رأي من لا يهتم بالعرب وبالعربية ولا بسمعة مصر عند المسلمين . واستثار الدخيل علي مجلس محمد كرد علي غضبه بدفاعه عن كاتب لم يلتزم جانب الحق في النزاع وملق المستخفين بالعربية .

لقد كان هذا الكاتب عضواً في جمع دمشق رشحه للعضوية محمد كرد علي نفسه وأعلى شأنه في البلاد ، وأرسل كرد علي إليه ذات يوم مقالاً ينقده على كتاب أصدره متخيلاً فيه قصة تعيب تاريخ العرب والمسلمين ، فأهمل نشر النقد غير معتذر عن إهماله للأستاذ الرئيس .

وغضب الأستاذ الرئيس من ذكر اسم الكاتب في مجلته فجري على لسانه كلام مجري على لسان من يغضب ، وقام الدخيل على مجلس الأستاذ الرئيس ينشر ما كان في المجلس وما لم يكن ، فكانت الشرارة التي التهمت بلهيبها جزءاً من منزلة محمد كرد علي في مصر ودمرت قلعة من الحب والتقدير كان رحمه الله قد تعب في بنائها .

أن محمداً كرد علي إنسان قبل أن يكون مؤرخاً وأديباً وصحافياً ، إنسانٌ مرهف الحس ، يحب ويكره ، يحب الخير والصدق والجمال ، ويكره الشر والكذب والفساد ، إنسان عصبي المزاج بطرب ويغضب ، تطربه الكلمة الحلوة ويسره المنظر الجميل ، تستخفه النكتة في موضعها وتقبض نفسه من أي انحراف يراه أو يسمع به ، كان يتألم من الظلم ينزل بأحد الناس ، ويفض إذا ما استثير أو استغضب .

لقد ارتضى محمد كرد علي لنفسه التقيد بشروط التاريخ عندما أرخ ،

واتبع الحذر من سطوة الرقيب واستبداد الدولة عندما مارس الصحافة ،
والتزم وهو يدعو إلى إصلاح المجتمع بالوضعية ، دون أن يسمي من عرفهم
من الحشويين أو المفسدين أو المخزقين .

ولما بلغ محمد كرد علي الستين من العمر وزهد بالدنيا ومناصبها ،
وجد نفسه يحمل في صدره عبئاً ثقيلاً من كبت ما في صدره من حب
وبغض تقيداً بشروط التاريخ ومجاملة لما تعارف عليه الناس .

فأحب أن مجرد ما علق في ذاكرته من انطباعات وارتسامات ، وأخذ
يقيد ما يرد على قلمه حراً ، غير مقيد بتاريخ أو بترتيب أو تصنيف
ثم وصف ما بدأ في صنعه بقوله :

« أصور بهذا التقيد طائفة من عشت بينهم صورة صادقة ، وأدوّن
كل حق عرفته ، ليشاركني أبناء هذا الجيل والذي بعده في الإنكار على
من أضجروني بقصورهم ، وآلموني بغرورهم .

كُتبت كتباً كان الجدُّ سداها ولحمتها ، وما جوسزت لنفسي الحياذ
عن قوانين المؤلفين ، ولا الصدود عن آيين المتقدمين والمتأخرين ، وأريد هنا
أن أزرع قيوداً أثقلتني وأنا أراعيها ، وأن أبعد عن ذلك الطراز المقيد
وأخرج إلى هذا الأسلوب المطلق .

أحاول اليوم ، وقد رأيت الدنيا مهزلة ، وذقت حلوها ومرها ،
وكرعت خلها وخمرها ، أن أهزل أحياناً ، وأسخر أحياناً ، وأضحك
أحياناً ، وأبكي أحياناً ، لأن نفسي سئمت الالتزام بالجد ، وتبرمت
من الاضطراب فيه زمناً طويلاً ، وطبيعتي تعصى على العيش الرتيب .

وأمنية النفس يوم تنشر هذه المذكرات ألا يشتمز منها قائلها

وسامعها كثيراً ، وأنا إلى هذا لا أطمع أن يجمع الملاء على استحسانها ،
فتنك بنية ماتت حتى الآن لتأليف ، ومن أين لصفحات محدودة أن
تستوفي عامة شهوات النفوس .

وإذا كنت لم أستخدم أمام من كان في أيديهم النفع والضر ، فأنا
لا أصانع من لا يرضيهم إلا سكوتي عن مساوئهم . دأبت على قتال الأعداء ،
والشباب غض ، والرغبة في إطالة جيل الأجل عظيمة ، فحري بي ألا
أكف عنهم ، وأنا أطوي آخر مراحل العمر ، وأنقض اليد من
برج الحياة .

قصدت بما دونت التحذير من دجل الدجالين ، والتنبيه على
أحباب المبتلين ، والعمل على مكافحة الظالمين ليُعرف أن كل جيل
لا يخلو من دعاة يحلو لهم الجهر بالحق مهاجستهم ، ومن أفضل
الطرق إليه ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم .

جربت السكوت عن لم يأتوا ببرهان واحد على حبهم الخير ، وما
جنبت من الإغضاء إلا البلاء .

الجهر بالحق ، ومقاومة الظلم ، من أول مراتب النهوض « والساكت
عن الحق شيطان أخوس » .

* * *

سادتي

لقد أخذت اليوم أكثر من حقي في الكلام عن محمد كرد علي وإن
كان حقه علي وعلى أمثالي من تلاميذه لا يوفي بأضعاف ما صنعناه في
هذه الاحتفالات .

إن قصة مذكرات محمد كرد علي ومادار حولها من جدل بين عارفي فضله وبين مبغضيه لم تكمل ، والكلام على ما حوته من معلومات قيمة تفيد المؤرخ الدارس والباحث في أحوال المجتمع الشامي والمصري في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كلام طويل ، فاسمحوا لي أن أرجىء تمة القصة إلى مناسبة أخرى .

وليسمع لي صديقي علامة العراق وشاعر العربية الكبير محمد بهجة الأثري أن أستعير ختام تعريفه بالمذكرات حفظه الله .

«... وذكرت متنزهات الدنيا بين يدي أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد فقال : « هذه متنزهات العيون فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ . قالوا : « وما هي ؟ » قال « كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادير أبي العيناء ، قال الأثري حفظه الله : وأنا أضيف إليها رابعاً : كتاب المذكرات ، فهو بدع في كتب هذا العصر ، وما يرجى من نفعه أمتع وأفضل وأغزر .



تمثال نصفي للأستاذ محمد كرد علي

(صنع الفنان عفيف البهنسي)

- ١١٤ -

محمد كرد علي من خلال المقتبس

الدكتور شكري فيصل

- ١ -

تقع مجلة المقتبس من حياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي موقع بداية الشوط في مضمار واسع قطعه هذا الفارس على مدى ثمانين عاماً مباركات أو تزيد، لم يتوقف - أو لم يكد يتوقف - خلالها عن العدو وراء غاياته البعيدة .

والحق أنها لم تكن غاياته في نفسه فحسب ، ولكنها كانت غاياته في أمته .. فلم يكن بينه وبين أمته هذه الفواصل أو الستور .. فتح لها قلبه ، وقصر عليها عقله ، ونذر لها جهده ، وظل حياته كلها يتحرق شوقاً إلى مطامحها ، ويتحرك قدماً نحو تطلعاتها .

ولم يكن في حياة كرد علي حدثٌ دفع به واندفع هو به ، وأنشأ ونشأ به ، ولونه وتلوّن به ، كما كان حادث إصدار المقتبس في القاهرة في هذه الفترة المبكرة من حياته وهو بغادر الثلاثين ، فترة الكمال الفتياء ، ووضوح النماء ، وجمال التفتح .

- ٢ -

وإذا كان هذا موقع المقتبس من حياة كرد علي فإن لها كذلك

- ١١٥ -

هذا الموقع المتميز في حياة الجماعة العربية التي كانت تضي في أول مراحل طريق النهضة .. كانت بدأت تُحسّ وجودها المقبوس في بعض جوانب الحياة : في حياتها اللغوية وحياتها الثقافية دائماً ، وفي حياتها السياسية أحياناً .. وكانت تتطلع إلى وجود جديد يضع العرب في مكانهم من المشاركة والمساهمة ضمن المجتمع العثماني الكبير الذي كانوا يعيشون فيه .. ، وكانت بدأت تتامل .. وكان في إيمان جماعاتها وجمعاتها والمصلحين الذين أخذوا يرفعون الصوت فيها أن العلم وحده هو سبيلُ الجماعات إلى وجودٍ صحيح سليم ، وأنه لا سبيل إلى هذا العلم إلا أن يتصل ما بين ماضي العرب وحاضرهم .. تُشاع الحياة في هذا الماضي وتضاء جوانبه ، ويُحيى تراثه ، ويُعرف أعلامه ، وتدخل لغته دورة الحياة حتى تكون لغة الحياة . ثم تُشق الطرق إلى المستقبل الذي يضع العرب في مكانهم من الإسهام الحضاري والمشاركة الإنسانية .. على الخلاف الذي كان ، بين أن يتم ذلك في وجود عربي مستقل ، وبين أن يكون ضمن المجتمع الكبير الذي كانوا أبعاضاً منه .

وإنما كانت تعمل المقتبس من أجل هذه النهضة الفكرية وتتحرك بها ولها .

- ٣ -

ومن التقاء ما بين موقع المقتبس من حياة كرد علي وموقعها من حركة النهضة العربية العملية تتخذ هذه المجلة الرائدة سماتها وشيائها ، وتكتسب صبغها المميز ولونها الخاص ، وتتحرك على محاور ، بعضها هذه المحاور بما كانت تشاركها فيه المجلات الأخرى وبعضها بما تنفرد به ، لا يشاركها سواها أو لا يكاد .

وتستطيع أن تنظر في المجالات التي كانت تعاصر المقتبس من مثل المنار والهلل والمقتطف .. وستلاحظ أن صاحب المقتبس كان يريد أن يشارك الآخرين في بعض ما يتجهون إليه .. ولكنه كان فيما بينه وبين نفسه حريصاً على أن يتفرد وأن يتميز .. بعض هذه المجالات كان يغلب عليه الطابع العلمي أو السمة الأدبية أو النزعة الإصلاحية السلفية .. ولكن أياً من هذه الطوائع لم يكن يستبد بالمقتبس أو يغلب عليها .. فقد فتحت صفحاتها لهذه الأشياء كلها وكثير غيرها ، على اختلاف واضح في حظوظها من الاهتمام وأنصابتها من الرعاية .

ولم يكن ذلك عملاً عفويًا وإنما كان عملاً مقصوداً .. كان المنطلق والهدف في آنٍ عند كرد علي « السعي في سبيل الإفادة والاستفادة » كما قال في خاتمة السنة الأولى .. وهل هنالك حدود محدودة لهذه الإفادة والاستفادة ؟ .

— ٤ —

هذه المزاوجة بين جملة من المحاور التي سيتحرك عليها كرد علي في المستقبل ، تتمثل في هذه السلسلة من الثنائيات :

أ — هنالك في البداية هذه المزاوجة بين الماضي والحاضر : الماضي العربي الذي يستحق الإشادة به ، والوقوف عنده ، والإفادة منه ، والحاضر العربي الذي يحتاج أن يُعالج ويُداوى .

ب — ثم تكون هذه المزاوجة بين الشرق والغرب : فلشرق روحه وتقاليده التي لا يستطيع أن يخرج منها ، وللغرب نهضته ومدنيته التي لا بد من الإقبال عليها والأخذ منها .

ج — ووراء ذلك هذه المزاوجة بين اللغة العربية واللغات الأجنبية :

فلغتنا جزء منا ، ولكن حاجتنا إلى اللغة الأجنبية جزء من التمهد لمستقبلنا .

د - ثم تكون عند كرد علي بعد ذلك هذه المزاوجة بين القديم والجديد : القديم لأنه آية قدرتنا على المشاركة الحضارية ، والجديد لأنه هذه المشاركة الواجبة .

هـ - وبعد ذلك تكون هذه المزاوجة بين العلم والأدب : الأدب بمعناه العريض هو الذي يغلب على التراث العربي وهو الذي يشغل أكبر الحيز فيه ، على حين أن العلم هو الذي يشغل أكبر الحيز في ميدان المعارف الإنسانية المعاصرة ، ويشكل قطب اهتمامها .

بل إننا لنلمح هذه المزاوجة في جزئيات من هذه المحاور . . ففي نطاق الأدب العربي كان كرد علي كذلك حريصاً على أن يبتعث العرب أديبهم كله . . أديبهم الذي قالوه في المشرق وأديبهم الذي قالوه في المغرب . . ولذلك كان من جهده أن وقف وقفات طويلة عند ابن حزم وابن زيدون على نحو ما وقف عند الجاحظ والقاضي الفاضل .

وفي نطاق الثقافة الغربية كان كرد علي يقرأ الفرنسية ويترجم عنها ويقبس منها كثيراً من المقالات . . ولكن مجلته لم تصنف لهذا المورد وحده وإنما كان حريصاً ، فيما يبدو ، على أن تكون هنالك ترجمات كثيرة عن اللغات الأخرى : مقالات عن اللغة الإنجليزية ؛ وملامح من ملامح المجتمعات الأميركية في شعر شعرائها أو أدب أدبائها .

و حين كانت حركات الإصلاح تتطلع حولها هنا وهناك تلتمس النموذج أو الأسوة ، كان أمام كرد علي فيما تقودنا إليه مقالات المجلة مثلاً يلح عليها : أحدهما من اليابان هذه الدولة الشرقية ، والآخر من أمريكا هذه الدولة التي لم تكن قد انزلت بمدى في مهاوي التحيز ، ولم يكن يعرف العالم منها إلا قسماً وجه بريء .

- ٥ -

وأحسبني - في رصد هذه المزاوجات - دلت على طابع أساسي لا في مجلة كرد علي فحسب ، بل وفي حياة كرد علي كلها .. ولعلي لا أخطيء إن قلت إن هذه الثنائية أيضاً يمكن أن تستقطب على نحو أو آخر ، شخصية كرد علي ، في الذي كان من مواقفها أو آثارها أو سلوكها .

أكان ذلك ضريبة العصر الذي كان كرد علي فيه ، عصر التحولات .. أم كان أثراً للزعة العامية المتساحة التي كان يتحلى بها والتي كانت تقود إلى مثل هذه الثنائية المتوازنة ، لأنها كانت لا ترى أنها وحدها صاحبة الحق المطلق ، وأن الحق مشاع على حد تعبير كرد علي في واحدة من مقالاته .. أم هما الأمران معاً تقدما بكرد علي نحو هذه المواقف المتكاملة ؟

- ٦ -

وقبل أن أمضي شوطاً آخر في دراسة الخطوط العريضة للمقتبس ومعرفة هويتها والكشف عن أبرز ملامحها ، أريد أن أقول إن المقتبس مجلة من نوع خاص .. ليست هي مجلة كرد علي لأنه هو صاحبها فحسب ، ولكنها مجلته لأنه هو الذي كان يشرف عليها ، ولأنه هو الذي كان يختار أبوابها يضيف إليها حيناً ويحذف منها حيناً آخر ، ولأنه هو الذي كان يعدّ الكثير من مقالاتها .. كان يكتب المقال مرة ، ويترجمه مرة ، ويقبسه مرات أخرى .. ولأنه هو الذي كان ينسج صفحاتها سطرًا بعد سطر بما يفكر فيه أو يتحدث عنه أو يحاور حوله أو يقترحه ويراه ويسمعه .

وإنك لتلاحظ واضحاً أنه كان هو المحرر وكان المترجم ، وأنه إذا استعملنا مصطلحاتنا المعاصرة ، كان مجلس الإدارة ورئيس التحرير وكان المخرج ، وأخشى أن أقول إنه كان كذلك المصحح .

ومعنى هذا أن المقتبس كانت هي فكرة كرد علي وكانت عمله ..
أقدم على إصدارها لا يملك إلا قلمه .. ولعله كان يتطلع من وراء الغيب
إلى بعض الأقلام التي تساعد .. ولذلك لم يكن عجباً أن يتلاقى في
الصفحة الأولى من العدد الأول هذان المقطعان :

أما أحدهما فهو هذه الضراعة الحارة التي تعبر أصدق تعبير عن تهيّب
هذه الخطوة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ إِيَّاكَ الْمَفْرُوعُ وَفِيكَ الرَّجَاءُ وَمِنْكَ الْمَدَايِةُ

فاحلّل اللهم عقدة من لساني وعلمي بالقلم ما لا أعلم

كما علمت عبادك المخلصين واهدني صراطك المستقيم »

وأما الآخر فهذا التطلع المؤمل من خلال هذه الدعوة الصريحة :

« فليفضل من أوتوا حظاً من العلم ، فكان همهم نفع الإنسان من

حيث هو إنسان وخدمة المعارف لأنها مشاعة في الأمم نافعة للعِمران

ويعتوا عليها من فيض قرائتهم وثمرات أبحاثهم » .

وما بين هذين المقطعين وما بعدهما كان التعريف بالمقتبس ومذمبها الذي

ستذهب فيه .

- ٧ -

ولكن السؤال الكبير هنا : كيف كان يعمل كرد علي في المقتبس ؟
كيف كان يطمع إلى إقامتها وحده ، والعهده بالمجلات أن ينوء بها العصبه أولو
القوة ، وكرد علي يصدرها في القاهرة وهو بها حديث العهد ، ليس
حوله أحد من أهله الأديتين ؟

١ - إذا تجاوزنا السجايا الأخلاقية الرفيعة التي تتمثل في عزيمة كرد علي
الطموح وإرادته العنيدة .. وذهبنا نتلمس طرائق كرد علي في العمل على

إصدار مجلة في رأس كل شهر تنهض لهذه المجلات الأخرى ذات الجذور الغليظة في القاهرة ، كالمقتطف والهلل والمنار - وجدنا أن كرد علي كان قدرة عجيبة على القراءة والعمل .. كان يكثر من القراءة ، وكان يفيد من كل ما يقرأ .. كان يقرأ بالعربية كما يقرأ بالفرنسية والتركية ، وكان يقرأ المطبوعات كما كان يقرأ المخطوطات .. ومن كل ذلك كانت تستوي له بعض البحوث ، أو يوحى إليه - أريد يلهم - بعض المقالات ، أو يندفع في طريق الاقتباس والترجمة .. قراءاته هي التي كانت تثيره ، وهي التي كانت تفتح الآفاق من حوله .

إن كرد علي يعترف بذلك ويدلّ عليه بنفسه ، وبمثل صراحته .. فهو ينشر مثلاً مقالاً بعنوان : « فتیان يؤلفون »^(١) فمن أين وقعت له فكرة هذا المقال ؟

لنستمع إلى كرد علي يحدثنا عن ذلك فيقول :

« تناقلت الصحف الدورية في الغرب هذه الأيام رأياً للمسيو إميل فاغي Emile Faguet من رجال العلم في فرنسا وأحد الأعضاء الأربعة في المجمع العلمي الباريزي قال فيه : [إنه لا ينبغي للكاتب أن ينشر ما كتب لينفع به الناس قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره - وأرجو أن تذكروا أنه كان آنذاك في الثلاثين - وما هو ، قبل هذا السن ، إلا معلم نفسه وممرّن قلمه] .

هذا الكلام الذي قاله مجمي عريق في الغرب أومض في رأس كرد علي في الشرق وابتعث عنده فكرة جديدة فمضى يقول :

[وقد أذكرني هذا الرأي بأن في أمتنا من نبغوا قبل بلوغهم

تلك المدة المعينة وأفادوا واستفادوا من ثرات عقولهم . ولا يحضرنى الآن من أهل الغرب إلا اسم الشاعرين الانكليزيين كيت وشيلي اللذين قضيا في نحو الثلاثين من عمرهما وقد راق شعرهما كثيراً من الناقدين .

أما في الشرق العربي فقد توفي ابن المقفع صاحب كيلة ودمنة وغيره من الكتب وهو في السادسة والثلاثين ، وتوفي سيبويه وهو لم يتجاوز الأربعين وقد برز في النحو حتى كان من لا يحفظ كتابه لا يعد بشيء في علم الإعراب ..] .

ومضى يكتب مقاله يتابع مثل هذه الأسماء لينتهي إلى هذه الخاتمة :

[هذا ومن يستقر التاريخ يجد أمثلة كثيرة للنوابغ قبل السن الذي ضربه الكاتب الافرنسي . على أن النفع إذا لم يحصل ممن بلغ الرشد فأحتر به أن لا يحصل أصلاً ، وحصول النفع الحقيقي من ثرات أعمال الكاتب قد لا يكون في الثلاثين ولا في الأربعين من عمره ولذلك قيل :

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يفخر فليس له افتخار]

مثل هذا الموقف في مقاله : « فتیان یؤلّفون » نجده وراء مقال آخر بعنوان : « عمیان یؤلّفون » (٢) .. بدأه كرد علي على النحو التالي : [تكاد تكون قاعدة لا تختلف أن من فقد إحدى حوامسه تقوى فيه غيرها ، فمن فقد بصره مثلاً تقوى ذاكرته ، ومن فقد سمعه يشتد إدراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت أنه كان ضريراً ، وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانجليزي وعلمت أنه كان كذلك ، وقرأت ترجمة أبي العلاء

المعري الشاعر العربي وقلت إنه كان مثلها ، وقرأت ترجمة ابن الخطاط - وقع في نفسي أن أكتب مقالاً في عميان صنفوا وأجادوا أيام كان العرب يؤلفون ويجيدون . فمنهم قتادة بن دعامة ..] ومضى يعددهم ويذكر آثارهم . أترون إذاً إلى هذا الذهن اللطاح الذي كان وراء صناعة المقتبس ومقالات كردعلي ؟ .

ب - ولكن كردعلي لم تكن هذه سبيله وحدها .. لم يكن يجوس ماضي العرب بهذا الضوء أو ذاك من الأضواء التي تتوالد عنده من مثل هذه المقارنات .. إنما كان يلجأ إلى الترجمة . ففي مقال له عنوانه : الجنون بالكتب (١) يكتب كردعلي هذه المقدمة القصيرة : [الغالب أن عشاق الكتب كعشاق الجمال أو هم أضل سبيلاً ، فتراهم هائمين خاملين لا يعون على شيء في الأرض ولا يحفلون بعظام الأمور فضلاً عن صغارها ، يجعلون الكتب روحهم وراحهم وربحانهم ، بل فرضهم ونوافلهم وأحاديثهم وأشغالهم . وكل شيء إذا جاوز الحد انقلب إلى الضد . وكذلك الحال بعاشق الأسفار ، فربما جاوز لنفسه السرقة ، ولكن سرقة الكتب ، بل وربما أفتى بحيل ذلك لمن يستفتيه] .

ثم يكشف كيف تأدّت له هذه الفكرة فيقول : [ولقد قرأت فصلاً لأحد كتّاب الفرنجة فأثرت تلخيصه كما يلي . .] ثم يمضي في هذا التلخيص .

وقد يجاوز مثل هذه المقدمة القصيرة التي يهد بها لموضوعه ليمائر الموضوع بعيداً عن هذه المقدمات فيقول : (٢) [من مقالة لأحد علماء الفرنسيين نشرت حديثاً في إحدى المجلات العلمية] ويتابع فيترجم المقال . هذان نحوان استعان بها كردعلي في صناعة مجلته .

(١) المقتبس م ١ ص ٨٥ (٢) المقتبس م ١ ص ٩

ح - أما النحو الثالث فقد جاء نتيجة لاهتمامه بالترات وتطلعه إليه .. كانت تقع له المخطوطة من المخطوطات فيتحدث عنها في باب ، ويتحدث عن مؤلفها في باب آخر ، ويقطف منها هذه المختارات في باب ثالث :

فالوهراني مثلاً « ركن الدين أبو عبد الله محمد الوهراني الجزائري » الذي كان خطيب داربا ، القرية الدمشقية المعروفة ، كاتب من كتّبة الرسائل والإنشاء في دمشق ومصر على عهد صلاح الدين ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية واتصل بالعماد الأصفهاني والقاضي الفاضل ومن في طبقتها . له كتاب مخطوط اسمه منشآت الوهراني .

وقع هذا المخطوط للأستاذ كرد علي فيتحدث عنه في باب « مطبوعات ومخطوطات » وقال (١) إنه [كتاب مخطوط في تسعة كراريس ظفرت به في بعض الخزائن ولا أريد أن أدلّ عليه ، إذ ما كل ما كتب ينبغي العناية بنشره . الكتاب جدّ في قالب هزل ، وعيلم على مثال جهل ، وحقيقة في طرز خيال ، فما رأيت خيلاً من شاردة تُنقل ونكتة تؤثر . وكلام المؤلف على خلطه وضبطه يضحك العبوس ، وقلمها تنقبض منه النفوس ..] .

الأستاذ كرد علي يكتب هذا التعريف وكأنه يفتح الطريق للدراسة الكتاب . ثم ينقل مختارات منه لتام التعريف به في باب آخر هو تفضاة الجيراب « ص ٥٥ » . وصفحات غيرها تحت عنوان خاص هو نكات الوهراني .

د- وأما النحو الرابع من الأخطاء التي كان يسلكها الأستاذ كرد علي في إقامة مجلته فذلك هو هذه المقتبسات التي كان يقبسها من هنا وهناك ،

(١) المقتبس م ١ ص ٥٠ ؛

ومن كتابات المعاصرين بوجه خاص ومن مطبوعاتهم .. كان إذا قرأ شيئاً أعجبه أسرع إلى إثباته .. فهذه صفحات مقتبسة من فصل للمرحوم عبد الله فكري وتلك مقيدة للرافعي يقرؤها في تجارب ديوان يُعدّ للطبع فيضع لها هذا العنوان : من الغزل العصري ، ثم يذيله بقوله : من الجزء الثالث من ديوان الرافعي الذي يصدر بعد أشهر .

ألم يقل كرد علي في فاتحة مجلته معروفاً بها : « إنها نشرة تصدر على رأس كل شهر عربي تقبّس ما تتمثل فيه فائدة صالحة من كلام الثقات الأثبات من مشاركة ومغاربة وقدماء ومحدثين .. » .
ألم يقل في أعقاب ذلك : « وقد سميت المقتبس ولكل شيء من اسمه نصيب !

ألم يكن للمجلة من ذلك أكبر نصيب ؟ .

هـ - وليست المخطوطات وحدها هي التي كانت "مقيدة" كرد علي في صناعة مجلته وإنما كانت المطبوعات كذلك بعض الطرق إلى تغذية المجلة .. فقد كان يظهر الكتاب المطبوع في دمشق أو في القاهرة أو في غيرها من عواصم العربية فيبادر كرد علي إلى قراءته .. وقل "أب" يقرأ كرد علي دون أن يكتب .. ولذلك يكتب عنه في باب مخطوطات ومطبوعات .. يعرضه وينقده وقد يوجه أصحابه .. ويختار منه صفحات أو فصولاً يكتبها في باب خاص هو باب « صحف منسية » .. ثم لا يهمل أن يتحدث عن صاحبه في طالعة مجلته على أنه واحد من صدور المشاركة والمغاربة وهو الباب الذي كان يصدر به المجلة .

و - وليست هذه الأنحاء وحدها موارد كرد علي التي يردها ، ومصادره التي يصدر عنها .. وإنما نجد في المجلة بايين هما أثر من آثار الاقتباس : اقتباس من المجلات الأجنبية سبيله الترجمة ، كما في باب سير العلم أو سير العلم

والمجتمع كما سماه بمد ذلك .. واقتباس من المجلات العربية وسيله
القراءة والاختيار .

ومن الحق أن أقول هنا إن هذه المقتبسات في هذين البابين لم
تكن تتجاوز الجُذى الصغيرة .. لم تكن أبحاثاً في العلم ولا عرضاً
لنظرياتهِ وإنما كانت طرائف من طرائفه . وذلكم هو الذي يفرق ما بين
مجلة كرد علي وما بين المقتطف مثلاً .. ولم تكن الأسطر القليلة من هذه
المجلة أو تلك من المجلات العربية أو الأجنبية إلا اشاراتٍ خاطفةً لبعض
ما يكتب هنا وهناك .

ومن المؤكد أن بعض هذا الذي كان ينشر من هذه المقتبسات كان
يوقد به ناراً يصطلي بها أو نوراً يتدي به .. إن ذلك كان يهد الطريق
أمام كرد علي لتوسعة هذه الإثارات أو الإشارات . فحين نشر مثلاً نبذة
صغيرة من مقال في إحدى المجلات الفرنسية عن حريق مكتبة الاسكندرية
ورثته ذلك سلسلة من المقالات بعد ذلك .

- ٨ -

وكذلك يتبدى لنا من هذا العرض المتمهل أمران : أحدهما الأبواب
الرئيسة في المجلة ، والآخر : كيف كان كرد علي يصنع هذه الأبواب .
ويستقر في نفوسنا أن الرجل كان يملك وقته وكان يملك عزمه ،
وكان يملك قدرته الهائلة على أن يستثمر هذا الوقت خير استثمار ، وأن يستفيد
ويفيد بما يقرأ على خير ما تكون الإفادة والاستفادة .. أو على حد تعبيره
الحكم الذي استعمله ذات مرة : على خير ما يكون الاقتباس والإقباس .
واضح جداً أن منطلق كرد علي الأول في عمله في المجلة إنما هو
قراءاته .. ثم يكون تنوع هذه القراءات بين العربية والفرنسية والتركية ..

ثم يكون تنوع القراءات بين المطبوع والمخطوط .. ثم يكون استثمار هذه القراءات في الأبواب المختلفة على هذه الأنحاء المختلفة : استيعاباً أو استلهاماً ، اقتباساً أو تلخيصاً ، ترجمة كاملة أو مقتضبة ، تحقيقاً أو تمهيداً للتحقيق .

وعلى قدر ما كان من قراءات كرد علي كان من كتابته .. كان أسرع الناس إلى قلمه ، وأقدر الناس على أن يجري به على الورق ، وكان قلمه أسرع الأشياء في تليته لا يسأله تلبساً أو تمهلاً ، وكان أطوع له من بنانه .. لا أرنأ ولا صعّباً ، وإنما كان مذلاً منقاداً .. إنه لم يكن أداة خارجة عنه يستخدمها ، وإنما أضحي جزءاً منه يتحرك به كيف يشاء ويجرّكه كيف يشاء .

وحيث تحدث كرد علي في المذكرات ذات مرة في أنه قد تمر الأشهر لا يكتب فيها صفحة فإن ذلك لا يعني استعصاء القلم عليه ، وإنما يعني أن مزاج كرد علي كان قلقاً ، أو أنه كان يتأني يخمّر ما يريد أن يقوله .. وإلا فقد آخى كرد علي أتم مؤاخاة بين ذاته وعمله ، بين قراءاته وكتابته .. وكأنا كانت كتاباته الكثيرة في المجلة هي الوجه الآخر لهذه القراءات الكثيرة .. كانت استجابة لها ، واستلهاماً منها ، وتطابقاً معها .

- ٩ -

وأحسب أن مثل هذه الاستجابات المتطابقة بين قراءاته وكتابته هي التي تتيح لنا أن نفسر ما كان قد وُجّه من نقد إلى كرد علي .. نقد مكتوب حيناً ونقد متداول حيناً آخر .

خلاصة هذا النقد أن كرد علي كان لا يلتزم دائماً بالإفصاح عن مصادره في جزئيات ما يكتب .

لقد وجه إليه هذا النقد في أول عمله في المقتبس ، على نحو ما سيوجه إليه بعدئذ ، حين ينجز عمله الخالد في إصدار خطط الشام .

في الخطط نشر كرد علي في آخر الكتاب نبأً بأسماء العشرات من المخطوطات والمطبوعات التي اعتمد عليها وأفاد منها في جملة هذا المؤلف الضخم .. ولكنه لم يربط بين جزئيات المادة التي عرضها وتحديد المصدر الذي أخذ عنه ، أو قل لم يفصل فصلاً واضحاً بين ما يكتبه وما ينقله ..

وفي المقتبس اضطر المرحوم رشيد رضا بعد أن رحب بالمجلة أن يقول كلاماً هكذا بعضه : [ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته إلى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه ..] (١) .

ومثل هذا الكلام ونحوه قاله أحمد زكي فيما كتب به إلى الأستاذ كرد علي : [وعندني أن الأجدد أن تترك : قال أحدهم ، وروى بعض العلماء أو أحد الأساتذة ، وتنسب القول إلى قائله مباشرة فإن هذا الباب فتح قديماً باب التلاعب في كثير من العلوم ، وكذلك اليوم فلاغنية لمن يريد أن يخدم العلم عن التصريح بأسماء المنقول عنهم] (٢) .

ومضى على مثل هذا النقد الأب أنستاس ماري الكرملي فقال في خطابه لكرد علي : [عربتم فصلاً عن إحدى المجلات العلمية لم تذكروا اسم المجلة وهو أمر مهم في مثل هذا المقام . وكذلك لم تنوهوا باسم الكاتب الأصلي . وقد تكرر ذلك عدة مرات فأظن أن الأحسن ذكر كل جريده باسمها وكل مؤلف باسمه] (٣) .

وأياً كان الأمر في هذا اللقاء بين قراءات كرد علي وكتاباته ، وأياً كانت وجهته في العزو والإسناد .. فإن الذي ننهي إليه مطمئنين أن مجلة المقتبس كانت مجلة كرد علي الخاصة بصنعها هو بنفسه وعلى عينه .
ولذلك قلّ أن نجد فيها ، وفي سنواتها الأولى بخاصة في القاهرة ، كتاباً آخرين .. هنالك قصائد الرصافي والزهاوي وبعض مقالات لأصدقائه وإخوانه من مثل أحمد زكي باشا وتيمور باشا ، أو لبعض مريديه من مثل الأستاذ محمد لطفي جمعة .. وهنالك بعض الأسماء التي لم تكن معروفة والتي كانت تكتب له من أمريكا أو من غيرها .. وهنالك وهنالك .. ولكن كان هناك دائماً كرد علي الذي يكتب ويلخص ويقبس ويترجم حتى يكاد المرء لا يفرق — لولا بعض الأبواب التي سأشير إليها — بين المجلة وبين صانعها .

- ١٠ -

لقد تحدثت عن المقتبس كيف صنعه كرد علي دون أن أتوقف عند البواعث الأولى . وما أشد ما تمنيت لو اكتملت عندي تمثيل هذه البواعث التي دفعت به نحو هذا العمل .. لقد جاء كرد علي مصر بجرر في صحفها ومجلاتها .. كتب في المقتطف والمؤيد والظاهر واكتسب شهرته من خلال هذه المقالات . فلماذا آثر ، بعد ذلك ، أن يتفرّد بمجلة ينشئها وحده ، ويصدرها وحده ، ويحمل عبء مسؤولياتها المادية (١) والمعنوية وحده .. ماذا كانت العوامل التي دفعت به في هذا الاتجاه الصعب ، وما الذي حمله على هذا الاختيار العسير ؟

(١) في آخر السنة الثانية وأول السنة الثالثة حديث عن التكاليف المادية .

لست أملك رأياً قاطعاً ، ولم أتبين الفكرة الواضحة وإنما هو حدس من الحدس الذي يقع عليه المرء أو يقع له من خلال ما يقرأ ، ويتنامى إلى أعماقه تناهياً لا يدري كيف ابتداءً وأية سلك ولا كيف نما من خلال التتبع .

إن كرد علي - وقد رأى هؤلاء الذين هاجروا قبله إلى مصر وظفروا فيها بالمكانة والشهرة عن طريق الصحافة - لم يراً أنه دونهم قدرة .. لعل شيئاً من شعور المنافسة أو الإحساس بالغيرة كان بدأً بجوك في صدره .. والنجاح ، كما يقولون ، يدفع إلى نجاح .. وقد أرادته صحف ومجلات كثيرة على أن يسهم فيها ، ومقالاته لم تكن سبباً لشهرته هو فحسب ولكنها كانت إسهاماً في تغذية هذه المجلات وشهرتها .. فلعله من هنا بدأ يفكر في عمل مستقل وأمله كان ينظر في هذا العمل المستقل بعين متطلعة إلى المقتطف يريد أن يرازها أو يغلبها .

إن حديثه عن المقتطف في مقالة عقدهما له في المقتبس (١) يشي بذلك وينم عنه ، ولست أريد أن أثبت المقال أو أن أقبسه كآته .. ولكني أتمنى على الذين يُعَتَوْنَ بدراسة كرد علي أن يقرؤوا هذه المقالة فقد ينتهون من ذلك إلى مثل ما انتهيت .

ومع ذلك فإليكم بعض الفقرات :

« .. قل في المشاريع ، ولا سيما العلمية منها ، ما سار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي ، ولذلك قل في أربابها المعامون . أما صاحب المقتطف فعملاً أولاً تحت نظارة أستاذ لها عظيم هو الدكتور كورنيليوس فاندريك

الأميركاني . ولم يخرجوا عن حد الخطأ التي رسمها لهما فكانت صفحاتها بادية ذي بدء قليلة ، وكتابتها لا تخلو من ضعف ، وموضوعاتها بسيطة تتناولها أذهان الصبيان لأدنى نظر . وعلى ما قام من المنشطين لعملها في ذلك العهد من رجال البلاد لم يبلغ المقتطف الغاية التي كانت ترجى له من الانتشار وكثرة الانتصار .

« ... ولقد خيف عليه السقوط أولاً .. ولو لم يمزجا عملها بشيء من التقية والمداراة وبهضا النفس في الأحياء لكانت أقل صعوبة يلقاها مثل هذا المشروع تكفي في إخفاق المسعى .. ولو ظل المقتطف يقبل المناقشة فيما يكتبه لانصرفت وجهته عن الكليات إلى الجزئيات وضاع المقصود من إنشائه فقد نصح لها أستاذهما بالعدول عن خطة المباحثات .. ومنذ ذلك أخذت كتابة المقتطف وأبحاثه ترتقي مع الزمن بكثرة مران القائمين عليه .

« .. وقد عرف المقتطف بحسن التنسيق ولطف الأداء .. كما عرف بحسن الاختيار وانتقاء الموضوعات المفيدة .. وجرى في توقع المناسبات على قدم المجلات الأميركية والانجليزية من إعداد مقالات للنشر في كل آن ومقالات لا تنشر إلا في أوقات خاصة .. ويقول منشيء المقتطف إنه يؤلفه من مجلات كثيرة لأهل الإحصاء من علماء السكسونيين .. »

« بقي أن أقول إن للمقتطف مفاخر لا بأس بعرضها عليه ألا وهي ظهور الغرض في مطاوي ما يكتب .. »

- ١١ -

وسلوكية كرد علي في المقتبس سلوكية رائعة تلفت النظر حقاً . .
والعهد بالناس أنهم لا يحبون النقد .. فإذا بدت منهم رغبة فيه آثروا أن

يكون همساً لا يسمعه الآخرون .. ولكن كرد علي كان يتسلح بخلق رفيع عالٍ .. فقد كان حريصاً، منذ العدد الأول ، على أن يعرف آراء الناس في عمله ، وأن ينشر هذه الآراء .. والمعجب المغرب أنه لم ينشر من ذلك ما يتصل بالتقريظ أو الثناء .. وإنما كان يعمد بين عدد وعدد إلى أن ينشر ما يوجهه إلى المقتبس من نقد فحسب . فهذا هو في خاتمة العدد الثاني مثلاً ص ١١١ محمد ويشكر الذين كاتبوه وشافهوه « من رجال الأمة أجمل شكر وحمد لما تكرموا به من عبارات التنشيط على نشر المقتبس سواء كان بالخطاب أو بالكتاب ، كما نشئ أطيب الثناء على الصحف العربية على اختلاف نزعاتها وموضوعاتها التي ذكرت صدور هذه المجلة ونوّعت بها . ونسأل الله أن يحقق آمالهم وآمالنا ويصلح أحوالهم وأحوالنا .

وهنا نشتر تيمياً للفائدة ما تفضل به صاحب المقتطف وصاحب المنار الغراوي من نقد المقتبس عملاً بالتماسنا منها .. وهالك ما قالوه ... » .

كرد علي إذن كان يطلب النقد طلباً ويلتمسه التماساً .. وكان يذيع هذا النقد في مجلته ذاتها على ما قد يكون فيه من قسوة . وحسبك أن تنظر فيما نشره من نقد المقتطف له لترى أنه قد يسير ما كان أجدره بأن يتجاوز .. وحسبك كذلك أن تنظر فيما كان من نقد المنار لترى كيف وصفه « أو وصمه » بأنه مبتدئ ، وإذ كان وقع على نقاط جديدة بالنقد حقاً .

وتنمّ العبارات التي كان يكتبها محمد كرد علي في تقديم هذه الانتقادات عن تواضع علمي جدير بالتقدير له والثناء عليه .. وعن رغبة جاححة في الإفادة من كل ما يقال عنه أو ينبه إليه .. إنه يقول في مقدمة ما نشر من رسائل منتقديه :

« وفي مأمولنا أن نصلح ما يمكن إصلاحه من وضع هذه الصحيفة وموضوعاتها على الزمن ، حتى يجيء منها ما يفيد ويروق بعون الله وتسديده . ورجاؤنا إلى من أوتوا العلم الرجيح ورزقوا ملكة النقد الصحيح أن يُقَبِّسوا المقتبس من أنوارهم كلها عن* لهم ذلك . ورحم الله من أهدي إلي* عيوبي (١) .. »

ويبدو أن الذين كتبوا إلى المقتبس يُبدون آراءهم فيه آثاروا عنده تحيرته وحملوه من ذلك ما لا سبيل إلى تنفيذه . ويقول هو عن ذلك : « ولقد اختلفت آراء المفكرين والعالمين : فمن قائل باختصار مقالات المقتبس ، ومن قائل بإشباعها وتوفية كل مبحث حقه من الشرح . كما اختلفت المذاهب في أساليب إنشائه : فمن قائل إنه يصعب فهمه على غير المتعلمين أو دون الرجوع إلى المعاجم كما قال بعضهم ، ومن مصرح أن لغة المجلات ينبغي لها على كل حال أن تكون أرقى من لغة الجرائد لأن قراءها من الخاصة أو من يدانيم . ويرى الفريق الأول أنه لا بأس باستعمال ما استعمله العرب من التراكيب أيضاً ويرده بعضهم ويفتده . واعترض بعضهم على استعمال الإشارات الجديدة - يريد إشارات التقيط - قائلين إن ذلك لا يجدر إلا بكتب الأطفال والنساء ، واستحسنها بعضهم وأراد الإكثار منها للإفهام . ورأى بعض العلماء ضبط الكلمات المهمة .. » (٢) .

ولم يتردد كرد علي أن يعترف جهاراً بأخطائه في استعمال بعض الألفاظ والتراكيب ، فقد بدأ ذلك حين نشر رسائل هؤلاء المنتقدين له في مجلته . من مثل رسالة الأب الكرملي وفيها : « وقلتم : التوابل السلططات

(١) آخر الجزء الثالث من المجلد الأول ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦ - ١٦٧

والصحيح أن هذه غير تلك ، وذكرتم اسم الفنتيس بمعنى البرميل ولا مشابهة بين الاثني وكلاهما معروف عندنا باسمه وبميزاته ، وذكرتم النيترات باسم البورق وليس الأمر كذلك وبينها بون بيّن ، (١) .

- ١٢ -

وبعد ، فهل أخرج كرد علي المقتبس أم كانت المقتبس هي التي خرجته ؟ . ما هي هذه الصلة بين المجلة وبين صاحبها .. أيها كان يعمل في صاحبه ويؤثر فيه وكيف كان هذا التأثير وما مداه ؟ . وهل بقي كرد علي في حدود المجلة أم هو جاوز ذلك إلى بعيد ؟ .

في تقديري أن من أروع ما كان من كرد علي أنه استطاع أن يتسامى على عمله في المقتبس وأن يتجاوزه .. لم تقيد المجلة هذا الرجل الكبير .. بدأ بها ولكنه انتهى إلى الانفصال عنها .. إنه استطاع أن يغادر حدود الصحفي صاحب المجلة إلى أن يكون العالم .. ولم يصنع كرد علي المقتبس فحسب وإنما صنع نفسه من خلال المقتبس .

إن الصحافة - وحتى الصحافة الأدبية - تستنزف أصحابها ، تسترققهم وتمتصهم .. إن لها في الاسترقاق سَطْوٌ ظالمٍ ، وفي الامتصاص شرءَ قطعةٍ كبيرةٍ من اسفننج مكثروب .. وكثيرون أولئك الذين يقعون فريسة لها .. فريسة لعملها اليومي المنهك ، وطعماً سائغاً لهذه الاستمرارية التي تطبع الصحافة والتي تفرض على أصحابها قيودها وسدودها .. هم ينشئونها ويضعون خطتها ، وهم بعد ذلك يقعون أسرى لهذه الخطة .. أسرى لا يفتكّون ولا يرغبون هم أنفسهم أحياناً في هذا الافتكك .. اليوم

(١) المقتبس م ١ ص ٣٦٧ - ٣٦٨

يقودهم إلى اليوم الذي بعدد ، والأسبوع مُحْكِم قديم بالأسبوع الذي يليه .. والشهر يجسهم ، لا يخرجهم إلا إذا كان محاقه ، ثم يسلمهم في ليلة مظامة ليلاء ، إلى الشهر الذي يلد منه .. إنهم يعيشون في هذه الحلقة الدائرة ..

ولكن كرد علي الذي كان شديد الإحساس بذاته ، على تواضع حين يطيب التواضع .. استطاع أن يتسامى على الصحيفة أو على المجلة التي أنشأها .. لقد عرف كيف يصنع الشرقة من الحرير دون أن يحتقق فيها .. وخرج منها لينسج طرازاً آخر أو لنقل طرزاً أخرى .. ولقد استطاع أن يكون حجر الأساس الذي يرفع البنيان دون أن يخفيه البنيان .

صفحات المقتبس كانت تجربة في حياة كرد علي في فترة معينة من أجل حياة كرد علي في الفترات التي جاءت بعدها ... والمقال فيما لم يكن مقالاً كما هو الشأن في أكثر المجلات ، ولكنه كان بذرة كتاب .. بذرة منتقاة ونقية .. والتعريف بالمخطوط والوقوع عليه كان بداية تحقيقه .. وترجمة صفحات من كتاب جديد أجنبي بطَّلَع عليه كان طريقاً إلى ترجمة الكتاب كله .

بل لقد كان المقتبس مضماراً لكرد علي بالذات .. ألم يمارس فيه الترجمة العلمية ؟ .. ألم تكن فيه بدايات عملية التحقيق .. ألم يكن باب المخطوطات والمطبوعات نافذته على التراث القديم من نحو ، وعلى متابعة ما يصدر من كتب والنظر فيها من نحو آخر ؟ .

لقد استحالت مجلة المقتبس بعد ذلك مجموعة من الكتب .. بل لاني لأتساءل ما الذي يبقى من المقتبس ، من عمل كرد علي نفسه ، إذا نحن رفعنا هذه الأشياء التي آلت أن تكون كتباً ؟

المقالات التي كتبها أصدقاء المقتبس .. تلك لأصحابها .. وباب سير العلم والمجتمع ، أو باب تدبير المنزل في بعض الأعداد الأولى ، باب تتجاوزه السنون ، ثم هو لم يكن يزيد على النصف الصغيرة والتي كان هدفها ، آن نُشرت ، الإثارة والارتباط بجرعة التقدم ، في التطبيق العلمي بأكثر مما كان هدفها متابعة حركة العلم المحرّد .

أما ما بعد ذلك فإننا نجد في « أمراء البيان » ، ونجده في « رسائل البلغاء » ، ونجده في « القديم والحديث » ، ونجده في « غرائب الغرب » ، ونجده في كتاب « تاريخ الحضارة » .. ولعل بعض ذلك بما نجده في الإسلام والحضارة العربية .

إن ما لم ينشر من كتابات كرد علي في المقتبس على هيئة كتاب ، من مثل ما كتبه في باب مطبوعات ومخطوطات ، استقر في ضمير كرد علي ودخل في مؤلفاته الأخرى على نحو غير مباشر ..

أتراني أستطيع أن أقول بعد ذلك إن كرد علي لم يكن يصنع مجلة وإنما كان يمارس صناعة التأليف التي سيكون لها بعد ذلك في حياته شأن أي شأن .

- ١٣ -

ولكن كرد علي كان في الواقع يصنع مجلة .. كانت المجلة للآخرين يفيدون منها .. كانت لهذا الجيل الذي بدأ يتلمس المعرفة في صورها الجديدة .. سواء في ذلك المعرفة العلمية أو المعرفة الأدبية ، وسواء في ذلك الدراسات الإنسانية المعاصرة في اللغات الأجنبية أو الدراسات الإنسانية في كنوز الأجداد ومخلفاتهم .

ويحدثني الذين كانوا يعاصرون المقتبس كيف كانوا يترقبون صدوره ،

وكيف كانوا يتلقفون أعداده ، وكيف كانوا يتحلقون حول مقالاته وأخباره .. لقد داخل المقتبس حياة جيل كبير من قدامى المثقفين ، فأضاء لهم الطريق وقرن في حياتهم بين معارفهم التي كانوا يعرفون وبين المعارف الجديدة التي أتاحتها لهم .. وداخل كذلك حياة جيل كبير من ناشئة المثقفين آنذاك فأوقد في صدورهم العزم وابتعث عندهم العمل في نطاق الثقافة العربية ، تأليفاً أو نشرأ أو تحقيقاً .. ولقد كان للمقتبس في نفس قرائه مثل الذي كان له في نفس صاحبه .. ولعلها المجلة الولود التي كان ينمو صاحبها وكان ينمي من حوله .. كان يسمو هو وكان يُسَمَّى من حوله .. يرتفع درجات ويرفع الآخرين إلى قريب من هذه الدرجات .

- ١٤ -

تلك خطوط أولى في محاولة دراسة المقتبس . إني أضع ما انتهيت إليه موضع المناقشة .

وكنت على أن أعالج المقتبس المجلة والمقتبس الجريدة .. ثم رأيت أنها عملان من طبيعتين مختلفتين .. واشتراك التسمية بين الصحافة اليومية والصحافة الأدبية لا يجعل منها نوعاً واحداً .. وصدورها عن رجل واحد لا يعني إلغاء الطبيعة الخاصة للصحيفة اليومية الإخبارية والصحيفة الثقافية الشهرية .. هنالك غايات تستقطب أحياناً جهود الإنسان في أي ميدان كان .. كأن تغلب عليه دائماً نزعة إصلاحية أو دعوة فكرية أو سلوك محدود .. ولكن ذلك لا يعني توحد أعماله وانصهارها كلها في شكل واحد .

ولهذا تجاوزت المقتبس الجريدة ووقفت عند المقتبس المجلة .. ثم لما مضيت أعرض المجلدات الثمانية والمددين اليتيمين بعدها ، وهي كل ما صدر منها على مدى عشرة أعوام أو تزيد توقفت خلالها المقتبس عن الصدور مرتين ،

لما مضيتُ أعرض هذا بعد العرضة الأولى استبان لي أن المجلدات الأولى التي صدرت في القاهرة تشترك مع المجلدات الأخرى التي صدرت في دمشق ، ولكنها تختلف عنها بقدر ما تتفق أحياناً .. تغير الرجل لا شك بعد عقد من السنين .. لقد بلغ الأربعين واكتسب تجربة وخبرة وسفراً .. فقد رحل إلى الغرب ورأى بعينه هذا العالم الذي كان يقرأ عنه .. وقامت أحداث تاريخية خصبة من مثل إعلان الدستور العثماني ، واختلفت عليه البيئة من حوله بعض اختلاف .. فما كان في القاهرة لم يكن في دمشق على تواصله مع إخوانه وأصدقائه في القاهرة .

وكذلك استقر عندي أن من الخير لهذه الدراسة ومن الإحكام لأحكامها أن اقتصر على السنوات الثلاث التي صدرت في القاهرة .

واذن فإن الكثرة الكاثرة بما انبثتُ إليه من نتائج ووقفت عليه من ملاحظ في هذا الذي أقوله اليوم إنما هي للمقتبس القاهري . وتطابق ذلك مع المقتبس الشامي يحتاج إلى فضل تبسع وعمق قيران .

- ١٥ -

وبعد ، فقد كان علي أن أقف عند جملة من النقاط الأخرى التي أغفلتُ عامداً الحديث عنها كأن أتمهل بخاصة عند المقالات التي كان يصدر بها أعداد المجلة والتي كان لها عنوانها الثابت : صدور المشاركة والمغاربة .. وأن أتساءل كيف كان يختار هؤلاء الصدور .. أكان ذلك عفواً من العفو أم قصداً من القصد .. أكان أثراً لما يقع بين يديه أم كان عن خطة وهدف .. على وضوح الهدف وغياب الخيطة .. ولكنني لم أهتم في ذلك إلى ما أطمئن إليه .

وفي المجلة كتّاب : بعضهم كان يكتبني بالحرف الأول من اسمه لم أهتم كذلك إلى معرفة بعضهم .. وليست تلك هي القضية الأولى وإنما دراسة هؤلاء وتصنيفهم تبعاً للمادة التي كتبوا فيها والموضوع الذي طرّقوه ، أو تبعاً لثقافتهم ومنازلهم تطرح بعض التساؤلات وقد تقود بعض هذه التساؤلات إلى بعض النتائج .

- ١٦ -

وعلى أن دراسة أسلوب كرد علي البياني أمر لا يستغنى عنه . وعلى أنه لا يمكن أن يستفاد من خلال ما نشر في هذه السنوات الثلاث في المقتبس فحسب .. على هذا وذاك فأنا أحب أن أشير إلى أن الباحثين متفقون على أنه خرج على السجع وثار عليه وآثر الأسلوب المرسل . ولكنه مع ذلك كان له في الكلمات التي يكتبها في بداية كل سنة ، وفي نهايتها أحياناً أسلوبٌ هو أقرب ما يكون إلى أسلوب فرسان النثر العربي .. بعضه من الجاحظ ، وبعضه من التوحيدي ، وبعضٌ من ابن المقفع ، وبعض من نثر القرن الرابع .. وكان كثيراً ما يحليه ببعض السجع .. ولكنه هذا السجع الحرّ المطلق إن صحّ هذا التعبير ، وبعض البديع الذي يظلّ يصدر عن إيثار الفكرة لا عن تغليب اللفظ . وسمعوا ما يقوله في فاتحة السنة الأولى :

« وستنكب - أي المجلة - في مسطورها مذاهب المذاهب والنحل ، وتتجافى عن طرّق طرّق السياسات والدول ، حتى تصفو ، وواردها من النزعات والنزعات ، ولا يستهويها في جانب ما تعتقده الحق وأزع ولا منازع ، تمحض للعلم المحض فلا يتخرج من تلاوتها الموافق والمخالف ، ولا يتبرم

بها العارف والعايز ، وتنطلق في الفكر وتتجوزز في الاقتباس والنشر ، وتُدْرَجُ في مطاويها ما وافق أغراضها ومغازيها .. ، (١) .

لقد أثار هذا المقطع صديقه العلامة الأمير شكيب ارسلان .. ذلك أن كرد علي لم يحاف السجع فيما كان يكتبه فحسب بل أنكر ، فيما كان يكتب أصدقائه ، أن يقع لهم شيء منه .. ولذلك أصاب منه الأمير شكيب هذه الدعابة حين كتب إليه في أعقاب قراءته للعدد الأول ؛ قال : (٢) « وآنت في نفسك انشراحاً ونشاطاً ، وقلة في كمية السوءاء والنخطاطا . يدل على ذلك في مجلتك فكاهات رويتها ، ومداعبات أثرتها ، وأسجاع ملت اليها . متى كنت يا محمد مولعاً بالسجع ! عهدي بك لا تطيقه ، وإذا مررت بالجناس ولو تمثل لك واقفاً رفته برجلك وأكسبتته لوجهه . وطالما نسقمت علينا التسجيع ، وأمت علينا من الذكر بعدد أنواع البديع ، وعددت سجع الحمام من قبيل فجّع الحمام ، واعتبرت نفائس الجناس من وساوس الجناس . فهانذا أسجع الآن ولا حرج علي منك ولا تريب ، وأجنس وأنت ساكت ساكن وهذا أمر غريب .. فهل هداك الله إلى الصواب الآن حتى صرت في مذاهب المذاهب وطرق الطرق » ، أو هل نزلت بك نزغات جداد ، وجددت بك أهواء لم تكن تعتاد ، أو لعلك حصرت السجع والجناس في فاتحة المجلة لأنها من المجلة كقاعة الاستقبال من البيت ، فلا بد فيها من مراعاة الأمور الرسمية والسجع رسمي في المقدمات .. ولا عيب في هذه المقدمة إلا هذا السعدان الذي في آخرها (٣) .

(١) وقرأ بقية المقدمة . (٢) المقتبس م ١ ص ١٦٨

(٣) كان كرد علي ختم المقدمة بقوله : سبحانه وسعدانه .

لاتؤاخذني بالله عليك فلي عندك ثارات ، وبصدري من حماسة الجأجلان
حزازات ، وأنت منصف فلا ينبغي أن يثقل عليك الحق كما يثقل على
غيرك .. الخ .

وددت لو قرأت عليكم فاتحة السنة الثانية وفاتحة السنة الثالثة كذلك ..
لكني اكتفي بهذه الإشارة إليهما والإشادة بهما .

* * *

وبعد ، فقد قلت إن كرد علي حين كان يصنع المقتبس للناس كان
يصنع لنفسه كتبه .. أفيجق لي أن أضيف أنه كان كذلك في الحين نفسه
يضع البذور الأولى لمجلة مجمع اللغة العربية ؟ ..

أكانت مجلة المجمع في منبجها العام وفي انشعابها على هذه الأبواب
الثلاثة : المقالات ، والنقد والتعريف ، والآراء والأنباء إلا تهدياً لشكل
المقتبس ؟ . أكانت مجلة المقتبس إرهاباً بمجلة المجمع أو تهدياً بين يديها ؟ .
أفلا يجق لنا إذا نحن الذين نفيد ونستمتع ونقبس من مجلة المجمع
أن نذكر مقتبس كرد علي دائماً وأن نتوجه إليه بالتقدير المتجدد العميق ..
وهل كان هذا الاحتفال إلا تجسيداً لهذا التقدير ؟ .

سنظل أيها السادة نحار أيها كان أكبر : قدرة هذا الرجل على العمل
أم قدرته على التأثير المتصل الذي تجاوز حياته وعصره إلى عقود وعصور
تأتي ستظل تشهد له وستظل تحتفل به وتفيد منه ما ذكرت الأجيال
العربية تاريخها وافتها .. وهل ينسى العرب تاريخهم وافتهم ؟ .. ما كان
ذلك ولا كان ولن يكون إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذكريات وآراء عن الأستاذ محمد كرد علي

الدكتور فيصل دبدوب

رحم الله الأستاذ محمد كرد علي رحمة واسعة ، فقد ترك فقده فراغاً لا يملأ وخسارة لا تعوض .

عرفت الأستاذ الرئيس وأنا طالب في كلية الطب بجامعة دمشق (الجامعة السورية) في مطلع الأربعينات ، إذ كنت أحرص على أن لا تفوتني محاضرة له ، فكانت أبكر في الحضور إلى الجمع العلمي العربي لأكون في الصف الأول حيث كانت قاعة المحاضرات في العادلية سرعان ما تكتظ بالحاضرين من الشباب المثقف ومن شبان شيوخ الدين ، ولم أجد حيلةً بيضاء بينهم إلا ما ندر ؛ وقد عرفت سبب ذلك بعد تعرفي إلى الأستاذ إذ قال لي ذات مرة إنه كان حرباً على الجامدين من رجال الدين ، وهذا هو سبب القطيعة . أما المرأة فقليلاً ما كنت أرى من هذا الزوج (الجنس) بين المستمعين في قاعة المحاضرات إلا في محاضرة عن المرأة عنوانها « القول في حقوق المرأة » ألقاها في ٢٢ حزيران عام ١٩٤٤ م ، فقد كان عدد من آنذاك ليس بالقليل .

خبرت الأستاذ الرئيس من محاضراته عالماً غزيراً ، ولغوياً قديراً ، ومؤرخاً منصفاً ودقيقاً ، قبل أن أجلس إليه أستمع إلى آرائه ، وقبل أن

أقرأ مؤلفاته وآثاره . وحبب إلى نفسي سماع محاضراته حسن إلقاءه ، ودقة ألفاظه ، وجودة تلفظه ، وتأنقه في أداء القول دون تصنع ، وتلون أسلوبه بتنوع موضوعاته ، حتى لتخاله الفنان يلبس كل واحدة من حسانه ما يناسبها من طرز وألوان أبدعتها ريشته . وأسلوب الأستاذ له طابع خاص - رغم تلوته - يضمه في إطار ؛ فهو سهل ممتنع أشبه بأساليب البلغاء في صدر الدولة العباسية كمبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيد ، وهو رقيق دقيق مسترسل غاية أداء المعنى دون تكلف أو حشو ؛ فهو في هذا أشبه بكتّاب الاجتماع والفلسفة في الغرب من أمثال فولتير ، وروسو ، وسبنسر ، ورتان . يضاف إلى هذا ما رصع به بعض بحوثه من مصطلح حديث وضعه المجمع العلمي العربي أو غيره لمسميات حديثة ؛ فجمع في أسلوبه بلاغة العرب ودقة أساليب الغرب .

لقد زادني خبرة في الأستاذ جلوسي إليه في مكتبته بالمجمع العلمي من حين إلى حين كلما رفعت إليه رسالة أو مقالاً من خالي الدكتور داود الجلي - عضو المجمع آنذاك - . ومن ذكرياتي أني زرته مرة وكان لا يقرأ ولا يكتب خلاف ما كنت أجده عليه قبلئذ من انغمار في التدوين وانغماس في المطالعة ؛ وقد استهل حديثه معي قائلاً : أنا الآن في حوار مع نفسي في أمر مهم كل مخلص في حبه لهذه الأمة ، والحوار يدور حول السبل والوسائل التي توصل أمتنا إلى ما تصبو له من مجدٍ ومنعة : قلت أجل وما هي ؟ قال : إحياء التراث والعلم والنظام ؛ فلأجداد كنوز يجب أن نظهرها للناس لنبين دور الحضارة العربية الإسلامية في التاريخ الحضاري للعالم ، وعصرنا عصر علم ، فعلياً أن نباري الغرب فيه ، والعلم والنظام دعائمنا التمدن الحديث ، ووضعها نصب أعيننا واجب علينا تحقيقه ،

فإن فعلنا ذلك كنا جديرين بالحياة ، وإن لم نفعل فقد خنا الأمانة فحقت علينا لعنة الجدود .

وبالحق فقد وفي الأستاذ مع الأجداد حين دعا إلى احياء التراث ، فأزر الباحثين - عن طريق المجمع - وبعث هو نفسه بعض المخطوطات من مرقدها فأخرجها من طواميرها وحققها وقدمها للباحثين ؛ وهي : « رسائل البلغاء » و « سيرة أحمد بن طولون » و « حكماء الإسلام للبهقي » و « المستجد من فمات الأجواد » و « كتاب الأشربة » و « كتاب اليزرة » .

قلت إن الأستاذ دعا إلى التزود بالعلم والتمسك بالنظام وتجد دعوته هذه مبثوثة في كتبه : « غرائب الغرب » و « القديم والحديث » و « أقوالنا وأفعالنا » و « المذكرات » . وفي مقاله الذي ألقاه في المجمع في « ٧ أيار عام ١٩٤٣ م » وعنوانه : « أسباب انحطاطنا » .

وفي لقاء مع الأستاذ الرئيس سألني عن مسقط رأسي الموصل ، وعن القطر العراقي من حيث الآثار الإسلامية الباقية والمخطوطات والمناخ والحاصلات على اختلاف أنواعها والسكان والعمران وما إلى ذلك ؛ وبما قاله لي في سياق حديثه إن جده قدم دمشق من العراق للتجارة ثم اتخذها دار مسكن ، فلا عجب أن أحب العراق وأهله ، ولا عجب أن توسع في السؤال عنه وأسهب ، فالمرء يحن إلى موطن الأجداد بالفطرة . وقد سألته عن أرومته فأجاب أنه كردي عربي مسلم ، فعجبت ، واستنرد قائلاً : إن عجبت فلا عجب في الأمر ، فوالدي وأجدادي من الأكراد ، وليس للمرء في أرومته الخيار ، فأنا كردي العرق ، عربي الفكر والقلب واللسان ، مسلم العقيدة ، وليس لأي لغوي متعمق في لغة الضاد ، دارس

مؤرخ راسخ في دراسة التاريخ الحضاري لهذه الأمة إلا أن يكون عربي القلب والفكر والهوى ، مهما كان محتده ومهما كانت عقيدته .

فالأستاذ مسلم سلفي دافع عن الإسلام فكان حرباً على من يطعن فيه أو يغمزه من مستشرقين وغيرهم ؛ والأستاذ عربي اللسان والفكر والهوى ، لذا كان حرباً على الشعوبيين وغيرهم من ذوي الأغراض .

سألت الأستاذ مرة عن رأيه في رسالة كان قد أرسلها إليه الدكتور داود الجلي في إصلاح الكتابة العربية باستعمال الحروف اللاتينية وعنوانها « رسالة تبسير القراءة والكتابة في العربية باستعمال الحروف اللاتينية » المرسل / مطبعة آل حداد / ١٩٤٥ ، وكان قد أرسل نسخاً منها إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة أيضاً ؛ قال الأستاذ : إن رسالة خالك ليست الأولى في هذا الباب ، فقد قدم الأستاذ عبد العزيز فهمي رسالة في هذا الموضوع إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ، وكنت ضد فكرة استبدال الحروف العربية باللاتينية ولا أزال . أنا أعلم أن الدكتور داود الجلي والأستاذ عبد العزيز فهمي ليسا موضع شك في إخلاصهما للأمة العربية وللغة الضاد ، وأن اقتراحها هو اجتهاد ، ولها منه ما لمجتهد إن أخطأ أو أصاب ؛ ولكن لو قدر لهذا الاقتراح النجاح - وهذا احتمال بعيد - لحسرتنا تراثنا من المخطوطات العربية التي هي كنوزنا ، بها نعتز وبها نباهي الأمم ، وبها نظهر ما أضفنا من حلقات في سلسلة تاريخ الحضارة العالمية ؛ ثم أردف قائلاً : لقد أبديت رأبي للدكتور بصراحة في هذا الخصوص بكتاب أرسلته إليه .

أشاد الأستاذ الرئيس بالحضارة العربية ودافع عن الإسلام والعروبة ، وتجد تفصيل ذلك في أثره الخالد على الدهر كتابه « الإسلام والحضارة

م (١٠)

العربية ، ؛ إن في هذا الكتاب من الصفحات المشرقة ما يجعله من أوسع المراجع في الحضارة العربية الإسلامية لكاتب عربي مسلم قدير متبحر . أحب الأستاذ الرئيس العرب وحضارتهم وأراد أن يترجم حبه فكان كتاب « خطط الشام » ، وقد أراده أن يكون تاريخاً سياسياً ومدنياً مطولاً للديار الشامية فعمل له خمساً وعشرين سنة طالع خلالها زهاء ألف ومائتي مجلد باللغات العربية والفرنسية والتركية ، وقد أخرجه في ستة أجزاء .

وأحب دمشق ووطنها فأخرج كتابه « دمشق مدينة السحر والشعر » . فكان من إخلاصه لعقيدته ، ووجه لغته ، وتعلقه بتربة وطنه ومسقط رأسه ، هذه الثمار التي قدمها لأبناء الجيل ، والأجيال الصاعدة من الناطقين بالضاد . فحق علينا تسميته بأستاذ الجيل .

ولئن كان الأستاذ مربى الجيل بالفكر والمعرفة ، فهو مربيه بالنفس والخلق أيضاً ، فسيرته تعلم الوفاء والصدق ، والصبر والجلد ، فقد عشق العمل بسند إليه أو بسنده هو إلى نفسه ، فبهبه كل قلبه وكل تفكيره وكل حديثه ، وإن شئت فقل كل أحلامه . أسندت إليه رئاسة المجمع فكان — كما حدثني مرة — شغله الشاغل ؛ هو أجدوته وهو شكواه وهو مفخرته ، وكيف لا يكون له مفخرة خالدة على الدهر والمجمع هو الذي خدم اللغة بعجلته ومحاضرات أعضائه ، وبما عرب ووضع من مصطلحات في العلوم والفنون ، وبما نشر من مخطوطات وطبع من نفايس ؛ فبعث الإيمان في نفوس المثقفين بالماضي القديم والمستقبل القريب .

إن سيرة الرجل تعلم الوفاء والصدق كما قلنا ، فقد كان وفياً مع تربة الوطن ولسان الأمة وعقيدة الملة ، وصادقاً في حبه للحق والحقيقة .

جدُّ وقت العمل لا يعرف دعة ولا يستوطن راحة ؛ وإن ركن إلى راحة بعد جهد ، أو قبل جهد ، ربما مال فيها إلى الدعابة والنكته ليخفف عن نفسه أعباء العمل الذي قام به أو الذي ينتظره .

لقد أفادته رحلاته في بلاد الغرب فزادت في حبه الاستقصاء ؛ فتراه في عمله يستقصي دقائقه ويستشف بواطنه ويدير بيده دقيقه وعظيمه ؛ ولا يطمئن لشيء لم يشرف بنفسه عليه ؛ فالناس منه براحة وهو من نفسه في عناء . وشأنه في التأليف شأنه في العمل سواء بسواء .

والأستاذ كما عرفته ظهرة ، يشف ظاهره عن باطنه ويتمثل قلبه في لسانه . عمله في النور دائماً ، صدق في القول ، وصراحة بجرأة ، وإرادة جبارة ؛ لا يبالي من يعادي متى صادق الحق ؛ يرد من طلب منه غير الحق في أناته ، فإن أعاد الطلب رده في جفاء وغلظة .

لقد زرت مرة الأمير مصطفى الشهابي في مكتبه ، وكان آنذاك رئيساً للمجمع ؛ ودار الحديث عن جهود محمد كرد علي في تأسيس المجمع العلمي العربي ، وبما قاله الأمير الشهابي بحق الأستاذ الرئيس : « لو لم يكن لمحمد كرد علي من فضل على الأمة العربية ولغتها إلا إيجاد المجمع ورعايته لكفاه فخراً . لقد خسرنا بفقده عظيماً لا يجود الزمان بأمثاله إلا بشح » .

فأسألك اللهم - كما سلبت الأمة العربية عظيماً من أعلام الفكر - أن تعوضها عظيماً ، وأحسن إليه كما أحسن إلى أمته .

محمد كرد علي وعلاقته بالعلماء والكتّاب العراقيين

الأستاذ عبد الرزاق الهلالي

أيما الحفل الكريم :

إن التصدي للكتابة عن المغفور له ، الأستاذ محمد كرد علي ، مهمة شاقة — بالنسبة لي على الأقل — لأن تعدد صفحات حياته ، وتشمب مجالات نشاطه ، في شتى ميادين العلم والمعرفة ، تترك الراغب في الكتابة عنه ، في حيرة من أمره ، لا يدري من أين يبدأ ، وإلى أين ينتهي .

إن هذه الشخصية الفذة ، التي لها هذا السجل الحافل ، في حقول الدين والتاريخ والأدب والسياسة والصحافة والاجتماع ، يصعب على أمثالي إيفائها حقها ، بل إذا كان زملاؤه الذين زاملوه وعملوا معه ، وعرفوه من كتب يتهيبون من ذلك ، فأنسى لي ، وأنا الذي لا أحفظ له في ذهني إلا صورة ذات لمحات خاطفة ، وإلا معلومات قليلة ، عن حياته الزاخرة بالماثر والمفاخر ؟ أقول : كيف يتسنى لي بعد كل هذا ، أن

أستجيب لدعوة الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، فأتجراً لكتابة كلمة بمناسبة الذكرى المثوية لميلاد هذا الرجل العظيم !؟

ولكنني بالرغم من حراجة موقفي ، وترددي في الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة ، آثرت أن أزعج نفسي في هذا الحضم ، كيلا أحرم من شرف الإسهام في تخليد ذكر هذا العالم الجليل .

وفي ضوء ما تقدم ، جعلت حديثي عنه بهذه المناسبة ، خاصاً بعلاقته ، رحمه الله ، بالعلماء والكتاب العراقيين ، منذ مطلع هذا القرن حتى وفاته ، في عام ١٩٥٣ ، لا لكونه عراقي النبت ، كردي الأرومة ، بل لكونه في طبيعة المعنيين بالفكر العربي الإسلامي ، المقدرين لكل ما ينتج هذا الفكر أو يدع ، في حقول العلم والمعرفة . ولكنني قبل الدخول في هذا الحديث ، أرى لزاماً علي ، أن أشير إلى أن كثيراً من صفحات هذه العلاقة ، قد ضاع بعد وفاة أصحابها ، أو أن معظمها لا يزال معطوراً بين مخلفات هؤلاء العلماء والكتاب والشعراء ، فإذا لم يأت هذا الحديث مستوفياً معظم صفحات هذه العلاقة ، فمذري في ذلك واضح .

ومها يكن من أمر ، فإن الذي تؤكدُه الوقائع ، هو أن أولى حلقات هذه العلاقة التي تلاحت بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين إخوانه العراقيين ، بدأت منذ أن أصدر مجلته ، المقتبس ، في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، واستمر منذئذ يزيد هذه الحلقات ، ويقوي من ترابطها ، لا سيما بعد رجوعه إلى دمشق ، ثم توليه رئاسة المجمع العلمي العربي ، فيها فترة طويلة من حياته .

وقد أوصلنا البحث إلى أن المغفور له ، الأب أنستاس ماري الكرمل ،

كان في مقدمة العلماء العراقيين الذين اتصلوا بهذا الصحفي الأديب ، عندما أخذ يبحث له بتتاج فكره ونثار قلمه ، منذ العدد الأول من هذه المجلة الرائدة ، وقد أحصى الأستاذ البحائة كوركيس عواد ، المقالات والتعليقات التي كتبها الكرمل على صفحاتها فاذا هي عشرون مقالة وتعليقاً (١) ، وكان آخرها ، مقاله المنشور في الجزء السابع الصادر في سنة ١٩١٢ بعنوان « وصف كتاب : جامع التعريب بالطريق القريب » .

وليس من شك في أن هذه الصلة الأدبية ، ومن ثم صلة العمل المشترك في رحاب المجمع العلمي العربي ، قد زادت علاقتها قوة ورسوخاً ، انمسكت آثارها في كثير من المواقف والمناسبات . وأذكر منها على سبيل المثال ، ما كتبه الكرمل ، حين أصدر صديقه ، الجزء الأول من كتابه الشهير « خطط الشام » ، في سنة ١٩٢٥ ، إذ قال :

« وضع العلامة الكبير ، صديقنا ، محمد كرد علي ، سفيراً سيكون له أبد الدهر ، أثر فخر وذخر ، كما سيكون مستمداً لكل من يأتي بعده ، ويكتب شيئاً مفيداً عن سورية . لمثل - خطط الشام - لا يتصدى إلا طائفة من العلماء ، تفرغت للتاريخ والجغرافية والملم والأدب ، وما يتشعب أو ما يتولد من هذه الأمهات ، إذ مثل هذا التصنيف في عصرنا يتطلب وقوفاً تاماً على ما كتب في مواضيعه المتشعبة ويختار منها ما يوافق الصدق والتدقيق ، وهذه الأمور لا تتيسر إلا لنفر يعد على الأصابع . ولما كان بعض الرجال قد رزقوا حظاً وافراً من المواهب ، حتى ان واحدهم ليقوم بما يروح تحت عبئه جماعة ، رأينا حضرة الصديق ، في

(١) الأب أنتاس ماري الكرمل حياته ومؤلفاته كوركيس عواد بغداد ١٩٦٦

مقام عدة رجال ، فتولى بنفسه وضع هذا المصنف الفذ من نوعه ، وشحن فوائده بل فرائده ، فجاء حافلاً وافياً بما انتدب له ، فأدى هذه الخدمة أحسن تادية . « (١)

وظهر لنا بعد ذلك ، أن صلة قوية قامت بين محمد كرد علي وبين عدد من كبار شعراء العراق ، وفي مقدمتهم الشاعران الكبيران ، معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ، فقد أفسح لشعرهما صدر مجلته ، لأنه كان يرى في هذا الشعر ، ما يرقص ويطرب ويهذب ! ومن طريف ما وقفت عليه من صور تمثل العلاقة بينه وبين الأستاذ الرصافي ، هذه الصورة التي وردت في حديث الرصافي الذي أجراه معه المرحوم كامل الجادرجي سنة ١٩٤٤ إذ قال :

« في هذه الفترة من حياتي التي قضيتها في التدريس في (الاعدادي ملكي) وهي لا تتجاوز الثلاث سنوات ، صرت أبعث قطعاً من شعري إلى مجلة «المقتبس» التي كانت تصدر في مصر ، لصاحبها محمد كرد علي - وكان يحرر في جريدة المؤيد اليومية أيضاً - فصرت أنا والأستاذ جميل صدقي الزهاوي ، نرسل قطعاً من شعرنا فينشره في المجلة ، وفي بعض الأحيان في جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف أيضاً .

ويظهر أن الأستاذ كرد علي ، كان معجباً بشعري ، فنشر قصيدتي بمجل بارز من مجلته بعنوان «أكبر الشعر» وكانت المقطوعة - اليتيم في العيد (٢) .

(١) لغة العرب ، عدد شهر آذار سنة ١٩٢٧

(٢) ومطلع هذه القصيدة هو :

أطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الأفراح تضي وترجع

ويظهر أن الزهاوي ، اغتاز من ذلك ، لأنه بعد اطلاعه على هذا النشر ، انقطع عني ، وصار لا يكلمني ولا يراجيني مدة من الزمن . كما روى الرصافي ، قصة أخرى ، تكشف عن هذه العلاقة أيضاً إذ قال :

« وكانت القصائد تصل إلى أميركا في ذلك الوقت ، وكان في أميركا جريدة لصاحبها « نعوم البعلبكي » اللبناني ، وكان يقتبس هذه القصائد وينشرها في جريدته « المناظر » ، فكتب يوماً مقالاً قال فيه : « إن معروف الرصافي ، اسم مستعار ، لا اسم لشخص حقيقي » وأورد أدلة على ذلك منها قوله « إنه لا يمكن في البلاد العثمانية ، أن يقوم رجل وينشر هذه القصائد ، وتتركه الحكومة وشأنه ولا تعمل له شيئاً » .

فكتب له محمد كرد علي ، كتاباً خاصاً يقول له فيه « إنك مخطيء ، لأن معروف الرصافي رجل حقيقي ولنا معه مكاتبات وهو في بغداد » .

فنشر البعلبكي هذا الكتاب في جريدته وعلق عليه قائلاً : « إننا لانسلم لمحمد كرد علي بهذا القول ، مالم ينقض الدليل الذي أقمناه على ادعائنا » .

ثم يقول الرصافي : فأرسل كرد علي ، إليّ هذه القطعة وكتب فيها يقول : « ان يافلان ، اترك هذا الرجل وما يقول ، لأن الرجل يخدمنا من هذه الناحية ، فلماذا ننبه الحكومة على أن هذا الاسم حقيقي ، وهذا يسبب اضطهادنا ؟ » .

إن ما يرويه الرصافي يؤكد ما كان بينه وبين محمد كرد علي من علاقة قوية ، وقد ظهر لنا أن هذه العلاقة ذات قوة ومثانة بهد لقائهما

في استانبول ودمشق ، ولا سيما بعد أن اختاره عضواً في مجمع دمشق
بُعِيد قيامه .

و كدليل على تقدير الرصافي لصديقه وإعجابه به ، نثب هذه المقطوعة
الشعرية التي نظمها فيه وأرسلها تحية له إذ قال :

تعودتُ إنشادي القريض المهذبا	ونزّهت نفسي منه أن أتكذبا
ومن أجل حبي للحقيقة لم أكن	مع الزمن الغاوي إذا ما تقلبا
ومن أجل جهدي في استقامة منطقي	أبيئتُ لرائي أن يكون مذبذبا
وسافرت في البلدان طورا مشرقا	أرود العلى فيها وطورا مغربا
وصاحبت من عرب وعجم أفاضلا	بهم كنت في شتى المواطن معجبا
فلم أر في عرب وعجم لقيتهم	كـ « كرد علي » في الرجال مهذبا
هو العالم الحبر الذي كنت مغرما	بآدابه منذ الشيبية والصبأ
فقد كان في مصر ، صرير يراعه	يؤانسني بالمتع الغض مطربا
وكم كنتُ في الآداب والعلم كاشفا	بـ « مقتبس » من نوره ما تحجبا
إلى أن أثار الشام ، بالعلم عندما	لجمعنا أمسى الرئيس المرتبأ
إذا معجبات العلم عنّت فلا ترى	سواك إليها يا (محمد) معربا

* * *

أما علاقة شاعرنا الزهاوي بالأستاذ محمد كرد علي ، فلم تكن لتختلف
عن علاقة الرصافي ، إذ كان ينشر قصائده ومقطوعاته الشعرية على صفحات
مجلته باسمه الصريح تارة وباسم مستعار تارة أخرى .

وكدليل على متانة تلك العلاقة ، نذكر بأنه عندما مرّ بدمشق ،
وهو في طريقه إلى مصر سنة ١٩٢٤ ، أقام له صديقه كرد علي ، حفلة

تكريمية في رحاب مجمع اللغة العربية ، احتفاء به وتقديراً لمنزلته وشاعريته ،
فألقى الزهاوي في هذه الحفلة قصيدته التي مطلعها :

ظننت بأن الشعر يغني فما أغنى وكم شاعري في موقفٍ أخطأ الظنا
أشاد في بعض أبياتها بالمجمع العلمي قائلاً :

أرى المجمع العلمي خير وسيلة ليزداد ذوعلم على شأنه شأننا
أرى المجمع العلمي يستثمر النهى أرى المجمع العلمي يستحضر الذهنا
سيجني شباب الشام منه فوائداً وعلماً لهم ، والعلم أحسن ما يجني
وإني لفضل المجمع اليوم ، مكبر فقد جاد بالعلم الغزير وما ضنا
سيشكر ما للمجمع القوم من يد كما شكرت أرض على الوابل المزننا
فبالعلم يُبنى المجد في كل أمة وأما بغير العلم ، فالجد لا يبني

* * *

وهكذا منذ أن تولى الأستاذ كرد علي ، رئاسة هذا المجمع العتيق ،
راح يرشح لعضويته من يعرف من العلماء والكتاب والشعراء العراقيين ،
فكان أول من رشح منهم ، علامة العراق المغفور له السيد محمود شكري
الالوسي ، والمحقق المدقق المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي . ثم
تتابعت على مرّ الأيام ترشيحاته ، فكان من رشحهم لعضوية المجمع منذئذ
حتى وفاته عام ١٩٥٣ ، الأساتذة المغفور لهم : معروف الرصافي ، جميل
صدقي الزهاوي ، محمد رضا الشبيبي ، طه الهاشمي ، طه الراوي ، الدكتور
داود الجلبي ، كاظم الدجيلي ، الدكتور مصطفى جواد . والأساتذة : العلامة
محمد بهجت الأثري ، وأحمد حامد الصراف و كوركيس عواد .

وبحكم صلة العمل بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين هؤلاء الأعلام ،

كان له مع الكثيرين منهم رسائل متبادلة ، للعلم والثقافة والأدب فيما
النصيب الأوفى ، إذ كان رحمه الله على علو كعبه في العلم ، واتساع أفقه
في المعرفة ، لا ينفك يبحث عن الحقيقة ، ويقطع الشك باليقين ما أمكن ،
فهو من أجل هذا لا يأنف من السؤال ولا بكل عن المتابعة ، رغبة في
الوصول إلى محجة الصواب ، والتثبت ، قدر الإمكان ، من صحة ما سوف
ينشره على الناس من بحث ، أو يحقق من كتاب .

ولم يكن بمقدوري ، وأنا أبحث عن هذه العلاقة ، الوقوف على
بعض تلك الرسائل ، لضيق الوقت ، إلا أنني وقفت لحسن الحظ على واحدة
منها ، أثبتتها في أدناه ، دليلاً على مسلكه في البحث والتحقيق ، أما هذه
الرسالة ، فهي التي كان قد بعث بها إلى صديقه المغفور له العلامة الشيخ
محمد رضا الشبيبي ، في شهر تموز سنة ١٩٤٦ ، وهذا نصها (١) :

صاحب المعالي العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي المحترم :

أخي وحببي :

عسى أن تكون في صحة وسلامة ، موفقاً في خدمة العلم وخدمة
وطنك المحبوب .

إني في أشد شوق إليك ، وأغضب بما أسمع الحين بعد الآخر من أخبار
فضلك ، وجميل خدمتك ، وإن كان طال الفراق ، ولا شيء يسليني عن
اللقاء بعض السلوى ، إلا إرسال سلامي إليك بلسان الطارئين على الشام ،
من إخوانك وإخواني فإنه أسأل أن يريني طلعتك وأنت على ما أحب
من الهدوء والصفاء .

وبعد :

فقد رأيت أن أنشر كتاب « البيزرة » الذي دخل منذ ثلاث سنين

(١) تفضل بها علي الأستاذ أسعد الشبيبي نجل العلامة الشبيبي فله الشكر .

في ملك المجمع العلمي العربي - تراجع ما كتبه في وصفه ، في المجلد الثامن عشر من مجلته - وقد عدت إلى ما كتبه الأخ ، في الجزئين ، الأول والثاني ، من السنة التاسعة من مجلة « المقتبس » في الكتاب الذي عثر عليه في « البيزرة » يومئذ في إحدى الخزائن الخاصة في النجف الأشرف .

ومن الأسف ، أن المقتبس وقف بعد ذلك ، فلم أتمكن من نشر تمة المقالة الثالثة وما بعدها من البحث .

فهل أنت محتفظ بالتمة ؟ وهل بالإمكان إخراج صورة من الكتاب بالتصوير الشمسي إن لم يكن طبع حتى الآن ؟ وإذا طبع أرجو إرسال نسخة منه .

وكل ذلك لأرجع إلى تصحيح نسختي إن أمكن ، وأرجو أن تفضل وتذكر لي ما عثرت عليه من الكتب في هذا العلم ، في خزائن العراق .

وفي نشر كتاب « البيزرة » فائدة علمية عظيمة من كل وجه ، ورجائي أن تكون لي عوناً على ذلك ، فقد عودتني وعودت الناس منك ، بذل مثل هذه الأريحية في خدمة العلم والأدب ، أطال الله بقاءك ومتعك بالصحة .

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي

هذا ما كتبه إلى صديقه الشبيبي ، كما ظهر لنا أنه كتب إلى غيره من أصدقائه العراقيين أيضاً ، حول الموضوع نفسه ، فما هو ذا في مقدمة كتاب « البيزرة » الذي أصدره سنة ١٩٥٣ يقول :

« وفي الختام أتقدم بالشكر ، لأصدقائي الذين عاونوني في نشر هذا المصنف الطريف ، ومنهم العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي العراقي ، فقد تفضل وزودني بمعلوماته في كتب البيزرة ، وكذلك العلامة الدكتور داود الجلي الموصي ، فقد تفضل وكتب لي جريدة بما اطلع عليه من كتب هذا الفن ، ولا سيما ما كان محفوظاً في خزائن الموصل .

والشكر للأستاذ البحائة ، عباس العزاوي البغدادي ، لتكريمه بكتابه فصل في البيزرة يثبت فيه ما عرفه من كتبها ، في خزائن العراق والأستانة .

ومها يكن من أمر ، فالذي لا بد لي من التأكيد عليه ، هو أن هذه الشخصية الفذة ، كان لها في قلوب هؤلاء العلماء والكتاب ، منزلة سامية ، قبل أن يظفر بها أحد ، وإن الكلمة التي كتبها العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري ، في مقدمة كتاب « محمد كرد علي » (١) لمؤلفه صديقنا الفاضل الأستاذ جمال الدين الألوسي ، أقول إن هذه الكلمة تمثل وجهة نظرهم أصدق تمثيل ، إذ قال فيها :

« .. الأستاذ محمد كرد علي ، رحمه الله ، أمة في رجل ، أهله مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناء النهضة الحديثة ، وقادتها الكبار في بلاد العرب ، وسيرته مثال رائع لمضاء العزيمة ، وخلوص النية ، وصدق العمل ، وحب الخير ، وإرادة الإصلاح ، نافع عن العروبة والإسلام ، ودعا إلى الحرية ، وقاوم الاستبداد ، وأجال قلمه في ميادين مختلفة ، مستمضاً وبعثاً على الحركة والإحياء . وكتب ما كتب في الأدب والتاريخ

(١) صدر في بغداد سنة ١٩٦٦

والاجتماع والسياسة ، بيان سهل ممتنع ، ورأي سديد ، ووفر لمؤلفاته مادة غزيرة وتحقيقاً جيداً ، فزخرت بالمفيد الممتع ، وجمع علمه بين أفضل ما في القديم وأمتع ما في الحديث من المعارف الانسانية .

وبعد :

فهذا ماتني لي الحصول عليه ، من النماذج والصور التي تكشف عن علاقة المغفور له محمد كرد علي ، وصلته بإخوانه العلماء والكتاب العراقيين ، أرجو أن يكون في عرضها بهذه اللوحة الخاطفة ، شيء من النفع والفائدة والمتعة والطرافة .

وفي الختام :

أتوجه بالشكر الجزيل إلى سيادة الدكتور الجليل حسني سبيع شافاه الله وعافاه ، وإلى الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، وإلى الأخ الكريم الدكتور شكري فيصل ، وإلى جميع أعضاء المجمع الكرام ، أشكرهم جميعاً على دعوتهم الكريمة التي هيأت لنا شرف الإسهام في تخليد ذكر مؤرخ الشام وعالمها الكبير الرئيس محمد كرد علي طيب الله ثراه ، والسلام .

محمد كرد علي في مصر

الأستاذ أنور الجندي

إنها لسعادة كبرى أن تشرفوا مثلي بالاشتراك في هذا المهرجان الضخم لإحياء ذكرى رجل من أجل رجال الفكر العربي الإسلامي المعاصر والحديث معاً في بلادنا العربية . مجاهد ظل أكثر من خمسين عاماً من الزمان يجالده في سبيل ترقية هذه الأمة وحماية لغتها وحفظ كيانتها وبعث تراثها فكان له على هذا الجيل الحاضر كله دين قائم في الأعتاق سواء في مصر أو سوريا أو أي جزء آخر من هذا الوطن الكبير .

وإننا لنعترف في مصر بفضل هذه الأسرة الشامية التي عاشت في تلك الفترة قبيل بدء هذا القرن وخلالها والتي كان لها في الصحافة والثقافة أعظم الأثر وخاصة أسرة الشيخ الجليل طاهر الجزائري وتلاميذه وأحبابه : رشيد رضا وكرد علي ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربي . ذلك أن هذا الشيخ هو بمثابة العروة الوثقى لهذه الجماعة التي جددت الفكر وجددت السنّة وأقامت منهج الفكر الإسلامي الحديث على أصوله الأصيلة ووفق جوهره الأملئ، وإن كان الشيخ الجزائري قد جاء من الجزائر والمغربي من المغرب وكرد علي من العراق في المشرق فإن ذلك كله إنما

يؤكد وحدة هذه الأمة ووحدة فكرها ويمثل مجدداً تلك الحقيقة التي تقول إن الفكر الاسلامي العربي إنما يصنع رجاله فيرفعهم فوق العروق والأجناس والعصيات إلى أفق الوحدة والإخاء الانساني . وفي ضوء هذه الحقيقة ننظر إلى العلامة محمد كرد علي في تراوحه بين مصر والشام من ناحية وبين دمشق وكل أجزاء البلاد العربية والاسلامية .

ولاريب أنه مدين ومعتزف بدينه للشيخ طاهر الجزائري وقد سجل هذا بوضوح كامل في مقدمة كتابه (كنوز الأجداد) حيث قال :
إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم :
صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري .

والحق أن الشيخ الجزائري العملاق لم يكن قوي الأثر في هذه المجموعة من رجال الشام وحدها ولكنه كان عميق الأثر في المجموعة التي عرفها وعاشرها في القاهرة خلال أربعة عشر عاماً أقامها في مصر وقد ألب وجدان من عاشروه خاصة الأحمدان : أحمد تيمور وأحمد زكي الملقب بشيخ العروبة ، ليس بأسلوبه وحديثه فحسب ، ولكن بأسلوب عيشه ونظام حياته فقد عاش في مصر لا يقبل عطاءً من أحد مها جل أو صغر ، وإنما جعل اعتماده في عيشه على الكتب التي اقتناها في حياته فقد أخذ يبيع منها بالتدريج ويسمح لنفسه ببيعها إذا تأكد أنها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نفائس خزائنه نقلت إليها وتمزق الشيخ أثمانها نحو أربع عشرة سنة وكان اشتراها في صباه بأثمان بخسة فارتفعت أسعارها عشرة أضعاف أو أكثر (١) .

(١) كنوز الأجداد : محمد كرد علي

ولعل وجود الجزائري في مصر هو الذي دفع الكثيرين إلى ورودها وإن كان رشيد رضا قد وزدها ١٨٩٨ وكرد علي ١٩٠١ أما هو فقد قدمها ١٩٠٧ وأقام بها إلى عام ١٩٢٠ .

ولا ريب أن أسلوب حياة الشيخ طاهر الجزائري يعطينا كثيراً مما نود أن نتعرف إليه في حياة كرد علي من إباهه وتعاليه على التبعية والتزلف ويؤكد كرد علي وهو يستعرض حياة الشيخ الجزائري على هذا المعنى ويومئء إلى اطراءه في حياته هو حين يقول : ولا أكون إلى المبالغة إذا قلت إن عزة النفس ، وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا ، كان مما تفرد به فقد كان له إباه الملوك الصالحين وزهد الزاهدين العابدين . وهو شبيه به في عقد الصلات الواسعة مع كل أهل العصر ، على اختلاف أديانهم وجنسياتهم وكان كذلك مثيلاً له وشبيهاً في قول كلمة الحق دون أن يخشى لومة لائم .

لقد عاش العلامة محمد كرد علي في مصر سنوات ما بين ١٩٠١ و ١٩٠٨ جاءها ثم غادرها ثم جاءها مرة أخرى ثم غادرها بعد إعلان الدستور العثماني ولكنه ظل متصلاً بها بعد ذلك حتى وفاته سنة ١٩٥٣ ، لم تبرح خاطره لحظة ، ولم يمر عام أو عامان دون أن يردها ويشارك في أحفائها ومؤتمراتها ، وكان إلى آخر لحظات حياته متابعاً لما ينشر بها من فكر وكتب وصحف ، يعلق عليها وينصح ويوجه ، إيماناً منه بالنهضة العربية الفكرية ودعمها لها .

ولقد كان حريصاً على أن تطبع مؤلفاته في مصر ، وأن يقول رأيه في كل ما يطرح في صحفها أو مجتمعاتها من رأي . وقد حفلت الصحف بآثاره منذ عام ١٩٠١ إلى نهاية حياته ؛ نشرت له المؤيد والأهرام والثقافة والرسالة والمقتطف والهلل .

م (١١)

وقد اتصلت أسبابه بالحبّة والموودة بعشرات من قادة الفكر المصريين منهم والذين أقاموا في مصر ، وكان لهم وفياً وبهم حفيماً ، وقد ضمهم إلى المجمع العلمي العربي الذي أنشأه وتولاه منذ عام ١٩٢٠ وكتب عن أعلامهم فصولاً مطولة وألقى عنهم محاضرات .

ومن أهم هؤلاء الأحمدان المصريان المحدثان (أحمد تيمور وأحمد زكي) وذلك على نسق الأحمدين المصريين القديمين (أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون وأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية مؤرخ بني طولون) كما كتب فصولاً مطولة عن أحمد فتحي زغلول والمرآغي ومحمد عبده . وكان حتى آخر أيام حياته مليء القلب بالحنو والمحبة لأصدقاء القلم يردد أسماءهم ويمجد العهد بهم ، وينشئ له صداقة مع الأجيال التالية لجيل الرواد فيذكر: محمد عبد الغني حسن وشوقي ضيف وجمال الشيال وسعيد العربيان وسيد قطب وعلي أدهم .

- ١ -

عاش محمد كرد علي في مصر حياة خصبة ، فقد شارك مشاركة فعلية في قيادة دفّة الصحافة فتولى الإشراف على صحف ثلاث : هي (الرائد - الظاهر - المؤيد) .

وفيها أنشأ مجلة المقتبس وأصدرها ثلاث سنوات في القاهرة ثم ولى إصدارها في دمشق بعد عودته إليها ١٩٠١

يقول : أول مرة دخلت مصر قاصداً زيارة آثارها ومصانعها والتعرف إلى رجالها في الطريق إلى باريس ، عرض عليّ صاحب جريدة (الرائد المصري) نصف الأسبوعية (نقولاً شحاده) بواسطة صديقي الأستاذ رشيد

رضا صاحب المنار أن أحرر جريدة الرائد وقد جعلها واسطة للطعن في أصحاب المقطم، وكانت جريدة الرائد من جرائد المعية تصطنع الطعن بالمحتلين وكأنها ابنة جريدة المؤيد أو ذيلها وكان صاحب المؤيد يعطف على صاحب الرائد المصري .

هذه تجربته الأولى . ثم عاد إلى الشام بعد عشرة أشهر .

وهبط مصر للمرة الثانية عام ١٩٠٥ عازماً على أن يصدر المقتبس شهرية تبحث في العلوم والآداب وكانت صلته قد توثقت بالشيخ علي يوسف وبأصحاب المقتطف وكان يكتب في المؤيد وفي المقتطف .

وقد دعاه الأستاذ محمد أبو شادي صاحب جريدة الظاهر اليومية للعمل معه في القلم الفرنسي بعد أن جرى اختباره في ترجمة البرقيات التي قام بترجمتها في أقل من ربع ساعة . وكان يعمل معه في (الظاهر) الأستاذ محمد لطفي جمعة الحامي وكان يترجم للظاهر من الانجليزية . وفي هذه المرحلة أخذ يترجم من الصحف الفرنسية والتركية ويكتب المقالة السياسية والاجتماعية والأدبية وقد رأس تحرير الظاهر بعد خمسة عشر يوماً من العمل بها . وأصدر المقتبس الشهري ، وقد دعاه الشيخ علي يوسف ليعمل معه ، فقال له : إن صاحب الظاهر قد ولاة رئاسة تحريرها وصرف الرجل الذي كان قبله ، واعتمد عليه فلا يسهه أن يتركه . ولما كان في المؤيد مع علي يوسف أصدقاء بعضهم منهم محمد مسعود وحافظ عوض فقد خشي أن يكون عمله في المؤيد محرراً لهم حيث يتولى رئاسة التحرير ، بينما هما صاحباً الفضل في إنشاء المؤيد وهما في غاية الكفاءة علماً وأخلاقاً .

يقول : كيف يجوز أن أراسها وماضيها في المؤيد ماضيها ، وهما مصريان أعرف مني بما ينفع جريدة مصرية .

ولما خرج مسعود وعوض ، وعرض عليه العمل في المؤيد قبله بزوال الحرج الذي كان قد أحس به لوجودهما ، وقد أشرف على موضوعات الأدب والسياسة والتاريخ ومقالات المؤازرين وكتابة الافتتاحيات إذا اقتضت الأحوال .

ونرى أن تحرير المؤيد هو الدعامة الثانية لشهرته بمد مقالاته في المقتطف .

ولاريب أن هذه الوقائع تعطي صورة واضحة لنفسية عالية في العفة والكرامة والخلق ثم يجيء بعد ذلك دوره في العمل من أجل خدمة مصر وحماية القيم الأساسية .

وقد شارك في ذلك بجهد واسع فقد حارب مع الحاربيين « دنلوب » مستشار المعارف وانتقد الدور الذي كان يرمي إليه في تأخير الدروس العربية .

يقول : فأدرك رجال ذلك الدور وناسئوه ما يحمل قلبي من حب مصر ، فأعطوه ثقتهم وصدقاتهم وفتحوا له قلوبهم واطلعوه على ما لا يطلع عليه إلا خاصة الخاصة .

- ٢ -

وقد أقام العلامة كرد علي في مصر مشاركاً في النهضة الصحفية والفكرية فكانت له ندوات ومجالات عديدة اندمج فيها وتعرف فيها إلى الكثيرين واكتسب منها خبرة وتجربة .

● كانت ندوته الأولى هي « بيت الشيخ محمد عبده » في عين شمس

ومحاضراته في الرواق العباسي ، ومجالسه في بيت أحمد تيمور . وكان رفيقه في هذه الندوات الشيخ محمد رشيد رضا . وكان يشهد هذه الجلسات الحافلة : حسن عاصم ، وقاسم أمين ، وفتحي زغلول ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد المهدي وحن المنصوري ، وأحمد المكندري ، وسعد زغلول ، وحنفي ناصف وسماعيل صبري ، ومحمود سامي البارودي ، وعلي بهجت ، وسماعيل رأفت ، وعبد العزيز محمد ، والسيد محمد البيلاوي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد إبراهيم وعبد الوهاب النجار .

يقول : هذا المجلس كان المرحلة الأولى التي فتحت أمامي باب الدخول إلى المجتمع المصري وتشرفت بعشرة هذه الطائفة الممتازة .

ولقد أحب كرد علي الأستاذ الإمام ، وأحب أحياءه وكره خصومه حتى ليقول : إنه لم يقترب من (إبراهيم المويلحي) وهو من أبرز الكتاب في ذلك الحين لأنه كان يراه ينال من الشيخ محمد عبده ويقول عليه ويضع عليه أموراً لم يفعلها : و كنت يرمئذ أعشق الشيخ وأفتخر بالانتساب إليه وأعجب ببلاغته ، و كنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي في الأزهر وأغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع .

ويتحدث عما يدور في مجلس الشيخ الإمام فيقول : قال أحدهم : أرى إبراهيم المويلحي في هذه الأيام ساكتاً عن مولانا الأستاذ . قال الشيخ : أنا أحمد الله على ذلك ولولا أن الأسد مصاب بالنسيان لاقتصر جميع الحيوانات .

ومن رواد ندوة الشيخ الإمام الذين عجب لأمرهم كرد علي الشيخ محمد شاكر الذي كان يقبل راحة الشيخ من قفاها وباطنها ويبالغ في

احترامه ، بينما كان معروف أنه من خصوم الشيخ قال : لاحظ الشيخ اهتمامي فما زادني على نظرة بابتسامه ، وعلمت بعد ذلك أن الشيخ هو الذي أشار إلى الشيخ محمد شاكر أن يغمزه في بعض الأحيان ويظهر للملأ أنه من خصومه ليقنع القصر أنه وإياه على طرفي نقيض .

● الندوة الثانية : « بعكوكه وحيد الدين الأيوبي » .

ويروي الأستاذ كرد علي ذكرياته عن هذه الندوة فيقول :

عرفت صديقي وحيد الدين الأيوبي وهو وأنا في ميعة الشباب وكان من أبناء الأعيان المفكرين والمثقفين ، تعارفنا زمناً ثم التقينا وإذا به رئيس جمعية جهرية سماها اسماً غريباً « البعكوكه » وبعكوكه الناس مجتمعهم على ما في القاموس ، وكانت هذه البعكوكه تلتئم كل ليلة في قهوة متواضعة من منعطفات شارع إبراهيم باشا ثم انتقلت إلى قهوة السلام من نفس الشارع وبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء وينفضون في ساعة متأخرة ولا يقل أعضاؤها المواظبون عن ثلاثين رجلاً : من محامين وأطباء وفنانيين ومؤلفين وأعيان أصحاب أطيان : اجتماع للمرح والتنادر وسماع الأخبار فإن بعكوكتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة .

تلك كانت البعكوكه المفضلة التي ظل يختلف إليها كلما عاد إلى مصر وذكرها في مذكراته مرات ، متحدثاً عن خفة أرواح رجالها وتنكيتهم ، ناهيك بخفة روح محبوب ثابت . يقول إن وحيد كان يكتب في الأهرام قطعاً لطيفة في اللغة والأدب والسياسة ومنها تعليقه على تصريح لأحد الساسة البريطانيين حين قال :

(إن الانجليز يرابطون في مصر لحماية الاستقلال)

فقال إن عندنا الآن إذا احتلال واستقلال . عندنا احتقلال . وكثر السائلون عن هذا المصطلح وعمما إذا كانت له أصل في اللغة وهنؤود على توفيقه للمثور على هذه اللفظة الجميلة ، وعبثاً حاول أن يقنعهم أنها لفظة وضعت وضعاً وما كان يرضى أن يقول إنه وجدها في معجمات اللغة .

● الندوة الثالثة : هي ندوة السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية . وقد شارك فيها وكانت له بالسيد البكري صلة وثيقة .

وهو يصوره حين التقى به يقول : فرأيتته متكلماً منطيقاً حلو الحديث يمت إلى الأدب بصلة قوية ، وهو أقرب أن يكون شاعراً منه إلى أن يكون ناثراً وكذلك مجلسه فهو مجلس أقرب أن يكون مجلس أدب من أن يكون مجلس رجل سياسة ، ويجيد الفرنسية إجادة حسنة .

يقول : سألت عنه أستاذه الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي وكنت أعلم أنه أخذ عنه كثيراً وأن بينها صحة وثيقة فقال لي :

ما رأيت رجلاً فتح الله عليه بغلط مثل توفيق البكري في كتابه « أراجيز العرب » فهو من أوله إلى آخره مغلط . وقال : إنه ليس في مصر من يفهم لغة العرب غير اثنين : محمد عبده وأحمد تيمور .

ويروي العلامة كرد علي : أن السيد البكري بعث إليه يستدعيه إلى داره الغرض مهم فذهب الفكر حالاً إلى أنه يريد أن يستشيرني في مسألة خاصة ، وقدم لي مبلغاً من المال لمعاونتي على إصدار المقتبس : فقلت له : يا صاحب السماحة : إن للمجلة رأس مال ودخلها يفي بخرجها وشكرته وظهر عليّ الانتباض ثم التفت وقلت له :

ثق إن جريدة الظاهر لا تدخل في مسألتكم وهذه مسائل لا تنفع القراء (وكنت رئيس تحريرها) وليس من مصلحة الجريدة أن تخوض فيها فسرًا لذلك ، فانصرفت ولم ألقه بعدها .

● وتحدث عن ندوة قهوة اسبلندر بار حيث كان يجتمع فيها أقطاب الصحافة إذ ذاك : محمد مسعود ، وحافظ عوض ، وداود بركات ، ويوسف الحازن ، وصادق عنبر ، ومحمد السباعي ، وسليم سركييس ، وتوفيق حبيب .

● كما تحدث عن قهوة متانيا وجماعة دار العلوم : محمد المهدي ، وأحمد الاسكندري ، ومحمد الحضري ، وعبد العزيز جاويش ، وحسن توفيق عدل ، وسلطان محمد ، وحفني ناصف ، وأحمد إبراهيم ، وحسن منصور ، ومحمد دياب ، ومحمد عبد المطلب ، ورأسهم الدكتور عثمان غالب .

● وتحدث عن جماعة بار اللواء أمام جريدة الأهرام وما لقي بها من أرباب الثقافة العالية .

● وكان لكرد علي صداقة عميقة بزعماء الاصلاح والتجديد في الأزهر وفي مقدمتهم المراغي والزنكوفني وكان معهم على خلافهم مع الشيخ الظواهري .

ويرجع هذا إلى موقف الشيخ الظواهري منه حين طلب إليه الاعتذار عن إلقاء محاضراته في الجامعة الأمريكية وحذف له بعض جمل منها . وهو معجب بالشيخ الزنكوفني ، وقد حضر معه دوات كثيرة عند الشيخ اللبان والشيخ المراغي .

● وهو معجب بكل أهل الأصالة في كل ميدان ومن يجهم دأمين

الرافعي « يقول : عرفت أمين الرافعي وطنياً صادقاً يخدم مصر وسياسة مصر ويخدم الاسلام والمسلمين بروحه وقلمه ونبوغه ، وعرفت أنه شريف بكل ما في الشرف من معنى ، وقد عرض عليه عشرة آلاف جنيه من يحيى إبراهيم رئيس الوزراء معونة لجريدته التي كانت في حاجة إلى العون ، فرفض ، فقيل له لا تغير خطتك فقال : إني ما أخذت شيئاً من أحد بدون عوض . ولا يربد أن يعود نفسه لأن يأخذ شيئاً من أحد .

كما عرض عليه فتح الله بركات التكفل بوفاء ديونه على أن يبقى حراً فلم يقبل وهو في أشد الضيق . وبعد أيام توقفت جريدة الأخبار ، حتى قالت إحدى كبريات الصحف الانجليزية لما نعت أمين الرافعي : إنه مات رجلٌ يقلّ جداً في العالم من لهم مثل أخلاقه .

وهكذا كان كرد علي يجب النماذج العالية في الخلق . وتلك شميلة من شمائل شيخه طاهر الجزائري .

- ٣ -

لقد كان لكرد علي موقف واضح صريح من أهل الفضل ، وموقف صريح واضح من أهل الباطل ، فهو من أهل المثل العليا وأصحاب الأصالة وهو لذلك يجب النماذج العالية من الخلق وسيرته وحياته وذكرياته كلها حافلة بهذا الموقف الذي لا يتخلف .

ومن ذلك محبته للأمير عمر طوسون وإعجابه به وقد نوّه به في مذكراته وأشار بالتفصيل إلى ما دار بينها من حوار قال : لما لقيته سألتني سؤالين : كيف قسمت الديار الشامية بعد الحرب العامة الأولى؟ وهل صح ما نقلته في وصف حكومة إبراهيم باشا في الشام؟ .

وقد أجاب كرد علي في إفاضة ، وخاصة فيما يتعلق بإبراهيم باشا وتقديره له ولعمله في الشام بما عرف عن عدل حكومة إبراهيم باشا في أهل سورية وقد ودّعوه بدموعهم يوم أن غادر البلاد . وهو يذكر سجايا عمر طوسون في مذكراته بإفاضة ويذكر له تعليمه لشباب السودان وبناء المساجد بها . ومحبه وحديثه وإعجابه بالمرحوم أحمد تيمور يفوق كل وصف فهو عنده مثل عالٍ من حيث الفضل والخلق والنبيل ولا ريب فإن تيمور كان مؤمناً شديداً الايمان بهند الأمة ، غيوراً عليها ، وكانت مودته للشيخ طاهر الجزائري تفوق الحد ولقد كتب مقاله الأحمدان : عن أحمد تيمور وأحمد زكي فكشف عن جوهر الرجل ونبالة قصده ، وطهارة خلقه بالمقارنة إلى شيخ العروبة الذي كانت تغلب عليه مظاهر الشهرة والتفاخر والاستعلاء .

وكان كرد علي يؤمن بالصدقة على نمط عال من الحب والتضحية والوفاء ، عامل به كل من لقيه وعرفه وإن كان لم يجد في كثير ممن عرفهم مثل وفائه وتضحيته . ولذلك فقد بدا وكأننا هناك عقوق ظاهر وإن كان هو تفاوتاً في درجة الصداقة والإخلاص . أما كرد علي فهو ممن يؤمن بأسلوب خصوص الخصوص ، ويرى المودة في أعلى مراتبها بينما كان بعض من أحب وأخلص يؤمنون بالحد الأدنى للمودة فكان هذا بالنسبة إليه عقوقاً يستحق النقد والتشهير .

فهو قد أدخل كل أحبائه وأصدقائه في مجمع دمشق ، وأولى اهتمامه بأثريهم وإنتاجهم وأشد بهم ، وكان يرى أن من حقه عليهم أن يعاملوه بالمثل ، ولكنهم عجزوا عن مجاراته في أسلوب الصداقة والود الرفيع ، ولعلمهم كانوا في منزلة العموم أو الخاصة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا منزلته العالية في الوفاء التي نطلق عليها « خصوص الخصوص » إن صح

هذا التعبير . ولقد ضم العلامة كرد علي إلى مجمع اللغة العربية بأخرة ، عام ١٩٤٤ وكان له أمل في أن تنشر الرسالة والثقافة عن مؤلفاته وأن تطبع لجنة التأليف والترجمة آثاره ، ولكن هذه المؤسسات الثلاث قصرت في ذلك وهو بطبيعته حاد الطبع عجول ، متحمس ، يقاسم الناس على مشربه وأسلوبه وعاطفته ، ومن هنا كان خلافه مع الأحمدين المصريين الأخيرين : أحمد حسن الزيات وأحمد أمين . وإن كان له وجه في الخلاف مع هيكل والمازني ومع لطفي السيد .

وكان كرد علي ممثلاً للشام في كثير من الأبحاث والمؤتمرات ، مثل سوريا في حفل تكريم أمير الشعراء شوقي ، وفي عديد من المناسبات . وكانت له صلة بكبار الحكام وقد عرض عليه العمل في القصر مرات ولكنه كان حريصاً على أن تظل علاقته بمصر علاقة أدب وفكر وليست علاقة سياسة .

عرف الخديوي عباس حلمي الثاني وعرف فؤاد وفاروق .

يقول : أبيت سكني مصر مع أني أجد بين ظهرائي إخواني فيها من السلوى ما لا يتيسر لي أن أنعم بثله في بلدي . وينشد :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وفي القاهرة أخرج من المقتبس ثلاث مجلدات وطبع بمصر عديداً من كتبه : القديم والحديث ، وغرائب الغرب ، والاسلام والحضارة العربية . وكان كرد علي يتعامل مع علماء الأزهر على النسق الذي أشاده وأعله في الشام الشيخ طاهر الجزائري بالنسبة للتحرر من البدع والتقليد ، وهو اتجاه كان قائماً في مصر أيضاً عن طريق الشيخ محمد عبده والسيد

رشيد رضا وكان له معارضون كثيرون من شيوخ الأزهر في ذلك الحين .
وإذا حاولنا أن نتعرف إلى خلق كرد علي في مودة الناس وحبهم
وعقد الصلات بينهم على هذا النحو الواسع العريض وجدنا ذلك في أسرته
فقد أشار إلى أن والده في آخر أيامه أحصى له أكثر من ثلاثمائة صديق
طوتهم الخرسا (يريد الأرض) وأصبح بعدهم غريباً .

وقد أحصى كرد علي في مذكراته عدداً كبيراً من أصدقائه وأحبابه
في مصر والشام وغيرهما لا يقل عما أحصى والده .

- ٤ -

أبرز ما تمثل فيه شخصية محمد كرد علي - ونحن لا نزال في إطار
حياته في مصر - وضوح شخصيته وصراحته وجراته في الأخذ على العلماء
طابع المصانعة والتزلف . وقد كان له في ذلك مواقف صريحة واضحة أبرزها
موقفه من عبد العزيز فهمي في مسألة الحروف اللاتينية فقد واجهه في
قوة وجراته بينما تراجع الكثيرون عن الكشف عن زيف الدعوة وبيان
أخطارها . وقد سجل هذا الموقف في مذكراته حين أشار إلى دور المجمع
في مصر أواخر عام ١٩٤٤ .

ومما قاله كرد علي في هذا الموقف :

أرجو رصيفي أن لا يجاوز من موت عربيتنا الحسنة بفعل نشر لغات
الأجانب بين أظهرنا وألا يدركها هذا المجمع ولا عشرون مجماً من مثله ،
فإن هذا تشاؤم غريب ، واللغة كل يوم تزيد انتشاراً على الألسن والأقلام .
ولغة حرسها القرآن هذه القرون الطويلة لا يخشى عليها البوار وهي تزيد
قوة على الأيام . واستطرد يقول : يقول زميلي (أي عبد العزيز فهمي)

إنه يوشك أن تفزونا اللغات الأجنبية فنترك لغتنا ونستعيز عنها بلغة من لغاتهم ، وهذا خوف لا محل له ، لأن العربية تزداد كل يوم رسوخاً في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبفضل توفر أسباب التعليم والنشر .

وبما قال : إن لغتنا كانت سبب تخلفنا في مضمار الحضارة . وما أظن شيخ القضاة إلا ويعرف أن لانحطاط الشعوب الاسلامية في بعض مظاهرها عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم . وإن برهانه هنا ضعيف لا يصح الاستدلال به على ما هو بصدده . إنه يعرف كما نعرف جميعاً أننا أشأنا مدنية شهد بعظمتها كل من قاموا بعدنا ، وما حال هذا الحط ومن قبله القلم الكوفي دون الانتفاع بما آل إلينا من علوم القدماء ، وما وضعناه نحن من علوم وآداب كلفتنا الهيل والهيالمان كما يقول زميلي الحضيف .

وتبرم حضرته من تعدد اللهجات العربية ، وأنا أبشره بأن هذه اللهجات يقل عددها ولا يزيد كما ادعى لأنها تقترب كل يوم من الفصحى بفضل المدرسة والجريدة والكتاب والخطبة والمذيع ، أي أن اللهجات الدارجة تتضاءل أمام اللغة الأدبية ، والفصحى تتغلب على العامية ، اليوم وبعد اليوم .

وما أدنى به لإثبات قضية التمثيل لنا بالأترك هو في الواقع حجة عليه لاله ، فالأترك لما أخذوا بالحروف اللاتينية وقضوا على الأمية فيما زعموا بهذه البدعة الجديدة التي ابتدعوها قطعوا كل صلة بينهم وبين ماضيهم وعمر هذا الماضي لا يقل عن ستائة سنة ، وهل الشعوب إلا تكلمة ماصنع أجدادها وورثوه عنهم . وشأن العربية غير شأن التركية لأن العربية تحمل تراث العالم الإسلامي كله ، وإذا عملنا عمل الأترك نقضي على تراث علمي وأدبي وديني دام مطزداً خمسة عشر قرناً بما لم يعهد لأمة بمثله . وقد

خسر الأتراك أي خسارة بما أتوا من الميث بلغتهم فلا يزيد أن نتقبل مثلهم ولا يجدر بأنفسنا الاقتداء بأهل لغة من اللغات ، فمنحانا غير منحاهم ولفتنا تتسامى على جميع لغات الشرق .

وكذلك كان لكرد علي دوره الواضح في التحذير من الأخطار التي تواجه العاملين في مجامع اللغة وقد لخصها في إحدى دورات مجمع اللغة العربية في القاهرة في ثلاثة محاذير .

الأول : اختراع خط جديد يراد به الاستغناء عن الشكل .

الثاني : تبسيط قواعد اللغة العربية في اللغة والصرف .

الثالث : اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربية .

- ٥ -

ولقد كان كرد علي يحب مصر حقاً ، حباً خالصاً صافياً ، يرى فيه امتداداً لدعوته وفكرته وغيرته على اللغة العربية والحضارة الإسلامية وعلى تنمية مدرسة اليقظة ودفعا إلى الأمام . يقول في هذا المعنى : « لقد كنت منذ القديم ولا أتصور عندما أكتب إلا » فائدة كل عربي ولا أحصر كلامي في مصر والشام ومنهاجي يتناول الأقطار العربية جميعاً ، ولكن المعلومات عن مصر كثيرة فهي أوفر سكاناً ونظاماً وحضارة ، وكلما زادت صلاحاً زاد الإصلاح إلى جيرانها . وأنا أنادي مصر كما أنادي أهل بلدي ، والبلدان في نظري سواء ، يهمني مجموع الأمة ولا أخص القول حين أقول قطر دون قطر . وهدفه : أن يكون العرب دولة عظمى فيها كل ما في الدولة الأموية مثلاً من المقومات والمشخصات » .

وهو في حبه لمصر لا يمتنع عن نقدها في وجوه التقصير .

وهو مع حبه للشيخ محمد عبده لا يمتنع عن نقده في موقفه من الشيخ حسن الطويل صديقه الذي أغضى عنه بعد أن تسم منصب الإفتاء .

وهذه دلائل الحب البصير ، القائم على الوعي والإخلاص .
وهو يعيب على هيكل والسنهوري أنها عينا أنفسها عضوين في مجمع
اللغة وليس لديها الوقت للمشاركة في أعماله .

وقد ظل حتى آخر أيامه يتابع النهضة في مصر ، ويجدد ذكرياته
مع أعلامها . فإن آخر ما نشر له في العدد الذي نعي فيه من مجلة المجمع
دراسة عن الشيخ محمد عبده . ومن قبله المراغي ، وفتحي زغلول .

ويمكن أن يقال : إن العلامة كرد علي كان يجمع بين خصتين في وقت
واحد هما : الصراحة إلى حد الجرأة في الحق ، وغلبة العاطفة .

ويصور هذا المعنى في ترجمته حياته التي ألحقها بخط الشام في عبارة
واضحة حين يقول : « أخلص للصاحب وأخدمه خدمة خالصة وأغار على
مصالحته وربما أرفعه فوق قدره حتى إذا بدرت منه بادرة سوء نحوي أو
نحو المجتمع ألوي وجهي عنه إلى آخر الدهر » .

- ٦ -

وبعد فإن في هذا الحصاد الضخم الذي خلفه المرحوم محمد كرد علي عن
مصر ورجالها وصحافتها وتاريخها ما يحتاج إلى مراجعة وتعليق ، ومنها
وهو الأغلب ما يطابق النظرة الصادقة المنصفة ، وخاصة ما يتعلق بلطفي
السيد وعبد العزيز فهمي وعمر طوسون وفيما ذكره عن السلطان عبد الحميد
وعن عبد الرحمن الكواكبي ما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

ولقد أحسست وأنا أراجع المذكرات لكتابة هذا البحث أنها
حافلة بعشرات المواقف والآراء والنظرات التي نحتاج إليها في دراستنا لتاريخ
أمتنا الإسلامية العربية .

وترجع صلاتي بالعلامة كرد علي إلى وقت بعيد فقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر فكتبت عنه فصلاً مطولاً في كتاب (النثر العربي المعاصر) وتحدثت عن خطط الشام في بحث آخر وظلت سنوات طويلة أتابع نشاطه بين الجمعيتين : الجمع الذي أنشأه والجمع الذي شارك فيه (بين دمشق والقاهرة) وراجعت كثيراً من فصوله التي كتبها في المؤيد وفصوله في الصحف المصرية والعربية ، وعرفت له قدره وجهاده وتميز إجماع العالَم العربي بخاصتي إحياء اللغة وإحياء التراث . وما زلت أشعر بالعرفان لمحبه للفصحى وجهاده من أجلها . وهو في هذا يؤكّد النظرة القائلة بأن الفكر هو الذي يشكل العقلية وليس الجنس أو العرق ، ولقد كان الإسلام في عظمته هو الذي شكل أمثال كرد علي على مدى التاريخ فجعلهم جنوداً للغة القرآن وتراثها .

وأعتقد أننا في مصر - جماعة المفكرين - علينا دين كبير لأمثال الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي ومصطفى الشهابي رحمهم الله جميعاً وأجزل مثوبتهم . ولقد أعد الدكتور أحمد الشرباصي منذ سنوات أطروحة ضخمة عن (رشيد رضا) وأعد الشيخ محمود القاضي هذا العام أطروحة ضخمة لم تناقش بعد عن (محب الدين الخطيب) ونأمل أن يقوم غيرهم بإعداد أطروحات أخرى عن علامتنا هذا العظيم الذي نحتفل به وعن شيخه الجزائري كفاء ما قدما من أباد بيضاء وجهود مشرفة وإضافات طيبة ما تزال حية نابضة معطاءة . والله من وراء القصد .

محمد كرد علي والمستشرقون

الدكتور محمد كامل عياد

كان الأستاذ (محمد كرد علي) من أبرز الشبان الذين تحلقوا حول الشيخ طاهر الجزائري ، رائد النهضة العلمية بدمشق في أواخر القرن التاسع عشر . وكان تلاميذ هذا العالم المصلح يدعون إلى إحياء التراث العربي - الإسلامي مع دراسة العلوم العصرية وأخذ الصالح من الحضارة الأوروبية .

وقد امتاز الأستاذ (محمد كرد علي) بإتقانه اللغتين التركية والفرنسية فانصرف منذ مرحلة التعليم الثانوي إلى قراءة الجرائد والمجلات الأجنبية ، وبدأ في الوقت نفسه يترجم الأخبار والمقالات وينشرها في الصحف العربية . إنه كان يريد الإصلاح ، وكان يعتقد بأنه لا بد للعرب والمسلمين من الاقتباس عن الغرب ولا يرى أي غضاظة في ذلك ، لأن الغربيين أنفسهم قد سبق لهم اقتباس العلوم والفنون وسائر مظاهر الحضارة عن العرب والمسلمين . واختياره اسم « المقتبس » لمجلته وجريدته يشير إلى إيمانه ببدا الأخذ عن الغربيين مثلما كان يحرص على الاحتفاظ (بكنوز الأجداد) والاستفادة منها ..

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق صباح يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٦

وكان طبيعياً أن يتجه اهتمام الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أعمال المستشرقين بصورة خاصة لأنهم ، من جهة ، يمثلون الحضارة الغربية وما امتازت به من تقدم علمي ثم ، من جهة ثانية ، لأن موضوع بحث هؤلاء المستشرقين هو التراث العربي - الإسلامي . وهكذا وجد في الاستشراق ميداناً يجمع بين المهدين الذين كان يسمى إليهم أي : معرفة الحضارة الغربية وإحياء التراث القومي .

ألقى الأستاذ (محمد كرد علي) في سنة ١٩٢٧ محاضرة عن « أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية »^(١) تكلم فيها على العلاقات بين العرب والأوروبيين منذ الفتوحات الإسلامية وخلال الحروب الصليبية وفي الأندلس وصقلية على الأخص ، وما حدث من احتكاك واختلاط وتبادل وتمازج بين الطرفين ثم ما تبع ذلك من عناية بدراسة اللغة العربية في الجامعات الأوروبية وترجمة الكتب العربية ونشرها .

ويذهب الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أن اقتباس الأوروبيين للعلوم عن العرب كان له تأثير كبير في نهضتهم التي بدأت في إيطاليا بالقرن الرابع عشر وانتقلت بعد ذلك إلى سائر البلاد الأوروبية . إلا أنه لم يتم بالبحث في هذه الناحية وإنما كان يسعى إلى الكشف عن آثار النهضة الأوروبية في بلاد العرب . فهو يقول : « تهتما الآن معرفة أثر تلك النهضة فينا وفي لغتنا ، أي أن نمرض للجهة التي تخصصنا من ذلك الجهاد العظيم الذي جهدوه في إحياء العربية ، وذلك للتنبؤ به بن نشرنا كتبنا فأسدوا إلى لغتنا المحبوبة أبادهم البيضاء وعلّمونا دروساً في تاريخ أمتنا ومدنية أجدادنا

كنا نجعلها ... » (١) .

ولما سئل مؤخراً عن المستشرقين الذين تعرف إليهم كتب في الجواب على ذلك مقالاً آخر في مجلة المجمع العلمي العربي يقول فيه : « أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وأوروبا إلى بعض المستعربين (أي المستشرقين المتخصصين باللغة العربية) من أهم أوروبا واختلطت بهم وخاللتهم ووقفت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدينة الغربية وعلى الكشف عما في خزائنها ، ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم » (٢) . ثم يذكر أسماء بعض كبار المستشرقين الذين عرفهم مثل (دوسو) و (ماسينيون) و (هوار) و (بلاشير) و (مارسيه) و (مارجليوث) و (كرنسكو) و (فلينو) و (هارتمان) و (غولدسبير) و (سنوك هورغروني) و (آسين بلاسيوس) .

كان الأستاذ (شفيق جبيري) على حق ، عندما تعرض إلى علاقات الأستاذ (محمد كرد علي) بأوائك الباحثين إذ قال : « أما معرفته بالمستشرقين وكتبهم فقد تكون آية من الآيات .. فقد أحاط علمه بتاريخ الاستشراق والاستعراب ... وله صلة بأكثر المستشرقين والمستعربين وهو مطلع على كتبهم التي نشرها وقد تكلم عليهم في مقالات ومحاضرات خاصة ، (٣) .

سافر الأستاذ (محمد كرد علي) أربع مرات إلى البلاد الأوروبية . ولم تكن غايته ، كما يقول في مذكراته ، تجديد القوى وتسلية الروح

(١) المصدر نفسه صفحة (٤٠٠) .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٧ - ٣٦٢) .

(٣) محاضرات عن (محمد كرد علي) القاهرة ١٩٥٧ صفحة (٣٢) .

فحسب ، بل كذلك التعرف إلى مدينة الغرب ودرسها في أرضها درساً عملياً « (١) . وهو يصرح بأن « أكثر ما كان يرتاح إليه في رحلاته مقابلة علماء المشرقيات لأنهم يقربهم من منازعنا ومعرفتهم بعاداتنا ووقوفهم على غابرتنا وحاضرنا أقرب إلينا من معظم من في الغرب من أهل المدارك . فهم ، بلا جدال ، حمزة الوصل بين الشرق والغرب » .

يروى الأستاذ (محمد كرد علي) أنه بعد استيفاء البحث في خزائن الكتب بمصر والشام وبعض خزائن الآستانة وجمع المواد اللازمة لوضع تاريخ سياسي ومدني مطول للديار الشامية (وهذا ما حققه من بعد في كتابه « خطط الشام ») - أزمع الرحيل إلى باريس ولندن واكسفورد وكمبريدج وليدن وبرلين وغيرها للبحث في خزائنها عن مخطوطات العرب في التاريخ ، وصادف أن جاء في ذلك الوقت (أي سنة ١٩١٣) إلى دمشق المستشرق الألماني (مارتين هارتمان) فعرض عليه الأستاذ (محمد كرد علي) فكرته ولكن (هارتمان) قال له : إن الفكرة غير عملية وإن تنفيذها يستغرق حولين على الأقل وإن الأولى أن يذهب إلى (روما) ويزور خزانة المستشرق (الأمير كايثاني) صاحب كتاب (حوليات الإسلام Annali dell ' Islam) الذي جمع صور كافة المخطوطات المحفوظة في بلاد الغرب بما خلفه الثقات من مؤرخي العرب . فحمل الأستاذ (محمد كرد علي) بطاقة توصية من أحمد زكي باشا المصري إلى صديقه الأمير الإيطالي الذي رحب به وسهل له مهمة المطالعة والبحث في خزانة كتبه المشهورة مدة شهر (٢) .

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٨٤ - ١٨٦)

(٢) المذكرات ، الجزء الأول صفحة ٣١٠ - ٣١١

وبعد تأسيس المجمع العلمي العربي ازدادت صلات الأستاذ (محمد كرد علي) بالمستشرقين في كل أنحاء العالم . فكان يرسل الكثيرين ويستقبلهم في دمشق . كما سعى إلى انتخاب ما يزيد على الستين منهم أعضاء مراسلين في المجمع ونشر عدداً كبيراً من المقالات والتعليقات لهؤلاء المستشرقين في مجلة المجمع بينها تراجم حياة بعضهم مكتوبة بأقلامهم ..

كان الأستاذ (محمد كرد علي) يشيد بأعمال المستشرقين في كل مناسبة ويدعو إلى الاقتداء بهم والإفادة من جهودهم . وقد ظل يكرر القول بأن المستعربين « كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجل خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة وبوضع الفهارس المتنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة . وقد اعتادوا أن يشرحوا غوامضها بلغة الناشر أو باللغة اللاتينية فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة ، بل بهم تجلت مدينة العرب لأول مرة ، لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة ، (١) .

وفي محاضراته الكبيرة عن « أثر المستعربين في الحضارة العربية » يصرح الأستاذ (محمد كرد علي) بأن « كل ما طبعه أولئك الأعلام من المستشرقين ينم عن هجر طبيعي فيهم ودؤوب غريب وأمانة يصفق لها وتحمر للحق وتخرج من التلقين حتى غدت مطبوعاتهم ، إلا ما ندر منها ، أمثال النظر البليغ والطبع الجميل ، وأكبر معوان على المراجعة والمطالعة

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٨)

والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع ، (١) . ثم يضيف قائلاً : « وبعد ، فما برح العارفون منا يقدرّون عمل المستعربين حق قدره ، بل يعجبون به ويمجدونه » . وهنا ينقل كلمة سمعها من أستاذة علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري يتساءل فيها : « أليس من الغريب أن يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في ألمانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الآستانة ؟ » (٢) .

ثم قارن بين عمل المستشرقين الذين ما زلوا يبذلون العناية فيما يطبعون والذين يتوخون من طبع كتبنا الفائدة العلمية قبل كل شيء وبين أولئك الذين عانوا صناعة الطبع والنشر في الشرق الإسلامي بعد مرور قرنين على بداية الغربيين والذين لم يكن قصدهم إلا الربح فقال : « كنا ، على عربتنا ، نخلط ونرتكب الفاحش من الأغلاط ؛ وكانوا ، على عجمتهم ، يجيدون ويجودون ؛ وما خلونا مع ذلك من دعوى عريضة ، وظلوا هم على تواضعهم يزيدون ما ينشرون تجويداً الحقة بعد الحقة ، وحمدنا فلم نتقدم إلا قليلاً » (٣) .

وقد ضرب الأستاذ (محمد كرد علي) أمثلة على جهود المستشرقين وعنايتهم بإحياء أمهات الكتب من تراثنا العظيم فذكر إقدام المستشرق الألماني (هاموت ريتز) على تحقيق ونشر كتاب « مقالات الإسلاميين » للإمام الأشعري والجزء الأول من « الوافي بالوفيات » للصفدي وغير ذلك

(١) مجله الجمع العلمي العربي ، المجلد (٧) صفحة (٤٥٣)

(٢) المصدر نفسه ، صفحة (٤٥٥)

(٣) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٩٥)

من الكتب التي ألفها أو ترجمها . وتحدث الأستاذ (محمد كرد علي) في مناسبات عديدة عن صديقه المستشرق (كرنكو Fritz Krenkow) فأشاد بجهوده في نشر عدد كبير من الكتب العربية القديمة التي حققها وطبعها في حيدر آباد (اندكن) مثل كتاب (جمهرة اللغة) لابن دريد و (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر المسقلاني و (حماسة) ابن الشجري و (التاريخ المنتظم) لابن الجوزي و (المؤتلف والمختلف) للآمدي و (نحاة البصرة) للسيرافي و (معاني الشعر) لابن قتيبة و (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكري و (شرح كمال الدين الشيرازي) على كتاب (المناظر) لابن الهيثم وكتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني . ثم أثنى عليه وأعرب عن إعجابه الزائد بنشاطه وقال : « إن الأستاذ (كرنكو) بحسب العرف غريب عنا ولكنه في الواقع قريب من قلوبنا لعطفه على أدبنا وتاريخنا وديننا بلا غرض إلا خدمة العلم المجرد . » (١)

كذلك لم يبخل الأستاذ (محمد كرد علي) بالتقدير والمدح ، على أبحاث المستشرقين في مختلف الموضوعات العربية والإسلامية . فنراه مثلاً عند التعريف بأطروحة الأمتاذ (هنري لاوست) عن (تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية) يقول : « إن هذا المستشرق الفرنسي قد نفذ إلى روح شيخ الإسلام ابن تيمية وغاص في تعاليمه كما يغوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق . فاستخرج لآلئ بديعة .. » (٢) . ثم قارن

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٩٦) والجزء الثالث صفحة (٩١٩-٩٢٠)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (١٦) صفحة (١٩١-١٩٢)

بين دراسة هذا المستشرق وبين الأطروحات التي كتبها الطلاب العرب والتي لم يكونوا يقصدون بها خدمة العلم وإنما مصلحة أنفسهم ونيل الشهادة فحسب ..

ويبدو أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد تعرض إلى شيء من النقد والعتاب لإغراقه في اطراء المستشرقين . فقد جاء في « المذكرات » قوله : « كنت كلما مدحتهم (يقصد علماء المشرقيات) أمام جماعتنا يتأففون من سماع كلامي لأنهم من الصنف الذي لا يعمل ولا يجب أن يعترف لأحد بأنه يعمل » (١) . وفي مكان آخر يقول : « يلومني بعضهم لأنني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات . ولو كان اللاثون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرتهم ، ولكنهم من الجماعة الذين لم ينشروا ورقة من آثار السلف وليس لهم رأس مال إلا الثروة ، لا يعملون ولا يتركون غيرهم يعمل » (٢) .

والحقيقة هي أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يمدح المستشرقين حباً في ذواتهم ، وإنما أراد أن يستحث هم أبناء أمته ، فكان يقدم لهم نماذج يقتدون بها في العناية بالتراث ونشر العلم واتباع طرائق البحث الحديثة . وكان بطبيعة الحال يتعمد إبراز النواحي الحسنة من نشاط المستشرقين ويستمرسل في الكلام والثناء على المشهورين منهم بالاعتدال والإنصاف أو بالتعاطف مع العرب والمسلمين .

على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يجهل أهداف الغربيين

(١) المذكرات ، الجزء الأول (١٩٤)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد (١٧) صفحة (١٦٠)

وأغراضهم من دراسة المشرقيات . فقد أفاض في الكشف عن العوامل التي أدت إلى نشأة الاستشراق من دوافع دينية في بادئ الأمر ثم إلى أطماع سياسية - استعمارية بعد ذلك . وهو يقول : « لا بد لي . . . أن أشير إلى أن أكثرهم جعلوا علمهم خدمة دولهم وأممهم يخدمونها في سياستها بما تصل إليه أيديهم ويهدبهم إليه أطلالهم . ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شمه نبذته دولته فلا يتوقعن إذاً من مستشرق أن يخدم غير أمته . ولهم المعذرة في ذلك . . . أما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم أن يخدموا آدابنا بأمانة لا يتخذونها سماً إلى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة إلى اغتصاب حقوقنا في الحياة » (١) .

وفي الواقع كان الأستاذ (محمد كرد علي) يسرع دوماً إلى الرد على بعض المستشرقين المتعصبين الذين كانوا يطعنون في العرب والمسلمين . هكذا لما ظهر كتاب الأب (لامنس) البلجيكي عن (تاريخ سورية) انبرى له الأستاذ (محمد كرد علي) ونشر في مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً انتقادياً شديداً فضح فيه أغلاله واقتراءاته (٢) . ثم عاد إلى انتقاد ما كتبه (لامنس) عن الشام وعن الإسلام ضمن موضوعات (موسوعة الإسلام) وبيّن أن جمهرة المستشرقين لا يتفقون معه في الرأي ، بل يصفونه بالتحزب والتعصب وينظرون إلى أقواله بتحيز شديد (٣) .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٤٣) صفحة (٣٤٩)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢) صفحة (٢٧١ - ٢٨١)
وصفحة (٣٤٧ - ٣٥٠)

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٧) صفحة (١٢٩ - ١٣٢) ثم المجلد (٢١) صفحة (٣ - ١١)

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد حضر مؤتمر المستشرقين في (اكسفورد) سنة ١٩٢٨ وتحدث هناك عن نهضة العربية الأخيرة . ثم دعي إلى الاشتراك في المؤتمر الذي عقد في (ليدن) بهولندا في صيف سنة ١٩٣١ ، فتقدم إلى رصفاته أعضاء الجمع العلمي العربي يسألهم عن الموضوع الذي يرون أن يحوض فيه وأخبرهم أن كل عضو لا يسمح له بالكلام أكثر من عشرين دقيقة ، فاقترح عضو الجمع الدكتور أسعد الحكيم بأن يرد على المؤلفين الغربيين الذين ما زالوا يطعنون بالعرب والمسلمين منقادين إلى أحقاد قديمة وتعصبات ذميمة ، ووافق سائر الأعضاء على ذلك .

ويروي الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته أنه بدأ بدراسة الموضوع درساً « خفيفاً » ليكتب فيه سبع صفحات . ثم يقول إنه لما أزمع الرحيل حددت الحكومة مدة الرحلة بأربعين يوماً فاستقلها وعدل عن السفر . إلا أنه انصرف بعد ذلك من تلقاء نفسه إلى دراسة الموضوع ، وساعده اعتزاله منصب الوزارة إذ ذاك على التفرغ إلى البحث وظل يشغل بالتأليف مدة ثلاث سنين حتى أنجز كتابه « الإسلام والحضارة العربية » الذي قال عنه الأمير شكيب أرسلان إنه خير ما كتب الأستاذ (محمد كرد علي) (١) . وقد استهله بمناقشة المستشرقين الذين نالوا من الإسلام والعرب ، ثم انتقل إلى الرد على الشعوبيين عامة الذين ناهضوا العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب وقاموا ينقصون من قدر حضارتهم وينكرون فضلهم وأصالتهم ولا يتورعون عن المغالطة والكذب .

ولكننا نلاحظ أن الفصول المخصصة لتفنيد مزاعم المستشرقين المتعصبين

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (٣١٦)

والشعوبيين المغرضين لا تؤلف إلا جزءاً ضئيلاً من الكتاب لا يزيد على مائة. صفحة في حين أن القسم الأعظم أي (٨٤٠) صفحة قد خصص لوصف مدينة العرب والإسلام ولييان محاسنها وعناية أهلها بالعلوم والآداب والفنون وللكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا . ويمكن التأكيد على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يميل إلى المجادلة والمناظرة ، فلم يتعرض إلا إلى القلائل من المستشرقين الذين تعمدوا الإساءة إلى العرب والمسلمين وشوهوا الوقائع وخالفوا الحقائق . وكان يسعى إلى نقض مزاعم هؤلاء المخالفين بالرجوع إلى آراء العلماء الغربيين أنفسهم ، الذين امتازوا بالتزاهة والحياد . فكان يستشهد على الأخص بأقوال العلامة (غوستاف لوبون) الذي استطاع ، على الرغم من عدم معرفة للعربية ، أن يؤلف كتاباً من أجل الكتب عن (حضارة العرب) يبرهن على سعة اطلاعه وتزاهة أحكامه .

لم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) ينتظر من المستشرقين أن يبحثوا في تاريخنا وحضارتنا من وجهة نظرنا نحن . وهو يعترف بأن البشر يختلفون في المعتقدات والعادات وأن آراءهم تتباين ، ولذلك يطالب بأن نعذر المناظرة المعتدل إذا كان يؤمن بما يقول وألا ننسى بأن « مجتمعنا ما كان في كافة أدواره وأطواره فائضاً بالعدل والتسامح » ثم يصرح بأن « لكل أمة لو أنصفنا مساويء ومحاسن ، تساوى في ذلك القديم والحديث والصغير والكبير منها . » (١)

كذلك يقول الأستاذ (محمد كرد علي) : « وإذا أولع العرب

(١) الإسلام والحضارة العربية ، صفحة (١٩)

بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدعون أنهم كانوا أول من ورّخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البادئين بأسس المدينة . وما ادّعى المسلمون قط أنهم نزلوا بحضارتهم من السماء ، بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وسعتهم الزيادة فأوصلوها بأمانة إلى أهل المدينت الحديثة « (١) . إنه يريد من المستشرقين التقيّد بقواعد البحث العلمي من من حياد وتجرد وإنصاف وجرأة في الجهر بالحقيقة .

إن الأستاذ (محمد كرد علي) كان يكره التعصب ويكافح العدوان ويدعو إلى التفاهم والتقارب . وقد انتقد المستشرقين المتعصبين المفرضين لأنهم يشيرون الأحقاد ، وهو يقول : « للبشر اليوم مقصد أسى من الخلفات والمناقشات التي جاءت القرون إثر القرون وما زالت مجالها لم تورث النفوس إلا اشتمزازاً . . . إن البشر بعد هذا التقارب في المواصلات والأفكار أحوج ما كانوا إلى التعارف والتعاطف وإنصاف بعضهم بعضاً ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » (٢) .

(١) المصدر نفسه صفحة (٥٥)

(٢) المصدر نفسه صفحة (١١ - ١٢)

وفاء

الدكتور جميل سلطان

عهدُ الشبابِ ومثلُهُ لم يُعهدِ
طُوبتْ برودُ الحسنِ من أيامِهِ
ومضتْ حوافلُ مُزْنِهِ وتظنُّهَا
وذوتْ نجومُ الأرضِ مذهبُ الترى
وبدا ضياءُ الشيبِ في إشراقِهِ
فكأنه زهرٌ يروقُكَ حسنه
فارجعْ إلى زهورِ الشبابِ وتبيهِهِ
والنورَ تقذفُهُ العيونُ كأنه
وبكلِ نفسٍ ثورةٌ لا ترضي
وتطلُّعُ لبناءِ مجدٍ خالدِ

ولى مع الأحلامِ والزهرِ الندي
فكأننا من بُرْدِهِ لم نرتدِ
ما أمطرت يوماً لعيشِ مُرغِدِ (١)
وجفا ذرى الأفنانِ كل مغرِدِ (٢)
كالفجرِ يطلعُ من إهابِ أسودِ
والزهرُ محبوبٌ وإن لم يتعقدِ
تلقَ الشموعَ شواخاً في المعبدِ
ومضُ يندُ عن الضرامِ الموقدِ
ما أبلتِ الأزمانُ من مُتعوِدِ
صنَّعَ الذينَ أتوا بكلِ مُختلِدِ

* * *

- (١) أرغد القوم : أخصبوا وصاروا في رغد العيش . وأرغد الله عيشه : جعله رغيدياً ، أي طيباً متسعاً فهو مرغد العيش .
(٢) نجوم الأرض : أزهارها .

وشيوخنا الأبرار جادَ ثراهمُ
 كانوا الأئمة إن قصدتِ حماهمُ
 وإذا رغبتِ بخيرٍ ما يرجو الفتى
 كانوا مصابيحَ الهداية المورى
 أتقولُ : هم مثلُ النجومِ ؟ وإنهمُ
 من كلِّ ثبَّتِ العلمِ موفورِ النهى
 عيقدُ بأوسطِهِ تقومُ فريدةُ
 ما مثله في الأرضِ عقداً كاملاً

عَدَقُ من الرضوانِ غيرُ مُصرَدِ (١)
 فخُطَاكَ في هدي لأشرفِ مقصِدِ
 ألفتِ عندهمُ رجاءَ المجتدي
 في نورها يضي المجدُّ ويهتدي
 لأدلةً منها للسبيلِ الأرشِدِ
 متواصلِ الحلقاتِ برِّ المعقِدِ (٢)
 بينَ الآلىءِ في ضياءِ الفرقَدِ (٣)
 ضمَّ النوابغَ للرئيسِ محمدِ

* * *

ربُّ البيانِ إذا سمعتِ مقالتهُ
 وإذا سبرتِ الغورَ من تفكيره
 وإذا أطلَّ على الجموعِ محاضراً
 وترى ذوي الألبابِ منه بموضعِ
 يُضِي القلوبَ ويستبدُّ بوعْيِها
 أحياناً بليغَ القولِ عذبُ مقاله
 صانَ العروبةَ إرثها وصفاءها

راعتك منه رصانةُ المُتشدِّدِ
 أبصرتِ فيه ثورةَ المُتجدِّدِ
 من فوق منبره فقد سحرَ الندى (٤)
 في حُسنِ مُستمعٍ وصدقِ تودُّدِ
 حرَّ من الآراءِ لم يُستعبدِ
 وأتى بصرحِ في البيانِ مُمترِّدِ
 واشتدَّ في ردِّ الدخيلِ المُفسِدِ

(١) الغدق : الماء الكثير . صرد العطاء : قلله ، والمصرد : القليل ،
 وصرَد الرجل : سقاه دون الري .

(٢) عقد النية والبيع والأمر : أحكمه واشتد فيه . وهو بر المعقِد : كناية
 عن كونه حسن الطوية .

(٣) الفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٤) الندى : بمعنى المجلس ، وهو المنتدي .

وإذا بغى فسيما يؤرِّخُ مُبطلُ
 نالتهُ من قلمِ الرئيسِ لوادِعُ
 علمُ وتجربةُ وفكرُ ناقبُ
 ومحامدُ في نشرِ كنزِ دائرِ
 وإثارةُ لعزائمِ مطويَّةِ
 وبكلِ قطرٍ من جليلِ صنيعةِ
 تلكَ المآثرِ إن ذكرتَ ستاتها
 حتى إذا بلغَ المدى من شوَّطِه
 ومضى عن الصرحِ الذي قد شادَهُ
 ومشى مع الأهواءِ مشيَّ مُفندِ (١)
 تبغي الصوابَ وغيرَهُ لم تنشدِ
 وجراءةُ لم تستكنِ لمُسَوِّدِ
 أغفى طويلاً في الغبارِ الأربدِ (٢)
 لولاهُ لم تظفرَ بزنادِ مؤيدِ
 ورُدُّ من العرفانِ يغشاهُ الصدي (٣)
 أعيتُ على التعدادِ كلَّ مُعَدِّدِ
 أفضى الزمانُ بهُ إلى المُتوسِّدِ (٤)
 فترعاهُ أربابُ البيانِ المُحصِّدِ (٥)

* * *

وتتابعَ الأجيالُ يخلفُ بعضها
 ثم استقرَّ الجُمعُ حولَ رئيسِه
 «حُسنِي» الذي صحَّيبَ البلاغةَ علمُه
 وأذلَّ للفصحى الدخيلَ وما وئى
 بعضاً وأخذُ مطرفُ عن مُتليدِ (٦)
 علمُ البلادِ بفنهِ المُتفَرِّدِ
 وشفى من الأسقامِ كلَّ مُنكِّدِ
 عن أعجميِّ نافرٍ مُتمرِّدِ

- (١) فنده : خطأ رأيه وضعفه ، والمفند : المخطأ في رأيه .
 (٢) الأربد : ما كان فيه ريدة وهي لون الغبرة .
 (٣) الصدي : العظشان عطشاً شديداً .
 (٤) المدى : الغاية والمنتهى .
 (٥) أحصد الجبل : قتله فتلاً محكماً فقوي واشتد ، والرأي المحصد : الرأي الحكيم كالأحصد وهو من المجاز .
 (٦) أطرف : أتى بالشيء الجديد المستحسن فهو مطرف . وأتلد الرجل : كان ذا مال تُلد ، أي عريق قديم فهو متلد .

عرفَ الأماثلُ عبقريةَ فضلهِ
ولكلِّ عضوٍ منهمُ الفضلُ الذي
نشروا الفضائلَ في الأنامِ ومن يجيءُ
أنعمَ بهمُ من حافظينَ لمُجمعِ
فإذا أثاروا اليومَ ذكرى ماجدِ
مُحيونَ في ذكراهُ سالفَ عهدنا
من طالعينَ على الأنامِ كواكباً

* * *

يا تاركَ الأثرِ الحميدِ ونشرَ النورِ الجديدِ لكلِّ جفَنِ أرمدِ
مهَّدتَ للغادينَ في ظلمِ العُلَى
وبذلتَ في التعليمِ أقصى هممةِ
وبعثتَ للغربِ الشبابَ ليجتنبوا
وصحبتهمُ فرأوكَ أكرمَ والدي
فعلى الطفولةِ منكَ قلبُ مُروعِ
وعلى هدى السننِ الذي أشرعتهُ
للعاملينَ يسيرُ منْ بكَ يقتدي (٢)

* * *

قالوا له يوماً : رؤيدك لا تكنُ
إنَّ المعاهدَ إنَّ علتْ درجاتها
والراشدونَ المُصعِدونَ إلى الذرى
في البذلِ للأبناءِ مبسوطِ اليدي
كانتْ أحقَّ بكلِّ مالٍ مُرصدِ
أولى من النشءِ الذي لم يُصعِد (٣)

(١) نهد : شخص وقام إليه ، وعلا وارتفع .

(٢) السنن : الطريق .

(٣) أصعد في الأرض : مضي من أرض إلى أعلى منها .

وَلَهُمْ مِنَ الآرَاءِ مَا لَمْ يُجْحَدِ !
 طُولِي عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ السَّرْمَدِ ؟
 هَيْنًا لِيكَفَّ الطَّامِعِ الْمُتَوَعِّدِ ؟
 عَنْ كُلِّ حَامٍ حَوْضَهُ مُسْتَأْسِدِ
 لَكِنهَا تَخْشَى هَزِيمَ المُرْعِدِ (١)
 لَكِنَّهُ عَنْ قَصْدِهِ لَمْ يَتَّقِدِ
 لِيَشِدَّ الأَبْنَاءَ خَيْرَ مُشِيدِ
 فِي حِكْمَةٍ هِيَ مُؤَنَةٌ المِتْرُودِ
 أَخُونُهَا فِي العِلْمِ ؟ يَا وَيْحَ الرَّدِيِّ
 أَمْ أَحْرَمَ الظَّمَانَ عَذْبَ المِوَرْدِ (٢) ؟
 لَمْ أَقْطَعْ مِنْ ذُخْرِ أَبْطَالِ الغَدِ
 حَفِظَ الحَقُوقَ وَحَالَ دُونَ المُعْتَدِي

* *

لَكِنْ رُوحَكَ هَيْنًا لَمْ تَبْعُدِ (٣)
 شعراءَ فِي عِزِّ الشَّبَابِ المُسْعِدِ
 وَاليَوْمَ صرْتُ مَعَ الرِفَاءِ بِمُوعِدِ
 بِأَدَائِهِ يَرَعُ الدِّمَامَ وَيُحْمَدِ
 طَالَ الزَّمَانُ وَعِزٌّ فِيهِ مُنْجِدِي

أَتْرَاهُمْ نَكِيرُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِ ؟
 أَمْ هَالَهُمْ أَنْ تَسْتَمِرَّ لَهُ بِدْ
 أَمْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا حِمَى أبنائنا
 فَاسْتَضَعَفُوا الطَّيْرَ الأَنِيسَ وَأَحْجَمُوا
 وَالنَّاسُ لَا تَخْشَى أَغَارِيدَ الضُّحَى
 عَجِيبَ الرَّئِيسِ لِيَمَا يُفِيدُ خَطْوَهُ
 وَمَضَى إِلَى المَرْجُوِّ مِنْ آمَالِهِ
 وَأَصَاخَتْ الدُّنْيَا لِتَسْمَعَ قَوْلَهُ
 إِذْ قَالَ : هَذَا الغَرَسُ مُقْبَلٌ أَوْتِي
 أَفَأَمْنَعُ الغَرْنَانَ قُوتَ حَيَاتِهِ ؟
 لَوْ قَطَّعُوا مِنْ رَاحَتِي أَنَامِلِي
 فَضَّلْ عَلَى الأَجْيَالِ اثْبَتَهُ أَبُ

*

يَا صَاحِبَ الأَيْدِي وَجِسْمِكَ مُبْعَدِ
 بِالْأَمْسِ كُنْتَ مَكْتَرِمِي فِي عَصْبِي
 فَحَمَلْتُ مِنْكَ جَمِيلَ مَا أَوْلَيْتَنِي
 وَالدَّيْنُ حَقٌّ لَا يُضَامُ وَمَنْ يَقُمْ
 أَفَأَسْتَطِيعُ وَفَاءَ دِينِي بَعْدَمَا

(١) الهزيم : صوت الرعد .

(٢) الغرنان : الجائع .

(٣) لم تبعد : (بفتح العين) لم تهلك ولم تمت .

أني وفضلك فوق كلِّ بلاغةٍ
ويضيقُ عنك الحرفُ إنْ أوردتهُ
وبحسبِ عرفاني لسانٌ ذا كرهٍ
أني خبرتُ العبقرياتِ التي
فأكادُ أجزمُ أن ما أوتيتهُ
قلّنتُ إنْ ذو كبرٍ النوابعُ أمةُ
من شاعرٍ جَزَلِ المقالِ مقصِّدٍ
كفوهٍ وافي التناءِ مُجوِّدٍ (١)
لم أجتِرحُ فيه ولم أتردِّدِ (٢)
أنوارها سطعتُ ولمّا تخمَّدِ
لم يجتمعُ يوماً لشخصٍ أوحدٍ
جمعتُ عليَّ في غيرها لم تُوجدِ

* * *

صلى عليك الله في جناته
لجزيلٍ ما أثَّرتَ في تاريخنا
وأبنتُ أنَّ اليعربيةَ أمةُ
وحباكُ بالشعمي ونورِ المشهدِ
ودفعتُ عن إرثِ عريقِ المحتدِ
تبقى على الأيامِ أمُّ السؤددِ

(١) المفوه : البليغ الكلام .

(٢) اجتراح الإثم : ارتكابه .

رحلات كرد علي وأثرها في أدب

الأستاذ جمال الدين الألوسي

تحيني إليكم سادتي مشفوعة بالشكر والامتنان لكل من أسهم
ياحياء هذه الذكرى الكريمة التي تعطرت أيامها بسيرة المغفور له الرئيس
الجليل محمد كرد علي . ومن حقه على الشام وجمعتها ، بل على العرب أجمع
أن يحتفوا بذكراه وينشروا سيرته وجهاده وأدبه ويحيوا مؤلفاته بين أبناء
العروبة ولاسيما الجيل الصاعد ، ليكون لهم قدوة تعصمهم عن مزالق الأهواء
الوافدة ، وتشدهم إلى عروبتهنهم ومقومات دينهم الحنيف ، تعامهم سيرته الحافلة
بجلائل الأعمال الدأب على العمل ، والسعي وراء المعرفة ، والصبر على التحصيل
والصدق في الأقوال والأفعال .

وبعد ، فإن الأستاذ الكبير محمد كرد علي يُعد من أعظم الرجال ، ومن
الرواد الذين قامت على جهودهم النهضة العربية الإسلامية الحديثة . كان أمة
في رجل كما وصفه عارفو فضله ، جاهد في أحلك الأيام وناصح عن العروبة
والإسلام بقلمه ولسانه وبقالاته ومؤلفاته ، ونصب نفسه رقيباً لكل من
يتصدى للإسلام بضمز أو للعروبة بلمز ، قاوم الاستبداد ولاقى في سبيله
الآلافي ، من أجل إشاعة الخير ، في عزيمة لا تعرف الخور ، ولا يتسرب إلى
نضاله فتور أو حذر .

- ١٩٥ -

أحال قلمه داعياً إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي ، وشدّد النكير على الحكام الظلمة ، ودعا إلى محاربة البدع والضلالات ، وكتب مدافعاً عن مصالح وطنه ، وطالب الولاة بالعمران والإصلاح الاجتماعي ، ناقداً من غير هوادة سوء إدارة الحاكمين من عثمانيين وفرنسيين فاضحاً خراب ذممهم ناشراً طبائع الاستبداد والمستبدين بهمة عالية ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، صريح لا يعرف التقية أو المواربة ، ممّا جرّه عليه الكثير من الخصومات والملاحقات والمتاعب .

كانت نزعة الإصلاح ذات جذور في أعماق نفسه بفضل فطرته وتربيته ، ولأساتذته الفضل الأكبر في إذكاء هذه الروح وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري ، وكان لآراء جمال الدين الأفغاني التي يقرؤها في العروة الوثقى ، وما كان يصله من مقالات المصلحين المجددين من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد ابن عبد الوهاب أثرها الفعال في نفسه المطبوعة على حب الخير .

انتقد عصور التخلف والطائفية ، وجرّد قلمه لمحاربة شعوزة المشايخ والمشعوذين ، يتعقب جهالاتهم وجهالتهم الذين كانوا يضلّون الناس بدعاواهم التي ليست من الدين بشيء .

وكانت آراؤه تنسّم بالسلفية والنزعة التجديدية التي تربى عليها وأشار إليها في قوله : « منذ فقدنا استقلالنا وقبض على زمام إدارتنا أغراب ليسوا من جنسنا وأحياناً من غير أهل ملتنا ونحلتنا ، ويسنّ قوانيننا غيرنا ، وقد يسنون ما لا يلائمنا ، ضعفت فينا خلال هذه القرون الطويلة ملكة العلم ، وانحططنا في أخلاقنا وتفكيرنا ، وابتعدت كل طبقة عن أختها لا تشاركها عواطفها ، وكان في هذا المجتمع المنحط طبيعياً أن يأكل القوي الضعيف

وأن تغرق البلاد في بحرانٍ من الجهل وإن هبَّت تتلمس سبل النجاة
لا تهتدي إلى النجاة» .

وسيلته لنشر آرائه :

لم يرَ وسيلةً لتحقيق أغراضه السياسية وآرائه الإصلاحية أصلح سبيلاً
ولا أقوم مسلكاً من الصحافة ، وقد أولع بها منذ صباه ، مال إلى قراءة
الجرائد اليومية والمجلات الشهرية وسنَّه لم تتجاوز مرحلة الدراسة الإعدادية ،
اشترك في جريدة فرنسية أسبوعية كانت تصدر في باريس اسمها « صديق
الريف » ، وولع بقراءة جريدة « لسان الحال » لأن فيها أخباراً طريفة معربة
عن الانكليزية ، وكانت تصله جرائد مصرية ويعكف على مطالعتها ولا
سيما المقتطف ، كما كانت تقع تحت يده جرائد تركية . وما بلغ السادسة عشرة
من عمره حتى أخذ يكتب أخباراً ومقالات في الجرائد ، وفي هذا التكوين
قال : « ما كنت أظن هذه البداية تنتهي بي إلى الغرام بالصحافة » .

وطابعه : أن يخلو التحرير من التعقيد ، وأن يكون التعبير واضحاً
يهدف إلى المعنى بإيجاز ، يتخير اللفظ السهل ، ويسعى لاستعمال الجملة البليغة ،
وأفضل اللفظ عنده ماخفٌ على اللسان وراق للسمع ، وتغلب على مقالاته
طبيعة الاستقصاء حتى يستوفي المعنى الذي يبتغي عرضه على القراء ، حتى
عدَّ من أصحاب الأساليب ، وقرنه الأستاذ محمد عبد الفتاح في كتابه (أشهر
مشاهير أدباء الشرق) بالعقاد وطه حسين ومحمد عبده ، وعدَّه الأستاذ جمعة
إسماعيل في الأدباء الخمسة أصحاب الأساليب . وثقافته لا تعتمد على الصحافة
بقدر ما تعتمد على كتب التراث العربية وفرنسية وتركية ، مكنته فطوته
السليمة وذكاؤه الحاد ودراسته المنهجية من عربية وفرنسية وتركية وثقافية لمعارف

عصره عربيةً وشرقيةً - أهلته في الأخير أن يتبوأ مركزه الأدبي والاجتماعي. قرأ المخطوطات وبحث عنها في خزائن دمشق والقاهرة والآستانة وليدن وروما والاسكوريال ، وفي مكتبة الأمير كيتاني ، وقرأ ما حققه المستشرقون من كتب التراث . وله صداقات ولقاءات ومراسلات ومساجلات مع الكثيرين منهم ، واطلع على ما ألفوه في الإسلام والعرب وكتب في أوهامهم وأخطائهم الفصول المفيدة ، قال :

« أهم ما أوامت بطلعته بمد درس المطبوع من كتب الأدب العربي جانب من المخطوطات التي عثرت عليها من كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأحوال الشعب ومدنياتهم ، وطالمت بالفرنسية أهم ما كتبه فولتير وروسو ومنتسكيو وسينسروتين وسيمون ، وتدارست المجالات الفرنسية الأدبية والاجتماعية والتاريخية ، وجريت منذ نشأت على قاعدة مطردة لم أتخلف عنها قيد شبر ، وهي أن أقرأ أكثر مما أكتب ، وقلما دونت موضوعاً لم أدرسه في الجملة ولم تتشربه نفسي » .

وصفه صديقه الشاعر الكبير شفيق جبيري وقد زامله وعمل معه طويلاً ، قال :
« لقد خالطته في وزارة المعارف ، وكان وزيراً لمعارف سوريا فوقفت على كثير من خصائصه وطباعه ومزاجه ، فما عرفت رجلاً أواع بمطالعة الكتب ونوعه ، فكثيراً ما كان يطلب من أصحاب المكتبات الفرنسية كتباً في أكثر الموضوعات ولا سيما موضوع الاجتماع ، وما أذكر أنه كان يمر عليه شهر وأحياناً أسبوع دون أن يطلب كتباً جديدة للمطالعة من باريس ولييسك وروما ولندن » وقال : « إذا خلا إلى نفسه فإنما يخلو إلى مكتبته ، وإذا اعتزل دمشق إلى ريفه في الفوطة فإنما يمتزها ليصغي إلى أحاديث كتاب يجالسه إصغاه إلى حفيف شجره ، وزقزقة طيره ، وما عرفنا في عصرنا من غلبت عليه محنة القراءة وشغله الميل إلى التأليف مثل الأستاذ الرئيس » .

رحلاته إلى مصر :

دفع به شغفه إلى المعرفة والاطلاع على المدينة الغربية أن يرحل رحلته الأولى إلى مصر أولاً ومنها إلى الغرب وذلك سنة ١٩٠١ - قاصداً زيارتها والتعرف على أدبائها ومشاهيرها ومشاهدة عمرائها ، وكانت مصر كعبة الرواد ومنتجع الأحرار من أبناء العروبة ، كما كانت ملجأ المجاهدين ولاسيما أحرار سوريا . قضى في رحلته هذه عشرة شهور عمل فيها رئيساً لتحرير جريدة الرائد ، فلما انتشر وباء الكوليرا سنة ١٩٠٢ رجع إلى دمشق فراراً من الوباء ، وعاد إلى مصر سنة ١٩٠٥ ونشر « المقتبس » فتلقاه القراء بالترحاب والتقدير ، ورحبت الصحافة المصرية بها ، وعن طريقها اكتسب شهرة واسعة إلى شهرته التي اكتسبها عن طريق ما كان ينشره في الصحف المصرية ، وأسندت إليه رئاسة تحرير الظاهر بعد شهرين من عمله فيها في حقل المترجمات ، وحين خرج العدد الثاني من المقتبس أطرته المؤيد وأثنت على صاحبه فساعد هذا التقريظ على انتشار المجلة ، لأن صوت المؤيد كان يومها أعلى الأصوات ، وحاول صاحب المؤيد أن يعهد إلى كرد علي رئاسة تحرير المؤيد فاعتذر لارتباطه بجريدة الظاهر ولأن رئيس تحريرها صديق له .

لقد كانت الصحافة مدرسة كبرى عادت على الأستاذ الرئيس بالمعرفة والدرس العلمي ، وقادته إلى ميادين فيحة من الثقافة وبتأته منزلة مرموقة بين رجالات العلم والأدب . في رحلته الأولى تعرف على الإمام محمد عبده قال : « كنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي ، وهي المحاضرات التي دأب على إلقائها إلى قبيل وفاته

سنة ١٩٠٥

« وكنت أغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع ، وكان واسطة التعريف محمد رشيد رضا صاحب المنار ، ولقيت من الشيخ الإمام أول تشرتي به إطرأ وعطفاً ، وقدمني إلى جماعته وأثني على مقال كنت كتبه في مشروع السكة الحديد - الخط الحجازي - فكان تقرظه للمقال وثنأؤه على أفكاره خير تكريم لي في مثل هذا اللقاء في حفل حاشد بالعلماء والكبراء ، وكانت ندوة الإمام خير واسطة لمعرفة طبقات القاهرة تضم العديد من أعيان مصر وعلمائها وفضلانها ، من أمثال محمد المهدي وأحمد الاسكندري والشيخ شاكر ومحمد الخضري ورفيق العظم وعبد العزيز شاويش وحفني ناصف ومحمد ديّاب وحافظ إبراهيم ، كما كانت للأستاذ كرد علي لقاءات مع رواد مقهى حديقة الأزبكية وكان من روادها المنفلوطي ولطفي جمعة وأحمد فتاح وحافظ عوض وداود بركات ويوسف الحازن وأحمد الألفي وولي الدين يكن وإبراهيم سليم النجار وسليم سر كيس وعلي يوسف ، ويوسف وسليمان البستاني وخليل مطران والشيخ طاهر . ومجلسهم كما وصفه الرئيس - مجمع علمي في مقهى - عادت عليه هذه اللقاءات والصدقات بفوائد أدبية واجتماعية كان مردودها زاداً دسماً لمجلته ولقالاته التي كان ينشرها في الصحافة المصرية .

رحلاته إلى الغرب :

رحل إلى أوروبا في فترات مختلفة كان آخرها في سنة ١٩٢٨ وكان من ثمرتها كتابه « غرائب الغرب » وكان أحفلها رحلته إلى إيطاليا « رومة » في سبيل الإعداد والوقوف على المخطوطات لتأليف كتابه الجليل خطط الشام . فقد كانت أمنيته أن يزور أوروبا زيارة درس واستطلاع لحضارة الغرب ، ويزور المكتبات ويتعرف على ما فيها من كنوز الأجداد من المخطوطات

التي تسربت إلى مكاتب الغرب ، ولكن أشغاله الكثيرة في الصحافة والكتابة كانت تحول دون تلك الرغبة الملحة إلى أن عطلت المقتبس وطارده السلطة بأمر الوالي ، بسبب آرائه الإصلاحية وتقدمه الجريء للولاية والموظفين ، وقد أثارت مقالته في « الوهاية » غضب الوالي وحرش عليه المشايخ واضطر أن يتخفى في قرى الغوطة ويتنقل من قرية لأخرى ، يكمن في النهار ويجد السير في الليل ، يواصل سفره حتى وصل بيروت ، فكان له من هذه العطلة الاضطرارية فراغ حفزه أن يجدد العزم للقيام بالرحلة العلمية .

وفي هذه الحادثة وما لاقاه الأستاذ كرد علي من حياة التخفي والخوف وصفه الأمير شكيب أرسلان رحمه الله في قصيدة طويلة مداعباً تارة وناقداً أخرى ، ناقداً عصور الظلم والاستبداد ، مطلعها :

ألا قل لمن في الدجى لم ينم
طيلاب المعالي سمير الألم
ومنها :

وكم سرورة تحت جنح الظلام
بجاف بها حركات الفصون
وإن تشد ورقاء في أبكة
وكم بات للنجم برعى إذا
وطال به الليل حتى غدا
ومين ذعره خال أن النجوم
ومنها :

وقالوا سينفى إلى رودس
وقالوا سيجزى بما قد جرّم
وقد قيل « فزان » من دونه
وتلك السموم وتلك الحُمم

وبعض بسجنٍ عليه قضى وبمضٍ بضربٍ عليه حكّم
 وكرد علي غدا عيرةً ففات ومنه الرجاء انصرم
 فيا كرد لا تحزننك الخطوب فإن الموم بقدر الميمم
 ومن رام أن يتعاطى البيان نوقّع أن يبتلى بالنيقم
 فذي حرفة القول حريفة وكم أدركت من ليب وكم

كان جلُّ قصده من رحلاته المعرفة والدراسة والتعرف على معالم المدينة الغربية بالمشاهدة والمقارنة ، وقد تغني مشاهدة واحدة عن قراءة كتاب ، وما كان يشهد معهداً علمياً أو يزور جامعة أو مكتبة عامة أو يبصر حديقة أو معملًا صناعياً إلا وتراد يوازن بينها وبين ما عليه حالنا من التخلف والتأخر والفقر .

وما أثار إعجابه متحف أو مسرح أو مصنع أو مطبعة إلا وتسمعه يتحدث عن أثر الحضارة الغربية وما صنعت لأهلها من النماء والتقدم ، ليخلص من كل ذلك إلى إيقاظ أولي الأمر وينبهم إلى ما عليه أوطاننا العربية وحتى التركية من الجهالة والامية ، قال : « نحن لا نسجل في رحلاتنا إلا ما تقع عليه أبصارنا ويتراعى إلى آذاننا ونسكه بأيدينا » .

وفي نقده وتوجيهه يفصح عن نزعتة الإصلاحية ورغبته في خدمة قومه ، فما ينقل إليهم من معالم المدينة وبواعثها والدعائم التي ترتكز عليها مدينة الغرب إلا بقصد إفادة قومه ، يقول : « إن ما شاهدناه عندهم ليس إلا ثمرة عمل عظيم وجهاد منظم وإرادة قوية وأساس راسخ ، وإذا أردنا أن نبلغ بامتنا مبلغهم فما علينا إلا أن نمد يدينا لاستخدام جميع القوى الحية في الأمة ، وأن تعمل الحكومة عملاً فعالاً لما فيه إنهاض الشعب » .

وكتابه « غرائب الغرب » حافل بالموضوعات التي تتسم بالجدّة وتحفظ

بالطلاوة والموضوعية والفائدة برغم مرور أكثر من ستين سنة على كتابتها .
ورحلات الأستاذ الرئيس المتعددة في الغرب والشرق فيها المتعة والنفع
والأدب والتأريخ ، ومن أجزائها نفعاً رحلته إلى إيطاليا الانتفاع من مكتبة
الأمير كيتاني :

كان الأستاذ رحمه الله يفكر في وضع كتاب مطول يشتمل على
تأريخ الشام ، يتناول تأريخ سوريا السياسي والجغرافي والعلمي والأدبي ، وهو
موضوع لا يسمو إلى التفكير به إلا من طبع على علو الهمة ، وعلى قدر
أهل العزم تأتي العزائم . وصاد الكتاب شتتة في المراجع من عربية وغير
عربية ، ودار في خلدته أن يزور أوروبا ليراجع مكتباتها ، فعرض فكرته على
المستشرق « مارتن هارتمن » الألماني وأنه يزعم الرحلة إلى باريز ولندن
واكسفورد ولمبرج وليدن وبرلين ورومة والأسكوريال ، للبحث في
خزاناتها عن المخطوطات العربية ، فقال له إن الفكرة حسنة ولكنها غير عملية
وتستأزم مالياً كثيراً ووقتاً طويلاً ، واقترح عليه أن يرحل إلى روما
ويذهب إلى الأمير كيتاني صاحب كتاب تاريخ الإسلام ففي مكتبته مايفنيك :
فيها صور شمسية من خزائن العالم ، وفيها كل ما خلفه الثقات من مؤرخي
العرب ، فزار مصر وحصل على توصية من أحمد زكي بلشا إلى كيتاني فقدم
عليه وقدم إليه رسالة التوصية ، وعرفه الغاية التي من أجلها يئتم ساعته . رحب
به وسهل مهمته وفتح له أبواب مكتبته وأوصى مساعده المستشرق
« جويدي » أن يقوم بمعاونة الأستاذ كرد علي ، فكان يقضي في المكتبة
كل يوم ساعات ثلاثاً ينهل من مصادرها مدة شهر كامل ، فإذا عاد إلى المنزل
الذي يسكنه راح يدوّن ويركّب الجزوات ويدون ما فيها حتى ارتوى ،
ونسخ من مصادرها ما أراد وتم له تنسيق فصول الكتاب ودوّن مادته

ورتبته حسب الأقاليم ، يبحث في كل إقليم تاريخه وجغرافيته وطوبوغرافيته ،
وسمى كتابه هذا خطط الشام . قال في مقدمته :

« إن المتأخرين زهدوا في التأريخ حتى كادوا لا يفرقون بينه وبين
أقاصيص العجايز وموسوعات المخرفين من القصاص والرضاعين ، بما دعا إلى
العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من المبالغات والخرافات ونخل لباب
الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه شبهة أو شائبة غلو ، وإن كان منها
ما يروق بعضهم ويتفكحون بسماعه ، وبطربون لترداده .

فخاطبت العقل أكثر من العاطفة ، وعنيت في قسم التأريخ السياسي :
أبين علل الحوادث وتسلسل الكوائن وأستنبط القواعد . والتأريخ ريب
الحرية لا يتصرف على هوى من يكتبه ولا هوى من يقرؤه ، ولا يخضع
لأذواق المعاصرين وميوهم ، وما دام موضوعه الاعتبار باحثي لمعرفة
الحالي والآتي فهو جدير بأن يستحرم في الحق ولا يدون سواه ولا يتناغى
بغير الواقع ، .

خمس وعشرون سنة يجمع مادته ، ويجرر فصوله ، وبسوء أوراقه ، وينقلها
إلى الميضات بيده ، ولا يعتمد على كاتب أو طابعة ، ١٩٤٣ صفحة من القطع
الكبير ، الله وحده يعلم كم عانى في كتابتها وجمع مادتها ، قرأ خلال هذه
المدة أكثر من ألف ومائتي كتاب باللغات العربية والفرنسية والتركية ،
وقرأ مصورات لا حصر لها وراجع مخطوطات في خطوط مختلفة لا يبصر
على فك رموزها إلا من أوتي صبراً وجلداً ، وقد رجا إخواناً له الكتابة
في خطط بلدانهم . فاعترف لهم بفضلهم ، ونوّه بعملهم ، وعزا إليهم ما دونه .
وحين قامت الحرب الأولى واشتد أوارها وشغل الناس بويلاتها لم يسع

الأستاذ الرئيس إلا أن بطوي صفحات الكتاب ويقفل على أوراقه إلى أن تضع الحرب أوزارها .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تألفت لجنة من أصحابه وعارفي فضله جمعوا نفقات الطبع ، وفتحوا باب الاشتراك في الشام ومصر والعراق ولبنان وغيرها فجاءت المبالغ تباعاً حتى بلغت زهاء ألف ليرة ذهبية ، وعلى هذا النمط من التعاون تم طبع الكتاب ، وكان لأول مرة وربما هي لآخر مرة يطبع كتاب بهذه الطريقة ، طبع من الكتاب ثلاثة آلاف نسخة بيع منه ألفان سددت نفقات الطبع والورق ، وأهدى من الألف الثالثة للمجامع وإلى دور المكتب العامة وإلى العلماء ، ولم يعد عليه مردود الكتاب إلا بجزء ضئيل من النفقات التي أنفقها على شراء الكتب والرحلات ، ناهيك بأتعبه خلال خمس وعشرين سنة من الجهد المتواصل . نقد الكتاب جماعة من العلماء والأدباء فسجل لهم تقديم وتصويهم وأغفل المدح والتقريظ وقال : « من طبعي أن يتدرب الناس على حب النقد للفائدة المتوقعة منه للمؤلف وللناس وللعلم ، ولم أشتر في كتي ولا في المجلات والجرائد التي أكتبها تقريظاً أو شيئاً يشبه المدح في عملي » .

وألحق هذه النقود والتصويبات في آخر الجزء السادس من كتابه ، والناقدون يومئذ إذا ظهر كتاب لكاتب معروف أخذوه بالدرس والنقد والتقريظ ، وشماهم : « ولا تَدَسُّوا الفضلَ بينكم » ، وما كان من خلقهم التجريح والتبريح ولا التجهيل والتسفيه ، وإنما نقدهم في سبيل النفع العام والفائدة للقارئ والمؤلف . نقده أعلام لهم وزنهم وأقدارهم من مثل : أحمد تيمور وشكيب أرسلان واسكندر معلوف ويعقوب صروف والكرملي وأسد رسم وفليب حتي .

وكتب الأستاذ الشاعر شفيق جبيري في وصفه مانصه قال: « إن الإنسان إذا ضرب بعينه في هذا التاريخ ، فأول ما يفلب عليه دهشة يدهشها وحيرة يجارها : يدهش من هذه الأمم التي تعاقبت على ديار الشام من أولى العصور ، ويجار من هذه اللغات التي تراحت فيها ، ثم لا يخرج من دهشته وحيرته إلا بهذه النتيجة العجيبة : كيف استطاعت القومية العربية أن تُعفّي على آثار كل القوميات التي تعاقبت على الشام ، كيف استطاعت لغة العرب أن تلمس آثار كل اللغات التي تنازعت في هذا الوطن الكبير ، فإذا خرج من قراءة خطط الشام بهذه النتيجة علم حينئذٍ مقدار فضل مؤلفه في جمع ما تبعث من آثار العرب والإسلام ، في السياسة والحضارة ، حتى ينظمها في مسلك واحد يملأ الإنسان منه قلبه وعقله .

ومؤلفاته والكتب التي أنجز تحقيقها ومحاضراته ومقالاته في التاريخ والأدب والسير والاجتماع والدين وفي الحضارة العربية إنما باعثها الدفاع عن الإسلام والعروبة والرد على الشعوية وعلى الاستعمار وأعوانه ، ولم يفارقه المداد والقرطاس طوال حياته ، وصاحب القلم والكتاب حتى وهو في فراش المرض مع الدواء لا يجد عنها غنية أو بديلاً ، وحسبه هذا الصرح العظيم - المجمع العلمي - الذي أشاد صرحه ، والذي ما زال يشع بالعلم واللغة والأدب والذي يواصل مسيرته المباركة ، ويضم هذه النخبة المختارة من رجال العلم والأدب الذين ندبوا أنفسهم لخدمة العروبة والإسلام ، وأعطاه من وقته وقلمه وماله وجهده ما جعله مثابة للعلم وملتقى للعلماء والأدباء من سائر أقطار الدنيا شرقية وغربية .

وأخلص بما قدمت إلى أن تلك الرحلات التي رحلها إلى مصر وتركيا والحجاز وإلى أوروبا بأوقات متفاوتة وحضر مؤتمر المستشرقين واستمع إلى بحوثهم ، يضافي

إليها تلك اللقاءات مع العلماء والكتاب والشعراء والمستشرقين وما كان يردُّ به على استفهام المستفهمين ويعقب على أخطاء أولئك المستعربين ، متممدين وغير متممدين ، كان مردود هذا اللقاح الفكري والأدبي وممارسة الكتابة المستمرة والقراءة لأمراء البيان أن تميز بأسلوب عربي مبين في الأسلوب والمضمون . وإليك سادتي هذه الفقرات ، كتبها في عشر الثمانين في مناجاة نفسه ، فيها الدلالة على أسلوبه الرفيع ، وفيها الدلالة على ما تطوي عليه نفسه من خُلق هذبته الدين وأنضجه العلم ، وطبع كونه الأدب وصُحبتَه الكتاب . وفي هذه المناجاة يبرز أسلوبه الأنيق في الكتابة قال : « يا نفس ! هو ذا الحادي يهيب بك لاجتياز المرحلة الأخيرة - دراكٍ ، وخفِّي في خوف من أثقالك للحاق بمن تقدموك من الأهل والعشير ، فالوقت ضاق ، وأنت على أوفازٍ ، والمنزل منزل قلعة . يا نفس ! لا تغضي ولا تعبي فقد عمَّرت طويلاً ، ومُتَّعت كثيراً . . . واستكثرت من الخلان والمعارف ، وسعدت إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم ، وإلى الرجاء أدنى من القنوط ، وإلى السرور أكثر من النغم ، وعشت في سلطان الرضا طيبة الطعممة ، لا يد لأحد عندك . علموك ما كانوا يأملون منه إعدادك للتجارة تَغْتَنين كما اغتني أجدادك فأخفق تقديرهم ، وهدتك الفطرة لأمر أخرى رفعتها فوق كل اعتبار ، وصرفت فيها نقدَ عمرك ، اعتقاداً منك أن فيها سعادةً لك ولغيرك ، أخذت عن أشياخ أدخلوا الملل عليك بدساتير لهم حفظوها وما اهدوا إلى العمل بها ، وانصرفت عنهم بشكوكٍ ومعميات ما انفلَّ لك بعضها حتى اتصلت بمن خرجوك فيما غلب عليك ، وأصبحت تنظرين في الأمور نظر العارفين ، واقتديت بأرباب العقول قبلك فيما لم ينكشف لك سرُّه ، فسَلِمْتِ كما ساموا ، واستسلمتِ كما استسلموا ،

واغتبطت أن أرضيت هواك فيما قرأت وبجحت ، وفيما سجلت ودونت .
وحظّتك الحظّ فما ألفت إلاّ أولي الفضل ، وما حرصت إلاّ على صداقتهم ،
ولا اختلفت إلا إلى مجالسهم ، وما شاقك إلا سماع أخبارهم .
و كنت على الأكثر لا تصحّين إلا من تستفيدين من علمه وتجربته ،
وتفرين من الأحاديث الغثة فرارك من الطعام الواحد والمنظر الواحد
والنغم الواحد ، وما كنت كذلك شهد الله في حبك ووفائك ، هان عليك
ما أنفقت في الضئيل من المعرفة التي كتب لك تحصيلها ، وكان استغراقك
ساعة واحدة فيما ولعت به يوازي في نظرك أكثر المسرات والشهوات . درجت
على بغض الفوضى وحب النظام ، وآثرت ثورة الأفكار على ثورة السلاح ،
ودققت في حساب يومك وغدك وأيقنت أن لا مجد إلا عن طريق المعرفة فأحرزت
لك شهرة سعت وراءها لأول أمرك ، فلما بلغت ما أربى على رجائك
رحت تزهدين فيما صرت إليه ، وتندمين على فترات ضاعت سدى ، وإن
أكسبتك مرانة ومرونة وأفادتك عبرة وتجربة . كان يلذك ما ينهال عليك
من الضربات في تأييد الحق وتقويم المائل ، حتى صار ذلك فيك خلقاً
وجليّة ، وما عبأت بمن كانوا يحاولون التسلق إلى الشهرة بالخط منك . . . علمتك
الأيام التحلم وما كنت حليلة ، وزيّنت لك الالين وكنت جاححة ، وأخذت
من حوادث الدهر دروساً في الصبر والأناة بقدر ما سمح به مزاجك ،
وما تقاضيت الناس ما لا يملكون ، وعذرت بعضهم على ما هم فيه ،
وما كلّفت الأيام ضد طباعها ، وما أحيت أن تستثمري أحداً ولا أن
يستثمرك أحد ، وقلما أثبت شيئاً وندمت عليه ، وما حزنت لرزية في مالٍ
ولا جاه بقدر حزنك لفقد الحبيب وفراق الصديق . . .

وكنت تتخلين عن أصحابك في أفراحهم ، ولا تتركينهم في أتراحهم ...
 إذا أقبلت الدنيا على الصاحب تبعدين عنه ، وإن أدبرت تكثرين من
 مواساته . . عاداتك من عاداتك عداة المتباينين في العقلية والثقافة ، ووجهوا
 إليك من التهم ما كان في وسعك رده لو جوزت إضاءة الوقت في مهاراتهم ،
 وبما قرفوك به أنك مستبده فيما يبدو لك ، مفرطة في حرية رأيك ، حلوة
 الصداقة مرّة العداوة ، ضينة بجاهك تكثرين من قول : لا أكثر من قول :
 نعم ، وهم كانوا يريدونك أن تشهدى للمحق والمبطل ، وتدخلي فيما يعينك
 ومالا يعينك ، وقاعدتهم أن لا ضرر من العبث بحقوق الجماعة إذا كان منه
 تنفيس كربة الفرد .

يا نفس ! الحق مرّ والصادع به معذب ، وصاحبه أبدأ هدف لظعن
 الطاعنين ، ومن يحاول إصلاحاً وتجديداً فهو عرضة للمصفقين والمصفرين ...
 أنت يا نفس لم تحدي وحسدت ، ولم تشمتي وشمت بك ، وإلى هذا
 كنت تهلين بسقوط المنافقين والمتجسسين ، وتهلين يوم يدب التمزيق في
 أموال جمعت ببيع المروعة وفساد الذمة .

أنت ما عادت إلا مأفون الرأي ، وما شاكست إلا زعانف الحشوية ،
 وما تأفقت إلا من زبانية السياسة ، وإذا غلوت في القضاء على غلوائهم
 فعذرك ككونك من الآدميين ، يجوز عليك ما يجوز عليهم من ضعف
 وغلط ، والتيار قد يقذف بالواقف في جريته إلى مخاضات لا يختارها .
 كرهت يا نفس التعصب والعصية ، وحاربت الجهل والأمية ، ومقت الحزبية
 والجمعيات السرية ، وتفانيت في الدعوة إلى الاستقلال وحب القومية ،
 ودعوت جهرة للعرب والعربية والإسلام والمدينة العربية .

م (١٤)

عاشرت أجيالاً ثلاثة : كان في الأول معلموك ومؤدبوك ، وفي الثاني إخوانك ومعارفك ، وفي الثالث المستحسنون والمستهجنون لعملك ، وكان جيلك الأول خير أجيالك لما تخلله من آمال وأحلام وبشارات بما كنت ترتجيب في دنياك من استفاضة الصيت وإرادة النفع... وتعرضت للهلاك غير مرة فنجوت لا بحسن حيلتك بل بقضاء وقدر ، وأدركت بأخرة أن ليس في العالم أمس واليوم وغداً غير التكرار ، وأن البشر في بلاء ومحنة . فإذا خرجت من هذه الفانية وحسناتك عندل سيئاتك أو سالت الحسنات قليلاً في ميزانك فقد فزت فوزاً عظيماً ، فلا تسأل خالقك بمد الذي جرى لك إلا العفو والعافية .

ذكريات وانطباعات عن كرد علي

الأستاذ تبشير ظبيان

من الأقوال المأثورة عن الزعيم الخالد (سعد زغلول) الذي كان يمثل الشخصية المصرية في أروع صورها قوله : « إنني رجل قد وضعت تحت تصرف أمي عقلي واختباري وبياني ، فإن استفادت الأمة من عملي فذاك ما يجعلني سعيداً ، وإلا فهو واجب قد أخذته على نفسي فأنا أقوم به لأربع ضميري » .

وهذا القول يكاد ينطبق إلى حد بعيد على علامتنا فقيدهم العلم والأدب والثقافة والعرفان المرحوم محمد كرد علي الذي كان يمثل الشخصية السورية في أسمى مظاهرها . واقد أفادت الأمة من عقله واختباره وبيانه كما أفاد الشعب المصري من عقل واختبار وبيان زعيمه الراحل المرحوم سعد زغلول .

ويطيب لي أن أذكر بأنني تعرفت على علامة الشام منذ نعومة أظفاري ، وكان يحثني على التردد عليه والذي ، الذي كانت تربطه به

علاقات وروابط وثيقة العري ، فقد كانا يعملان في حقل سياسي واحد أيام العهد العثماني ، كما كانا من أوائل المنتظمين في حقله مرابي ذلك الجيل المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، فكنت أزوره في مكتبه بين الفينة والفينة ، وكنت أنعم بأحاديثه ، وأعرف من معين فضله ، وأصيحخ السمع بشغف إلى توجيهاته ، فكانت صلاتي به صلة التاميد بأستاذه ، والمريد بشيخه . وكنت أشعر وأنا في مجلسه بأنني حيال بطل عملاق : قوي الشكيمة ، حاد النظرات ، متقد الذكاء ، واسع الاطلاع ، طلق الحيا واللسان ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، عذب الحديث ، ولا يكاد يخلو حديثه من دعاية مستملحة ، أو نكتة مستزفة ، بالإضافة إلى ما يتحفك به من آراء سديدة وتعليقات هادفة في مختلف المجالات ، وما يرويه لك من قصص ومغامرات وقعت معه في شتى أدوار حياته .

ومن أبرز ما أثار إعجابي في مزاياه عطفه على الشباب وتقديره لمواهبهم ، وحشمهم على اقتحام معارك الحياة وارتقاء معارج التقدم ، والثبات على البدء ، واحترام النظام ، والجرأة في قول الحق ، والعمل الدؤوب حتى إنه سنٌ سنّة لم يسبقه إليها أحد من قادة الرأي في العالم العربي وهي إقامة الحفلات لتكريم أصحاب المواهب منهم ، وقد أقام بالفعل حفلاً تكريمياً في دار المجمع لأربعة من الشعراء الناشئين وهم : جميل سلطان ، ونور العطار ، وزكي المحاني ، وعبد الكريم الكرمي .

وإني لأهتبل هذه السانحة لأروي لكم ثلاثة من مواقفه المجيدة وهي تم عن شغفه بحب بلاده ، وراث وطنه ، ورغبته في تقصي الحقائق

والمعلومات التاريخية أينما كانت وبأية وسيلة كانت ، كما تم عن حذبه على الشباب وتشجيعه لهم :

● الموقف الأول :

في عام ١٩٣٤ كنت أعمل مدرساً في إحدى مدارس مدينة (ابن الوليد) وكانت معرفتي بافقيد حديثة العهد ، فبعث إليّ برسالة يطلب فيها أن أتوجه إلى إحدى القرى المجاورة لمدينة « حمص » للتحري عن بعض النواويس التي قيل إنه عثر عليها في تلك القرية ، وإليكم نص هذه الرسالة التي مازلت أحتفظ بها :

المجمع العلمي العربي في دمشق

حضرة الأستاذ السيد تيسير ظيان من أساتذة المدرسة التجهيزية
بحمص المحترم .

وردنا كتاب من سعادة رئيس المعارف بدمشق مفاده أنه عثر على قبرين من فخار في كهف مجاور لقرية فيروزة فأخذنا ووضعنا في مدرسة فيروزة ، فالمرجو أن تذهبوا إلى تلك القرية وتشاهدوا القبرين وتصفوهما لنا وتخبرونا هل يستحقان النقل إلى متحف دمشق ، وهل يمكن نقلهما بسهولة وبأية واسطة ، وكم يلزمها من النفقة حتى إذا رأينا أنها جديران بالنقل وأن نقلها سهل والنفقة ليست كثيرة بادرنا إلى اتخاذ الوسائل الكافية بإتمام العمل ، وربما كلفناكم ذلك وبعثنا إليكم بالدرهم اللازمة ، فأجيبونا سريعاً ولكم الفضل ،

٢١ شوال ١٣٤٣ و ٢٥ أيار ١٩٣٤

رئيس المجمع العلمي (محمد كرد علي)

● الموقف الثاني :

التمت منه ذات مرة أن يزودني بكلمة من صوغ براعه لأضمها في كتاب أعددته باسم (الفردوس) ، جمعت فيه خير ما جادت به قرائح الفحول من كتابنا وشعرائنا في القرن العشرين فابتسم (رحمه الله) وقال : (حبذا الكتاب ، وحبذا اسم الكتاب) ثم فكر ملياً وأطرق برأسه المزدن بإكليل من النور وقال : (وهل ثمة باقة يمكن أن يعقب أريجها ويفوح شذاها في فردوسك أزكى من أريج الفوطة ؟) قلت : وماذا تعني ياسيدي ؟ فمد يده إلى درج مكتبته وأخرج مقالاً رائعاً كان قد كتبه عن غوطة دمشق حين غادر الفيحاء في إحدى المناسبات ، وقد تغنى فيه بجمال الفوطة وبسطها السندسية وأدواحها الجنية وتربتها الغنية ، كما أشاد بذكر الفيحاء وما يمتاز به من سحر وجمال .

● الموقف الثالث :

استدعاني إلى مكتبته في يوم من أيام صيف عام ١٩٢٥ وكنت أعمل محرراً في صحيفة (ألف باء) وقال : ألم تتلق دعوة المجمع لحضور الحفلة التي سيقمها بصد هنية لتكريم أمير الشعراء (أحمد شوقي) لكي تخطبها وقائعها في (ألف باء) ؟ قلت : بلى ياسيدي وكنت في طريقي إليكم ... قال : ولكنني دعوتك لأمر آخر ، فقد وقع اختيارنا عليك لتلقي في الحفلة قصيدة الأستاذ خليل مردم بك (وكان من عادته أن لا يلقي قصائده بنفسه بل يهد بإلقائها إلى الآخرين) ثم دفع إليّ القصيدة وكانت قصيدة هامة ولكنها مكتوبة بخط مضطرب وطويلة جداً . قلت : هذا ياسيدي

شرف عظيم لا يدانيه شرف فأشكركم على ثقتكم الغالية ، ولكن الوقت ضيق ، والقصيدة كما تلاحظون طويلة فأحتاج إلى بعض الوقت لمراجعتها وتفحص ألفاظها ، فالوقت ضيق والموقف رهيب أخشى أن لا يواتيني الحظ لأداء هذا الواجب فأنثر في إلقائها . فأجابني وهو يداعب بأصابعه سلسالاً كان كثيراً ما يعث به :

« في مثل هذه الظروف الدقيقة يجب أن تبرزوا مواهبكم معشر الشباب ، فلا بد من أن تلقي القصيدة مها كلفك الأمر من جهد وعناء فتوكل على الله . » . وقبل أن ينجز حديثه فوجئنا بحضور المحتفى به ، فخفّ رحمه الله لاستقباله وتركني في مكتبه أضرب أحماساً لأسداس ، بيد أن كلماته المشجمة ظلت ترن في أذني وتهز مشاعري وتفعل بها فعل السحر ، فمكفت على تلاوة القصيدة مرة واحدة استطعت في غضوننا أن أتبين كلماتها وقد وفقني الله لإلقائها ببسر وسهولة . وبما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مدينة الفيحاء نالت أرفع وسام من أمير الشعراء في هذا الحفل ، فقد خلد ذكرها في قصيدته التاريخية البليغة وتغنى بأبجاده واستفزه صناديدها ، فلبت نداءه ووثبت وثبتها ، وصرخت صرختها ، وأضرمت ثورتها في وجه الاستعمار والمستعمرين ، وكلكم تعرفون هذه القصيدة الخالدة التي استهلها أمير الشعراء بقوله :

مُ نابع جلق والشد رسم من بانوا مشى على الرسم أحداث وأزمان
وعملك الله يا علامة الشام . فقد كنت عظيماً في علمك ، عظيماً في
خلقك ، عظيماً في أدبك ، عظيماً في بيانك ، عظيماً في تفكيرك ، عظيماً في
إحياء تراث أجدادك وخدمة بلادك ، عظيماً فيما أخرجته لنا من ثروات

علمية وكنوز أدبية ، وما فجرته في عالم العروبة من ينابيع الثقافة والعرفان .

أيها السادة :

بعد كتابة الكلمة وإرسالها إلى اللجنة القائة بإحياء هذه الذكرى مشكورة ، عثرت بين أوراقى القديمة على ديوان مخطوط لأحد شعرائنا المهملين ، وقد أكل الدهر عليه ولم يشرب ، وأبقت عليه يد الحدثان فلم يذهب ، فقد أورد هذا الشاعر في ديوانه المذكور نبذة أدبية طريفة وقصة تاريخية ممتعة ، أبطالها أربعة من المفكرين أحدهم فقيدنا الكبير (محمد كرد علي) ، وقد رأيت من واجبي إضافتها إلى هذه الكلمة . ومن دواعي الأسى أن يتنكر الآباء والأجداد لذلك الشاعر المغمور ، ويتجاهله الأبناء والأحفاد ، فقد قضى نحبه في دمشق أيام العهد الفيصلي وهو لا يزال في ربيع العمر ونضارة الشباب ، شأنه في ذلك شأن أبي القاسم الشابي ، ويكاد يحاكيه في نشأته وفي نزعتة وفي دقة شعوره ، ولنا وطيد الأمل بأن مجتمعا الكريم سيممد إلى إحياء ذكرى هذا الشاعر الشاب المبدع (عجاج الهباني) كما أحيا القطر التونسي الشقيق معالم شاعره الفذ . وكان الهباني أحد رفاقنا في كلية صلاح الدين الأيوبي التي أنشئت إبان الحرب العالمية الأولى في بيت المقدس ، ويسعدني أن أرى في هذا الحفل اثنين من زملائي القدامى في تلك الكلية وهما الدكتور كامل عباد ، والأستاذ جميل قربي .

واليكم خلاصة هذه القصة الطريفة كما سجلها الأستاذ الهباني في

ديوانه . قال :

« كنا أربعة في القطار : أحد البكباشية الأتراك ، ومحمد أفندي كرد علي ، وخير الدين أفندي الزركلي وأنا . وكرد علي كاتب سورية الاجتماعي والجماعة الكبير . وأما الزركلي فشاعر الشيبية في دمشق ولا أعرف من شيوخها من يجعله تحت ظله أو يماشيه ويجاريه فيبذه .

تعارفنا في القطار ، فسرر كرد علي بهذا التعارف ، وكان سرور الزركلي أكثر . وكنت أعرفها ولا يعرفاني . وملنا إلى بعضنا كل الميل . وأخذنا تتجاذب أطراف الأحاديث ، وتلو من أشعار الشعراء بين قديم وحديث .

ورقف القطار بنا في موقف الزبداني فهوينا نتمشى ، وهناك البائعات يصحن (بالله عالتفاح) وآخرون من الصيبة يدورون حاملين الخبز واللبن .

بين تلك البائعات فتاة في ريمان العمر ، في لباس القرويات ، ذات جمال باهر ، وطرف ساحر . نظرنا إليها مثبتين النظر فصرح خديها الحياء ، ومالت عنا بجيد أدماء . صعدنا إلى القطار وقد آن أن يترحزح فأخذنا ننظر إليها من النوافذ . وبيننا نحن كذلك إذا بالدم يسيل من أنفي ، فمال خير الدين إلى مقعده وأخذ القلم وكتب عفوا الساعة :

سفرت نجل المها والطباء	فرنونا نغازل الحساء
غادة تشبه الهلال محيا	وبهاء ورونقاً وصفاء
كولت حسنها الطبيعة فتنا	نأ كما كوت الجمال ذكاء
هي كالظي في النفار ولكن	هي فاقت مقله كحلاء
شعرت أننا نطيل إليها	نظرات الهوى فصدت حياء
سكب العاشق الحب دماء	مستعيفاً عن الدموع الدماء

ليس للحب رافة بالمحبين فصبراً على الهوى وعناء
أنا أسامت للغرام فؤادي صانعاً في حشاشتي ما شاء

وقدم شعره هذا إلي فأخذت دفتره وكتبت عفو الساعة :

لا تلمني إذا شكوت فإني معرم لما بكيت اشتكاء
قد أسالت دمي بالخط وأردت بفؤادي وعذبتني جفاء
ذات حسن لو أسفرت في دجى الليل ل حال الظلام منه ضياء
غادة قد منحتها حبة القلـب وداداً تصونها وصفاء
فتوات بها وضنت علينا بوداع لو كان كان شفاء
قال لي صاحبي أنعشق والعشـق عذاب يجده في القلب داء !
قلت دعني فإنما الحب شأني ولئن كان شـقوة وعناء
حب غيري يريق دمع ذويه وغرامي يريق دمي الدماء

قيردمشق

الأستاذ حسني فوزي

دمشق أوّل حُبّ رفّ بالأمل
من قبل أن تُعرف الأشواق كان لها
هزت سريري أمّي وهي مُنشدة
فلم يزلُ نامياً حتى رأيتُ لها
بردى الذي عبت بالعطر غوطته
وما تفتح من زهر على قتن
وما تأطرّ من دلّ الصبا غصن
وما تأمل ذو وجد ومعرفة
وإذ أبو النصر في أكناف غوطتها
والصالحون وأهل الله موئلهم
ومذ ألمّ بأرض الهند فارسها
في الغرب كالشرق فتح لا مثيل له

* * *

وجاء دهر ثواري نور بهجتها
وصار وجه المنى والمجد للخجل

كذاك دهرك ما ينفك ذو غير
فقيض الله نور الدين ينجدها
رسالة الحق بالأعمال جسدها
ولم يجاهد بأقوال بنمقها
ولا بتفسير نص أو روايته
ولم يقل إن أوربا تناجزنا
بل قال إني إلى ربي لمتجه
وجاء تلميذه الميمون طالعه
أتى المهام صلاح الدين فاضطربت

له العدى وأثارت كل محتمل
قلب وعقل وسيف باتر حرد

وكيف يرضى بجرح غير مندمل
وجاءه الحق بالآيمان والأمل
وَجَمْعُ الْبَغِيِّ فِي حَيْطَيْنِ قُوَّتُهُ
وَعَسْكَرُ الظُّلْمِ يُخْشَى النَّاسَ مُظْهِرُهُمْ
كأنهم قِطْعٌ قَدَّتْ مِنْ الْجَبَلِ
واستنصروا مجدبداً سال فوقهم
يحمي الجلود ولا يحمي من الوجل
وكيف يحميهم والجو ملتهب
عند الظهيرة والطعنات كالشمل
وكان جند صلاح الدين معتمداً
على الشهادة إن لم يُرد بالسفل
لما تبين أن النصر حالفه
وأن أعداءه صاروا إلى الفشل
أهدى إلى الأرض شكرانا لنصره

، لا لـصواب الرأي والحيـسـل
وطهر الأرض منهم بعده صبره
وعادت الدار للأشواق والغزل
حتى أتى من بني عثمان أفتكهم
فراح يسلك فينا أسام السبل

وقبلَ هذا أضعنا البحرَ فأنحسرتُ
وسيطرَ الفقرُ فالأسواقُ كاسدةٌ
فطمنا الجهلُ حتى كانَ أعلننا
هنا . . . تجلببَ الاستعمارُ في بطلِ
فهزنا جيشه هزاً بعرفة
وهبَ منهم رجالٌ كان همهمُ
فماد اللغة الفصحى بشائتمها
ونورهم باهرُ في كلِّ ناحيةٍ

* * *

وأنت يا بنِ عليٍّ من شواخهم
دمشقُ ليلاك لا هندُ ولا دعدُ
من حبك الشام زدت الخلقَ معرفةً
قد يعذل الناس أهل الحب من حسدٍ
نعمتُ بالود في محياك بل نعمتُ
قد أدركَ المجدَ أعلامُ فما ظفروا
وقد ظفرتَ بكتما الحصلتين ومن

حظ المحين ما أحرزتَ من نقلِ
إن الغرام الذي زانتك نسبه
قد زنته أنت في تاريخك الجليلِ
فسار مثل مسير الشمس من أفقٍ
عمال إلى أفقٍ بالتور مكتحلِ

محمد كرد علي خزانة علم

الأستاذ محمود العابدي

في السادس عشر من نيسان ١٩٤٦ ذهبت مع وفد رسمي وشعبي من صفد للاشتراك في حفلات عيد الجلاء في دمشق - جلاء الاستعمار الفرنسي البغيض ، ولقد عشت ثلاثة أيام في فرح ونشوة لست اعتقد أنني سأعيشها مرة أخرى . لقد كانت دمشق غارقة في نشوة من الفرح والحبور لا مزيد عليها ولقد أبدعت رجالات الأحياء وشبانها بابتكار أنواع الزينات التي كانت تتخذ من المرجة (ساحة الشهداء) ملتقى لها من غياب الشمس حتى منتصف الليل .

بعد ذلك أخذت أسأل عن أصدقائي وأجتمع بهم . وتكرم اثنان منهم بوضع برنامج أسبوعي ، وفي اليوم الرابع أخذني الدكتور محمد عطايا - الصفدي الأصل والدمشقي الإقامة والمحبة - إلى دار الكتب الظاهرية وعرفني على قيّمها ثم رافقني إلى المدرسة العادية التي هي مقر المجمع العلمي العربي في دمشق ، وعرفني على رئيس المجمع ، عالم سوريا ومؤرخها وأديبها ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله ، وبعد أن تم التعارف استأذن الدكتور عطايا وذهب لشأنه وتركني أنعم بالاستماع إلى ستي أحاديث

الرئيس الرحالة الذي سبق لي أن تعرفت عليه من خلال مقالاته وكتبه العديدة - ولا سيما خطط الشام في أجزائه الستة ..

سألني عن صفد وعن فلسطين وأهلها وموقفهم من اليهود ، وعن الازدهار الزراعي والنهضة التعليمية في فلسطين - ومن ثم تطرق للمقارنة بين الاستعماريين - الانكليزي بفلسطين والإفرنسي بسورية . . . ولما أعلمته أنني مشغول بوضع مؤلف عن صلاح الدين الصفدي ابتسم وفرح إذ عرف أن مواطناً للصلاح جاء يسأل عنه وعن أخباره في عاصمة ديار الشام الكبرى . وبعد التبسط في هذه الأحاديث ألهج علي أن أجيئه غداً .

وفي العشرين من ذلك الشهر شربنا شاي الصباح ، وبدأ يطرح علي الأسئلة عن الصفدي ولم يكن ينتظر مني الأجوبة - بل كان يسرع للإجابة بسيل متدفق من المعلومات التي لا يمكن أن توجد في كتاب ، وامتد بحثه المتدفق إلى المستشرقين ونبه بشدة إلى الخدر منهم - فهم على الأغلب صاحب هدف يسمى لتحقيقه - سواء أكان خير العرب والمسلمين أو لغير ذلك - مع الاعتراف بتوسعهم وتعمقهم في أبحاثهم ، وإلهم الفضل في تجلية كثير من مظاهر الحضارة الإسلامية وإحياء التراث الأدبي للعرب - وخص منهم الأمير الايطالي « كاتاني » - صاحب أكبر مؤلف في تاريخ المسلمين ، ونوّه كثيراً بالمساعدات التي قدمها له في مكتبته العامرة والتي أمضى فيها ما يربو على الشهر ، وهو يأسف لهذه الشخصية العلمية كيف انصرفت مؤخراً إلى السياسة - تلك الأمنية التي لم ينجح في الوصول إليها بسقوطه في الانتخابات والتي حولته قليلاً عن موضوع اختصاصه الذي كان يمكن أن تتسع الفائدة منه .

كما ينحصر المستشرق العالم المجري « غولندزير » بالثناء الماطر على جهوده

في حفظ التراث الإسلامي والاعتراف بأهميته وإقناع الغربيين بخدماته الجليلة للحضارة البشرية .

وكذلك العالم الألماني « مارتن هارتمن » وصنوه آدم متر صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع وقد عرفهم من مكنتهم ، ومن حضوره لاثنين من مؤتمراتهم في ستي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ .

الصلاح الصفدي :

قال لي رحمه الله : إذا رجعت إلى المجلد الثامن من مجلة المقتبس الصادرة في دمشق سنة ١٩١٤ وجدت لي مقالاً مطولاً يعطيك فكرة واضحة عن هذا المؤلف : وبالفعل عندما طلبت هذا المجلد من مكتبة دار الكتب العادلية وجدت فيه :

« صلاح الدين خليل بن ايك الصفدي أحد رجال القرن الثامن . ولد في صدف سنة ٦٩٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٦٤ هـ وهو إمام في اللغة والشعر والتاريخ والفقہ ، وقد تخرج على علماء دمشق في عصره فأخذ الشعر عن جمال الدين بن نباتة ، واللغة عن أبي حيان النحوي ، والفقہ عن الحافظ المزي وابن جماعة ، والتاريخ عن الذهبي ، والمغازي والسير عن ابن سيد الناس . وتولى عدة مناصب إدارية ومالية في صدف والقاهرة وحلب ودمشق وقبره اليوم معروف بصدف .

وقد كان من المؤلفين المحيدين — ذكره بروكلمن في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية المطبوع سنة ١٨٩٨ وقال إن له ثلاثين مصنفاً تحوي على مئة مجلد ويكاد يكون اخصائياً في التراجم . وأهم كتبه الوافي بالوفيات يدخل في بضع مجلدات كبرى تحتوي على زهاء عشرة آلاف ترجمة من أول عهد الإسلام إلى عهد المؤلف ، وفيه ما في وفيات الأعيان لابن خلكان

وطبقات الأدباء لياقوت — مع زيادات كثيرة فاقت هذين المؤلفين . .
ولقد كان يظن أن كتاب الوافي فُقد في جملة ما فقد من كتب العرب ،
لكن تبين أن أجزاءه مبعثرة في خزائن الكتب في ديار الغرب .

وقد نشر المستشرق أميل لا مار في المجلة الآسيوية في باريز مقدمة
كتاب الوافي مع ترجمتها بالفرنسية وعلق عليها حواشي في أربعة أجزاء ثم
نشرت فيما بعد بمجلد خاص ، وفي كتابة التاريخ راعى الصفدي ما يراعيه
كبار المؤرخين من القيود فقد قال : ويشترط في المؤرخ الصدق ، وألا
يعتمد فيما ينقل على الذاكرة ، وأن يكون عارفاً بمجال صاحب الترجمة عالماً
ودينياً ، وأن يكون حسن العبارة وحسن التصور ، وألا يغلبه الهوى فيطنب
في ترجمة من يجب ويبخس في غير ذلك . وقد طبق الصفدي هذه
الشروط في كل ما كتب في التاريخ ، وساعده على هذا الإتقان تنقله في
ربوع مصر والشام في أيام كانت خزائن الكتب موفورة ، وكان الملوك وأهل
الحير من العلماء والأعيان يمدون المدارس والجوامع بالكتب ، وكان الناس
يتنافسون في استثناء كل جيد منها ، ويقول العلامة كرينكو : إنا نجد
في كتاب الوافي تراجم كثيرة نحاول عبثاً الظفر بمثلها في الكتب التي
تأمل الوافي بموضوعها — والفهرست التام لأسماء الأشخاص الذين وردت
تراجمهم في الأجزاء المعروفة من هذا الكتاب يشغل مجلداً ضخماً .

وابتدأت جمعية المستشرقين الألمانية بالنشرات الإسلامية فطبعت في
استنبول سنة ١٩٣١ المجلد الأول الذي يضم المحدثين وكان عددهم ٢٤٦
شخصية في ٣٨٦ صفحة ، كما نشرت مجلات الاستشراق في روما عدة
مقالات عن الوافي وعن صاحبه .

وقمني الأستاذ كرد علي يوماً أن يتبيح الله من يقوم بطبع كل مخطوط

٢ (١٥)

من أجزاء هذه الموسوعة ، ولقد استجاب الله دعائه ، إذ بلغ عدد المطبوع من أجزاء الوافي تسعة مجلدات حتى يومنا هذا .

التذكرة الصلاحية :

وفي اليوم الثالث وضع بين يدي مقالاً نشر في الجزء الثاني من المجلد التاسع من مجلة المجمع الصادر في آب سنة ١٩٣١ بقلم الدكتور داود الجلبي من الموصل وهذا شيء مما ورد فيه :

عثر أحد تلاميذ ثانوية الموصل النجباء في مكتبة الحزب الوطني في الموصل على كتاب مخطوط قديم مجهول . فجاءني به يسألني تصفحه لعلمي أقف على شيء من أمره . وجدته مجلداً بجلد أحمر قد اسود . . وقد كتب على ورق نخين بجزء أحمر في رؤوس المواد وأسود في المتن وأوراقه ١٨٢ ورقة ، في كل صفحة ٣٠ سطراً وعلى حافة الكتاب كتابة عمرة القراءة ، إذا أمعنت النظر فيها تقرأ : (مجموعة صلاح الدين الصفدي) .

ومن تصفح الكتاب تحققت أنه لصلاح الصفدي ، وفيه مراسلات المؤلف مع معاصره ابن نباتة وغيره ، ويذكر صور تواقيع كتبها إذ كان رئيساً لديوان الإنشاء . هذا الكتاب حلقة من سلسلة طويلة على ما يظهر جاء في آخره مانصه : الجزء الثلاثون من أجزاء المصنف ومن خطه نقلت والحمد لله .

هل مجموعة صلاح الدين الصفدي هذه مجموعة معروفة ؟ وبحسب جرجي زيدان أنها التذكرة الصلاحية التي يقول عنها إنها كتاب مطول في الأدب والشعر في ثلاثين مجلداً .

وفي الجزء الحادي عشر من سنة المجلة تعليق بقلم المستشرق كرينكو

جاء في أوله :

« لما قرأت ما كتبه السيد داود الجليبي .. من كتاب الصفدي ذكرت أنني رأيت في مكتبة وزارة الهند بلندن نسختين من التذكرة الصلاحية .. وقد نقلت أبحاثاً منها ... ويظهر أن الصفدي نقل طول حياته من كتب مختلفة وقعت بين يديه، فالتقط ما أعجبه على غير ترتيب وأكثره مقتطفات نثرية وشعرية غير مطولة .

بعد أن فرغت من ترجمة الصفدي التي كتبتها في المعلمة الإسلامية وقع في ملكي أربعون ورقة بخط غير قديم من كتاب « في خطأ العوام وتصحيح العلماء » وقد نهت في الترجمة المذكورة على أن الصفدي في آخر عمره صرف من كتب التراجم إلى كتب اللغة . ولعل هذا التصنيف آخر مؤلفاته ولم يتم . وتدل على أن النسخة ، أصلاً ، مأخوذة من مسودة المؤلف كثرة البياضات بين كل فصل . ومع هذا اختصر أسماء الكتب التي نقل منها بحروف مكتوبة بالخمرة .. ورجائي أن تكون لأحد قراء المجلة معرفة بالأصل الذي نقلت منه نسختي - فإنها شامية الأصل بلاشك حيث كانت من جملة كتب الشيخ أحمد فارس الشدياق .

ثم نشر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في الصفحة ١٨٠ وما بعدها من المجلد العاشر من مجلة المجمع تحت عنوان : التذكرة الصلاحية ما يلي :
« طالعت في الجزء العاشر من المجلد التاسع من مجلة مجمعنا العلمي العامر ما نشره العلامة المستشرق (ف . كرينكو) في شأن الجزئين من تذكرة صلاح الدين الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندن ، ووصفه ما احتويا عليه من الفصول الأدبية فأحببت أن أفيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من التذكرة الصلاحية بجزءة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى أن هذه المجموعة الأدبية النادرة المثل هي مبعثرة الأجزاء ، فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودار الكتب المصرية وغير ذلك .

أما الجزء المحفوظ بمكتبتي فهو في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش : « الجزء السابع من التذكرة الصلاحية » للشيخ الإمام العالم العلامة خليل بن ابيك الصفدي . وبآخره مانصه : « تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي . وهو السابع من هذه النسخة والحمد لله رب العالمين » .

فيتضح من هنا أن عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ . فقد جمع ناسخنا كل جزأين في واحد . وخط هذا الجزء نسخ شرقي يرجع بحسب الظن إلى القرن الثامن - عصر المؤلف - والنسخة جميلة مقروءة اعتنى بها صاحبها وإن لم يسم نفسه .

وفي اليوم الخامس أحضر لي المجلد السادس عشر ص ٣٨ « من مجلة الجمع لأقرأ ما كتبه عن كتاب آخر للصفدي اسمه « جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة » قال فيه :

« صلاح الصفدي من الكثيرين من التأليف ، المجودين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية ، هذا الكتاب ، أوله :

الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن .

قال : وبعد ، فهذه أوراق أودعتها أزاها ما حضر في ذاكرتي ، وأدرج ضمنها جواهر ما قدفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخب

منه هذه الزبيدة ، ورقمته في هذه البرود المحررة وأنبته في رباها الزاهرة
 والتزمت أن أورد فيها مارق معناه وراق لفظه ، وشق الإتيان بمثله وشاق
 حفظه . وهذا الأسلوب حافظ عليه أهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه
 أهل الذوق السليم من الناظمين والناثرين ، فجلوا أبقاره المستكنة
 في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أبقاره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا
 به أطرى في المسامع وأطرب ، وأسرى في القلوب وأسرب .

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر وألقابها ، قال : إن الشعر إن أثنى
 به على حي فهو مدح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهيت من الأعمار ما لو حويته هنتت الدنيا بأنك خالد

ولو ذكر فيه لؤم أو جبن أو بخل أو ما هو ملحق بذلك فهو هجاء
 كقول بعض العرب :

قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمم بولي على النار

زعم بعضهم أنه لم يسمع أشد هجواً من هذا البيت ، وذلك أنه وصفهم
 بالبخل من كون نارهم تطفأ لئلا يهتدي الأضياف إلى طلب قراهم - ثم إنه
 بالغ في وصفهم بشدة البخل لأنهم يطفئون النار ببول أهمم ، حرصاً منهم
 على الماء - ثم إنه وصفهم بالجبن والكسل لأنهم يتركون أهمم تتولى خدمتهم
 ليلاً ولم بأنفوا من ذلك ثم إنه وصفهم بالعقوق وقلة الأدب إذ يخاطبون
 والذئب بمثل هذا الخطاب السفيه ، ثم إنه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث أن
 نارهم في القلة إلى غاية تطفأ ببوله المرأة . والكتاب كله على هذا النحو
 في ٢٠٣ صفحة صغيرة .

ثم قال رحمه الله : عندما عم الجهل البلاد العربية ومات من يقدر قيمة الكتب أخذت مخطوطاتنا تتسرب إلى خارج البلاد . وفي حاضرة الدولة العثمانية عدة دور عامة وخاصة تسربت إليها الكتب العربية ومن ضمنها مؤلفات الصفدي .

ففي اسطنبول مكاتب عبد الله فكري وعاشر أفندي وكورلي ونور عثمانية التي فيها سبعة أجزاء من كتاب الوافي ثم مكتبة أياصوفيا .

وفي أوروبا مكاتب الاسكوريال في إسبانيا . وفي مكتبة المتحف البريطاني بلندن تسعة مجلدات من الوافي ، وفي مكتبة أكسفورد ١٣ مجلداً منه . ومكتبة المكتب الهندي بلندن . وفي مكتبة باريس مجلدان ، وفي مكتبة شيفر مخطوط كتاب أعوان العصر في ١٢ مجلداً ، وفي مكتبة برلين توجد مخطوطة التذكرة الصلاحية في ثلاثين مجلداً ، وهناك مكتبة غوطا التي تضم قطعة من الوافي بخط المؤلف ، وهناك في ليدن بهولنده وفي فيينا بالنمسا مخطوطات عربية ذات أهمية .

وفي البلاد العربية مكاتب تضم مؤلفات الصفدي منها دار الكتب المصرية ، والمكتبة التيمورية فيها تسعة مجلدات من مؤلفات الصفدي ، والخزانة الزكية «خزانة أحمد زكي باشا» ، ومكتبة حلب التي تضم أربعة مجلدات من كتب أديبنا الصفدي ، والمكتبة الصادقية بتونس وفيها تسعة مجلدات ، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، والمكتبة الخالدية بالقدس ، والمكتبة البارودية في بيروت ، ومكتبة عيسى اسكندر المعلوف في زحلة .

وسوف تكشف لنا الأيام أن في بعض ديار العرب مكتبات خاصة فيها أجزاء من مؤلفات الصفدي .

وفي اليوم السادس أحضر جميع المطبوع من كتب الصفدي وهي :

- ١ - الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم ، طبع في مصر .
- ٢ - نكت العميان في نكت العميان . طبع في مصر .
- ٣ - لوعة الشاكي ودمعة الباكي - طبع في مصر .
- ٤ - تشنيف السمع في انسكاب الدمع - طبع في مصر .
- ٥ تمام المتون في شرح لامية ابن زيدون » »
- ٦ - الأرب من غيث الأدب » »
- ٧ - رشف الرحيق في وصف الحريق - طبع في الآستانة .
- ٨ - رشف الزلال في وصف الهلال » » »
- ٩ - الروض الناسم والثغر الباسم » » »
- ١٠ - جنان الجناس » » »
- ١١ - نصرة الثائر على المثل السائر - طبع في ليدن في ١٥٣ صفحة
- ١٢ - مقدمة الوافي بالوفيات - طبعة المجلة الآسيوية الفرنسية
١٩١١ - ١٩١٢ ، ونشرت في كتاب على حدة مع ترجمة فرنسية
بقلم أميل لامار .

١٣ - المجلد الأول من الوافي .

لا بد لك من الرجوع إلى هذه المراجع عن الصفدي :

- ١ - الطبقات للسبكي ج ٤ ص ٩٤ ، ١٠٣
- ٢ - الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١٨١٠ - ١٨٢٣
- ٣ - معجم المطبوعات العربية ليوسف مركيس .
- ٤ - تاريخ آداب اللغة العربية لكارل بروكلمان ج ٢ ص ٣١

هـ - دائرة المعارف الاسلامية - كتب مادتها فريتز كريينكو
وفي اليوم السابع عرضت عليه ما كنت قد حصلت عليه من صحبته
خلال أسبوع، وهو يعادل ما كنت قد حصلت عليه في سبع سنوات ويشمل
بقي مؤلفاته فابتسم .

والآن وبعد مرور ثلاثين سنة على هذا اللقاء المفيد أتقدم بقلبي هذا
لأعترف بالفضل العميم لعلامة الشام في النصف الأول من القرن العشرين .
رحمه الله وعوض ديار الشام من يخلفه في هذه القمة الشاححة وفي هذا المقام
السامي من مقامات العلم العالية .

محمد كرد علي في جوانب المختلفة

الأستاذ ووكس بن زائد العزيمي

المغفور له محمد كرد علي : الأديب ، الصحفي ، المؤرخ ، البحاثة ، والمحقق
مائة عام تمر ، كأمس الذي عبر .
مائة عام تمر على مولد العلامة الذي أبقى أثراً بارزاً ، في كل
ميدان ارتاده قلمه .

فما أقصر السنين وما أسرع جريانها !
أجل تمر السنون ، لكن الآثار التي يبقيا الرواد العظماء في الحياة
تظل خالدة . لأنها تحفر في ذاكرة الزمن ، وفي لوحه المحفوظ
مزايا خص الله بها المغفور له الأستاذ محمد كرد علي ، قلما اجتمعت
لعالم . فقد كتب العلم بأسلوب أدبي مشرق . وكان في كل ما كتب وألّف
دعامة من دعائم القومية العربية !..

كان أول ما قرأت للعالم الذي نحتفي بذكراه ، كتابه النفيس :
(غرائب الغرب) ، وقرأت ما دار حوله من نقاش . فأحببت الرجل ،
وسعيت إلى الحصول على كل ما ينتج قلمه .
وتوالت قراءتي له ، فقرأت (دمشق) مدينة السحر والشعر ،
فعتق قلبي دمشق قبل أن أزورها .

وقرات غابر الأندلس وحاضرها

ثم جاء الكنز العظيم (خطط الشام) بأجزائه الستة ، والإدارة الإسلامية في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية ، وأمرام البيان ، وأقوالنا وأفعالنا ، وتاريخ الحضارة ، ورواية المجرم البريء ، وقصة الفضيلة والرذيلة ، ورسائل البلغاء - من تحقيقاته - وسيرة أحمد بن طولون - من تحقيقاته - وفاتني ، على مفض ، أن أقرأ له : ١ - المذكرات ، ب - البعثة العلمية إلى دار الخلافة الإسلامية ج - المستجاد من فعلات الأجواد د ، كتاب الأشربة .

والمفقور له خالد مخلد في كتبه ، وتحقيقاته ، وبعثه . فلقد كان - يرحمه الله - يكتب بعقله ، وبقلمه ، وأستطيع أن أقول : إنه كان يغمس قلمه بدماء قلبه ، فلامه بعضهم على الوهج العاطفي الأدبي ، الذي كان يتسم به أسلوبه العلمي . وعندني أن الرجل المطبوع على الأدب لا يلام إذا هو أضفى على ما يقره العقل والعلم ، فيضاً من شعوره ، وقبساً من إخلاص قلبه ، وفيض عاطفته .

كان - طيب الله ثراه - مجموعة من المواهب التي لو وزعت على جمهور من أرباب القلم ، وسدنة الكامة لكتبت لكل منهم الخلود ! فيوم كان وزيراً للمعارف ، أظهر من الأهمية ما أطلق عليه الألسنة بالثناء الطيب ، ويوم رأس المجمع العلمي - الذي كان أحد مؤسسيه - كان مفخرة . وعندما وضع خطط الشام برهن على أنه مدرسة من مدارس العلم الصافي ، والوطنية المخلصة .

وفي مجاته - المقتبس - التي حولها إلى جريدة ، كان مثال الباحث المحقق ، وكان في جريدته مثال الصحفي النزيه المخلص الذي ينشر الوعي القومي ، ويدعو إلى النهضة الفكرية التي لا تعرف جموداً ولا تحجراً . فكان رائداً وموجهاً للحركة الفكرية والأدبية .

ولما رأى مايقوم به المستشرقون من بعث للتراث العربي ، لم يغلغ عينيه عما يفعلون ، بل رأى من واجبه أن ينوه بأعمالهم ، ويشكر فضلهم فكان صنيعه هذا ، داعياً لهم أن ينصفوا العرب ، وكانت صلانه بهم وسيلة لغرس حب العرب في قلوب هؤلاء القوم الذين ولج بعضهم باب الاستشراق مدفوعاً بالحق على العرب ، والغض من قدرهم وإنكار فضلهم على الدنيا .

ولما حرر جريدة (الرائد المصري) كان طرازاً خاصاً بين رجال الصحافة . ويوم أشرف على تحرير مجلة المجمع العلمي ، وهب لها من قلبه وفكره وقلمه ، ما كان مناراً لإعجاب رجال العلم ، لما كان في مقالاته من الطرافة والجدة والإبداع .

وعندما كان قلمه يرتاد المقتطف والرسالة ، جذب إليها العديد من القراء ، إعجاباً بما خص الله قلمه من حيوية .

أما تحقيقاته لكتب التراث ، فكانت في مستوى راقٍ ، وكانت ثقافته اللغوية ، العربية والفرنسية والتركية ، تجعل قلمه مطواعاً لفكره النير .

لقد كان حر الفكر ، يقظ الضمير ، فاضطرته بقظة ضميره وحرية فكره أن يهرب من الإرهاب التركي ، فكان له أجر المجاهدين المهاجرين في سبيل المبدأ . وكان لصحبة الإمام الشيخ محمد عبده فضل في سعة آفاه الفكرية والنفسية .

وحسبه فضلاً أن كتاباته كانت تحرك أشد الأقسام العربية أصالة
لمناقشة ما يبسطه من آراء ، أمثال :
فارس الحوري ، عارف النكدي ، عباس محمود العقاد ، والشيخ
عبد القادر المغربي ، والدكتور مصطفى جواد .
أما صراحته ، وإخلاصه للحق فبارزتان ، يشهد لهما أنه اضطر
أن يطوف بين عربان البادية ، هرباً من وجه من أرادوا به السوء .
فإذا كان المجمع العلمي الذي كان المحتفى بذكره أول رئيس له ،
يسعى إلى تخليده فتلك مزية عرف بها مجمع الخالدين بدمشق ، وعرفت
بها دمشق الخالدة التي كانت ملاذاً للعرب وللعروبة .
فتحيات خالدة لمجمع دمشق ، وتحية خالدة لدمشق الوطنية ، وسلام
على المحتفى بذكره ، يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم يبعث حياً .
وكأنز هذه الكلمة

- ١ - مؤلفات الاستاذ المرحوم محمد كرد علي
- ٢ - مجلة لغة العرب - المجلد الرابع
- ٣ - مجلة العرفان
- ٤ - مجلة المشرق
- ٥ - مجلة المقتطف
- ٦ - مجلة المجمع العلمي
- ٧ - مصادر الدراسات العربية - الجزء الثاني
- ٨ - مجسلة المقتبس
- ٩ - محمد كرد علي - جمال الدين الألوسي

ملاحظة : ضاق هذا العدد عن استيعاب الكلمات والبحوث كلها وسندرج في عدد
قادم ما بقي من ذلك معتردين لأصحابها وشاكرين .

آراء وأنباء

تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني سبيح
لمجمع اللغة العربية

صدر عن رئيس الجمهورية المرسوم التالي ذي الرقم ١٩٠٩ :

رئيس الجمهورية يرسم ما يلي :

مادة ١ - يجدد أمين السيد الدكتور حسني سبيح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٨/٧/١٩٧٦

مادة ٢ - يتقاضى الدكتور حسني سبيح تعويضاً شهرياً ثابتاً معادلاً للراتب الشهري المقطوع المحدد لرئيس الجامعة وبصرف من الباب الأول والبند الأول « مخصصات ذوي المناصب ورواتب الموظفين » من موازنة مجمع اللغة العربية .

مادة ٣ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ٤/١١/١٩٧٦

رئيس الجمهورية
التوقيع :
حافظ الأسد

وكان مجلس المجمع قد انتخب الدكتور سبيح رئيساً من قبل فلما انقضت السنوات الأربع بتاريخ ١٧/٧/١٩٧٦ جدد المجلس انتخابه الأستاذ الدكتور سبيح ، بالاقتراع السري بالاجماع ، رئيساً لمدة أربع سنوات أخرى .
ولجنة المجلة تمنى للمجمع في ولايته الجديدة كل توفيق وخير .

- ٢٣٧ -

المرحوم خير الدين الزركلي (*)

ولد في دمشق ١٣١ هـ = ١٨٩٣ م

وتوفي في القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

كانت وفاة الأستاذ المرحوم خير الدين الزركلي حدثاً مؤلماً حزناً في نفوس الذين عرفوه جميعاً من علماء العربية وأدبائها ، ومن المتبعين لحركتها في مجال التجديد في التأليف العلمي أو في مجال الإبداع في الإنتاج الشعري ، ومن المؤرخين لحركتها الاستقلالية والقومية .

ذلك أن الأستاذ الزركلي الذي ولد في دمشق وعاش فيها ص در حياته كان أحد الشخصيات النشيطة في الحركة العربية التي كانت تنشأ استقلال الأقطار العربية ووحدها .

وقد عمل في ساحات متعددة قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها ، في نطاق الجمعيات السرية وفي ميادين الصحافة وفي تنظيمات الأحزاب ، بما

(*) أقام النادي العربي في دمشق مساء ٣ شباط ١٩٧٧ حفلاً تأبينياً للفقيد تحدث فيه ثلاثة من أعضاء الجمع هم الأساتذة : شفيق جبري والدكتور عدنان الخطيب والدكتور شكري فيصل ، بالإضافة إلى عدد من أبناء البلاد العربية ، وبستنشر الكلمات والبحوث التي قدمت إلى هذا الحفل في كتاب خاص .

حمل الفرنسيين أول عهد الانتداب على إصدار حكمهم عليه بالإعدام ..
ويطلبنا مؤلفاه النثريان : عامان في عمان ، ومارأيت وماسمعت ، على جوانب
من هذا العمل ، كماضيء شعره- وهو كثير في هذه المرحلة - جوانب أخرى منه .
ثم التجأ إلى القاهرة ولعله أدركه اليأس من العمل السياسي فانصرف
فيها ، بعد حين ، إلى العمل الثقافي وأصدر ديوانه بادىء ذي بدء (١) ثم
أصدر كتابه الخالد : الأعلام في طبعته الأولى في ثلاثة أجزاء سنة .

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م

وكان عمله بعدئذ في وزارة الخارجية السعودية مدعاة إلى نوع من
الاستقرار اتجه معه إلى إغناء هذا الكتاب وتجديده حتى صدر في طبعته
الثانية في بيروت في عشرة أجزاء ، العاشر منها هو المستدرك الأول ، ظهرت
خلال خمسة أعوام من سنة ١٣٧٣ - ١٣٧٨ هـ (١٩٥٤ - ١٩٥٩ م) .
وأتاح له تطوافه ، سفيراً للمملكة العربية ووكيلاً لخارجيتها في بعض
الوقت ، زاداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات النادرة طوى فوائدها كلها في
هذا الكتاب الذي أضحي مفتاحاً لكثير من الدراسات ودليلاً مرشداً
للكثيرين من الدارسين .

وقد أصدر خلال ذلك كتابه عن « الجزيرة العربية في عهد الملك عبد
العزیز ، أربعة أجزاء في ثلاث مجلدات ، يعتبر نموذجاً للنثر العربي الوديعة
القوي في مجال الترجمة الشخصية للملك الراحل عبد العزيز . ثم نشر موجزاً
له في جزء واحد وضع بين يدي طلاب المدارس الثانوية .

(١) نشر له الأستاذ أحمد عبيد ، قبل أن يصدر الديوان ، ماجدولين

والشاعر ، وهي القصة المعروفة صاغها الفقيده على شكل موشح .

أما شعره الذي يمثل طبقة عالية في الشعر العربي المعاصر : متانة أسلوب وإحكام أداء وسلاسة بيان ، فقد كان الفقيد على أن ينشر ديوانه كاملاً قبيل أحداث لبنان الأخيرة ثم كانت الأحداث ، وكان بعدها أن فاجأ الأجل في القاهرة فانتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً ، وخلف وراءه هذا التراث الثقافي والشعري وهذه السيرة الإنسانية الطيبة .

والمجمع - وقد كان الفقيد أحد أعضائه المرسلين - إذ ينعيه إلى البلاد العربية وإلى اخوانه وأصدقائه الكثر من العلماء في الأقطار الأخرى - يسأل الله له موفور الرحمة على ما قدم من عمل للعربية وأبنائها . أجزل الله ثوابه ، وأنزله منازل الأبرار ، وعوض العرب والمسلمين خيراً .

انتخاب زميلين جديدين

الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ

عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته الأولى من الدورة الجمعية ٧٦-٧٧
« بتاريخ ٧٦/٩/٢ » قد انتخب كلاً من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم
اليافي والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في المجمع .

وقد صدر بذلك المرسوم الجمهوري التالي ذو الرقم ٢٧٩٨
والتاريخ ٧٦/١٢/٣٠

رئيس الجمهورية ..

يرسم ما يلي :

مادة ١ - يعين كل من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية .

مادة ٢ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

رئيس الجمهورية

التوقيع : حافظ الأسد

م (١٦)

- ٢٤١ -

مسابقة جديدة لمكتب تنسيق التعريب في الرباط

تلقينا من مكتب تنسيق التعريب في الرباط بياناً موضوعه المسابقة الجديدة التي ينظمها خدمة للثقافة العربية والدين الإسلامي الحنيف .

وقد جاء في هذا البيان - بعد مقدمة عن المسابقات الأربع الأولى - أن المكتب يعتمز تنظيم مسابقة خامسة لسنة ٧٧ - ٧٨ تفضلت اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بالجمهورية العربية الليبية بتمويلها بمبلغ ٤٠٠٠ دولار اميركي « ١٨٠٠٠ درهم مغربي » وذلك لتغطية الجوائز الأربع التي ستمنح للأبحاث الفائزة ، وستكون وفقاً لرغبة اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة الليبية التي اتفق المكتب معها على تخصيص هذه المسابقة لموضوع يتطرق لمجال اللغة العربية وآدابها وذلك بتناول أحد الموضوعين الآتين :

١ - مخطوط في اللغة العربية « لم يسبق نشره » له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة « تحقيق ودراسة » .

٢ - دراسة بيانية « لم يسبق نشرها » عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الأدبية « تنظير وتطبيق » .

ويشترط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة مايلي :

أ - ألا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط .
ب - يجوز اشتراك أكثر من شخص في البحث الواحد وفي هذه الحال تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج - يرسل البحث في « نسختين » إلى مقر مكتب تنسيق التعريب ١٠ زنقة انكولا ص.ب. ٢٩ - الرباط - المملكة المغربية .

د - تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء مختارهم اللجنة الوطنية للتربية للعلوم والثقافة في الجمهورية العربية الليبية .

هـ - تقبل البحوث ابتداءً من فاتح فبراير ١٩٧٧ إلى نهاية يناير ١٩٧٨

تقرير عن أعمال المجمع

في دورة ١٩٧٥ - ١٩٧٦

١ - مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، ست عشرة جلسة بحث فيها شؤوناً مجتمية مختلفة من أهمها :

١ - متابعة الخطوات التي تمت في سبيل طباعة المعاجم الموحدة الثلاثة : علم الجيولوجية ، وعلم النبات ، وعلم الفيزياء ، وهي بعض المعاجم التي أقرها مؤتمر التعريب الثاني المنعقد في الجزائر في سنة ١٩٧٣ والتي تولت الحكومة السورية الانفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ب - دراسة موضوع تيسير تعليم النحو وذلك إعداداً للاشتراك في الندوة التي نظمتها اتحاد الجامعات العلمية اللغوية العربية ، والتي عقدت في الجزائر .

ج - تتبع الخطوات والمراحل التي قطعها البناء الجديد للمجمع .

د - بحث التدابير اللازمة اتخاذها لتنظيم الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي المزمع إقامته في النصف الأول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٦ .

- ٢٤٣ -

هـ - متابعة أعمال اللجان المشتركة التي شكلها المجمع من بعض أعضائه وذوي الاختصاص من أساتذة الجامعات لتوحيد جميع المصطلحات العلمية في مختلف أقسام الجامعات ، وذلك تنفيذاً للمبادرات التي قام بها في هذا المجال رئيس المجمع واستجاب لها السيد وزير التعليم العالي والمسؤولون في جامعات القطر ، والتي أقرها مجلس المجمع في دورته السابقة .

و - بدأ المجلس بدراسة مصطلحات الضوء المستقاة من كتاب الأخيلة الضوئية مراجعة الأستاذ وجيه السمان .

٢ - اللجنة الإدارية

قامت اللجنة الإدارية في جلساتها الأسبوعية التي عقدها في غضون هذه الدورة بدراسة مختلف الشؤون الإدارية والمالية ، وفاقاً لأحكام النصوص القانونية المحددة في اللائحة الداخلية للمجمع ، واتخذت فيها قرارات توخت فيها المصلحة العامة ، وسجلت ضبوطها في سجلها الخاص .

٣ - لجنة المجلة والمطبوعات

درست هذه اللجنة في جلساتها التي كانت تعقدها أسبوعياً ، ما ورد إلى المجلة من مقالات وبحوث . فأقرت نشر ما رأته صالحاً للنشر في ضوء أهداف المجمع وأغراض المجلة .

وقد أتمت اللجنة خلال هذه الدورة إصدار الجزء الأخير من المجلد الحمين ، والأجزاء الثلاثة من المجلد الحادي والحمين من المجلة .

٤ - لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت هذه اللجنة ، خلال الدورة ، ستة وعشرين اجتماعاً درست

فيها الكتب المحققة التي قدمت إليها ، فأقرت طباعة ونشر بعضها ، واستبعدت بعضها الآخر ، وفيما يلي عرض لأسماء الكتب التي طبعت ونشرت ، ولأسماء الكتب التي هي قيد الطبع .

١ - الكتب التي صدرت :

- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام الشنمري ، بتحقيق الأستاذين لطفي الصقال ودربة الخطيب .
- الملمع للحسين بن علي النمري ، بتحقيق وجية السطل .
- نصره الاغريض في نصره القريض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني ، بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن .

ب - الكتب التي انجزت دراستها في الدورة السابقة وبوشر بطباعتها

وتوشك على الصدور :

- التعازي والمراتي للمبرد ، بتحقيق الأستاذ محمد الديباجي
- إعراب الحديث للعكبري ، بتحقيق الأستاذ عبد الاله نهمان
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ، بتحقيق الدكتور محمد يوسف

- سؤالات الحافظ السلفي ، بتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي

- معجم المصطلحات الحديثة ، وضعه الدكتور نور الدين العتر وترجمه إلى الفرنسية الدكتور عبد اللطيف الشيرازي الصباغ والأستاذ عبد الله كريل
- جزء من تاريخ ابن عساكر ، وهو الجزء الذي يبدأ بعاصم بن مجدل

الكافي وينتهي بعابذ

ج - الكتب التي قوت طباعتها في هذه الدورة ولم يباشر
بطباعتها بعد :

- العاهل والشاحج لأبي العلاء المعري ، بتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي

- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في الفقه الحنفي ، للأستاذ

محمد مطيع الحافظ

- تاريخ المنصوري ، بتحقيق الدكتور أبو العيد ديدو « جامعة الجزائر »

- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في التصوف ، وضع الأستاذ

محمد رياض المالح

- تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور المرحوم يوسف العشي

ومراجعة السيدة سماء المحاسني

ه - مشاركات المجمع داخل القطر :

ا - شارك رئيس المجمع الدكتور حسني سبيع وعضو المجمع

الدكتور ميشيل الحوري والدكتور محمد هيثم الخياط في الندوة العالمية

الأولى لتاريخ العلوم عند العرب والمنعقدة بمناسبة افتتاح معهد التراث العلمي

العربي في جامعة حلب بين ٥ و ١٢ نيسان ١٩٧٦

ب - اشترك بطلب من المجمع العلمي العراقي عضوا المجمع الأستاذان

وجيه السمان ومحمد هيثم الخياط مع بعض أساتذة جامعة دمشق في الإشراف

على ضبط المصطلحات الفرنسية في المعاجم الثلاثة الموحدة التي تولت الحكومة

العراقية الإنفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ج - ألف المجمع ثلاث لجان اشترك فيها بعض أعضائه وأساتذته

الجامعات وذلك لتوحيد المصطلحات العلمية التي وافته بها بعض أقسام الجامعات وهي :

- لجنة توحيد مصطلحات علم النبات . وقد عقدت ثلاث عشرة جلسة

- لجنة مصطلحات علم الكيمياء . وقد عقدت عشر جلسات

- لجنة توحيد مصطلحات علم الحيوان . وقد عقدت تسعاً وعشرين جلسة

ومن المتوقع أن تستكمل الأقسام الأخرى في الجامعات بجميع المصطلحات العلمية الخاصة بها وأن توافي بها المجمع ليم تشكيل لجان أخرى مشتركة لدراستها وتوحيدها .

د - ألف المجمع لجنة لدراسة المصطلحات المالية العامة وقد انتهت اللجنة من أعمالها وستعرضها على المجلس .

هـ - اشترك عضو المجمع الدكتور ميشيل الحوري ومراقب المجمع الأستاذ مصباح غلاونجي في اللجنة التأسيسية التي ألفتها المديرية العامة للآثار والمتاحف . بدمشق لإنشاء متحف للطب والعلوم عند العرب في مبنى البارستان النوري بدمشق .

و - شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العالي في معرض دمشق الدولي الرابع والعشرين

ز - شارك المجمع في معرض لايبزيغ الدولي للكتب الذي أقيم في مطلع شهر آذار ١٩٧٦

ح - وشارك في معرض الكتاب العربي السوري الذي أقيم في صالة المعارض بجامعة الكويت في ١٧ نيسان ١٩٧٦ بمناسبة عيد الجلاء .

ط - وشارك في المعرض الدولي للكتاب الذي أقيم في مونتريال بكندا في المدة الواقعة بين ١٩ و ٢٣ أيار ١٩٧٦

ي - وشارك المجمع في الأسبوع الثقافي السوري الذي سيقام في تونس في الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول لعام ١٩٧٦ تطبيقاً للبرنامج التنفيذي المعقود مع القطر التونسي الشقيق . وقد بعث بالكتب التي اختارها للعرض إلى تونس .

٦ - النشاط العالمي خارج القطر :

أ - شارك السيد رئيس المجمع الدكتور حسني سبيع في الاجتماع الثاني للجنة المعجم الطبي الفرنسي العربي الذي عقدته الأمانة العامة لاتحاد الأطباء العرب في بغداد في المدة الواقعة بين ٣٠ و ٣٥ من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٥ .

ب - اشترك الأستاذ الرئيس في الاجتماع الثالث للمعجم الطبي الفرنسي الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ١٧ و ٢٤ شباط ١٩٧٦

ج - شارك السيدان رئيس المجمع ونائب الرئيس في الدورة الثانية والأربعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ٢٣/٢ و ١٩٧٦/٣/٨ وقد نشر تقريرهما عن هذا المؤتمر في العدد الثاني من المجلد الحادي والخمسين من مجلة المجمع .

هـ - اشترك عضو المجمع الأستاذ عبد الهادي هاشم في اجتماعات لجان تعريب مصطلحات العلوم الإدارية التي عقدتها منظمة العلوم الإدارية في الاسكندرية في المدة الواقعة بين ٢٢ آذار و ٢ أيار ١٩٧٦ .

و - شارك السادة رئيس المجمع ونائب الرئيس وعبد الهادي هاشم عضو المجمع والسيد عاصم البيطار الأستاذ في جامعة دمشق في ندوة تبشير تعليم النحو التي أقامها اتحاد المجمع العلمية اللغوية في الجزائر في المدة الواقعة بين ٢٦ حزيران و ٣ تموز لعام ١٩٧٦ .

ز - شارك السيدان رئيس المجمع والدكتور محمد هيثم الخياط عضو المجمع في الاجتماع الرابع للجنة المعجم الطبي الفرنسي الذي عقد في تونس في المدة الواقعة بين ٢٤ تموز و ٢ آب لعام ١٩٧٦ .

٧ - أعضاء المجمع :

١ - استقبل المجمع خلال هذه الدورة في جلسة علينية عقدها في قاعة المجمع في ٢٩ نيسان ١٩٧٦ الزميل الجديد الدكتور محمد هيثم الخياط . افتتح الجلسة الأستاذ رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالزميل المستقبل واستعرض فيها أوضاع المجمع بايجاز . ثم ألقى الدكتور شكري فيصل خطاب الاستقبال ، وتلاه الزميل الدكتور محمد هيثم الخياط فألقى خطاباً جامعاً تحدث فيه عن سلفه الراحل الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

ب - فجع المجمع والعالم العربي والإسلامي بعضو من أعضائه العاملين البارزين هو العلامة الأستاذ محمد بهجة البيطار ، وقد وافته المنية يوم السبت الواقع في ٢٩ أيار ١٩٧٦ تغمده الله برحمته . وقد شارك أعضاء المجمع في تشييع جنازته .

٨ - مكتبة المجمع :

انتاب سيرها بعض التعثر لأن المشرف على شؤونها مازال بعيداً عنها في خدمة العَلَم ، وقد بلغ عدد الكتب التي زودت بها خلال هذه الدورة إهداء وشراء ٢٨٢ كتاباً ، كما أنها زودت ببعض المجلات الجديدة .

٩ - بناء المجمع الجديد :

١ - أُرسي الحجر الأساسي لمبنى المجمع الجديد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية يوم الأربعاء الواقع في ١٩ تشرين الثاني

سنة ١٩٧٥ وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة للحركة التصحيحية، وقد أناب السيد الرئيس عنه الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي وألقى كلمته كما ألقى السيد رئيس المجمع كلمة في هذه المناسبة .

ب - عهد أمر تنفيذ البناء إلى الهيئة العامة للأبنية المدرسية . وقد عقدت اتفاقاً مع أحد المختصين لإقامة هيكله خلال هذه السنة .

ج - أقيم الطابق تحت الأرضي من البناء وينتظر أن ينتهي هيكله في أواخر هذا العام .

١٠ - دار الكتب الوطنية الظاهرية :

دائرة المطبوعات

أ - بلغ عدد الكتب التي زودت بها الدار إهداء وشراء خلال هذه الدورة ١٨٨١ كتاباً ، منها ١٤١٨ كتاباً عربياً و ٤٦٣ كتاباً أجنبياً .

ب - بلغ عدد المجلات العربية ٩٦٠ والأجنبية ٣٤٧ .

ج - استحدثت فهارس جديدة للموضوعات على بطاقات ، وقد تم تنظيم ٢٥٠٠ بطاقة ، وتم تنظيم ٣٠٠٠ بطاقة حسب شهرة المؤلف و ٣٠٠٠ بطاقة حسب عنوان الكتاب .

د - بلغ عدد الكتب المعارة ١٩٢٥٠

هـ - بلغ عدد رواد قاعة المطالعة العامة خمسين ألفاً .

و - بلغ عدد رواد قاعة الباحثين ٨٠٠ باحث .

ز - أصبحت قاعة الباحثين تفتح أبوابها من الساعة الثامنة صباحاً

حتى الساعة والنصف مساء .

هـ - أصبحت مستودعات المطبوعات مفتوحة الأبواب للإعارة من الصباح حتى المساء .

دائرة المخطوطات :

- ا - تم إعداد فهرس حسب شهرة المؤلف .
- ب - بدأ العمل بإعداد فهرس جديدة حسب عنوان الكتاب .
- ج - بدء بتصوير المخطوطات التي يكثر تداولها بين أيدي الباحثين.
- د - بلغ عدد المخطوطات المعارة داخل الدار ١٥٠٠ مخطوط .
- هـ - بلغ عدد المخطوطات التي صورت للجامعات والأفراد داخل القطر وخارجه ٣٠٠٠ مخطوط .
- و - دعم الجهاز الإداري بأربعة عناصر جديدة .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

١ - الأعضاء العاملون

تاريخ دخول المجمع	الأستاذ	تاريخ دخول المجمع	الدكتور
١٩٦١	الأستاذ محمد المبارك	١٩٤٦	الدكتور حسني صبح «رئيس المجمع»
١٩٦١	الدكتور أنجد الطرابلسي	١٩٢٣	الدكتور أسعد الحكيم
١٩٦٨	الأستاذ وجيه السمان	١٩٢٦	الأستاذ شفيق جبري
١٩٦٨	الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٥٢	الدكتور حكمة هاشم
١٩٧١	الدكتور ميشيل الخوري	١٩٥٨	الدكتور محمد كامل عياد
١٩٧١	الدكتور شاكر الفحام	١٩٦٠	الدكتور عدنان الخطيب «نائب الرئيس»
١٩٧٦	الدكتور محمد هيثم الحياط	١٩٦١	الدكتور شكري فيصل

ب - الأعضاء المرسلون في البلدان العربية (١)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	المملكة الأردنية الهاشمية
الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢	الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢	

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي، والأسماء حسب الترتيب الزمني.

١٩٧٣	الدكتور جميل سعيد	المملكة العربية السعودية
=	» سليم النعيمي	١٩٥١ الأستاذ حمد الجاسر
=	» عبد العزيز البسام	الجمهورية العربية السورية
=	» صالح أحمد العلي	١٩٤٥ الأستاذ محمد سليمان الأحمد
=	» يوسف عز الدين	١٩٤٨ الأستاذ عمر أبو ريشة
=	الأستاذ محمد تقي الحكيم	١٩٥٤ الدكتور قسطنطين زريق
=	الأستاذ كمال إبراهيم	الجمهورية العراقية
=	الأستاذ طه باقر	١٩٣١ الأستاذ محمد بهجة الأثري
=	الدكتور صالح مهدي خنتوش	١٩٤٨ الأستاذ أحمد حامد الصراف
	فلسطين	١٩٤٨ الأستاذ كور كيس عواد
١٩٧٢	الدكتور إحسان عباس	البطريك أغناطيوس يعقوب
	الجمهورية اللبنانية	١٩٦٩ الثالث
١٩٤٥	الأستاذ أنيس المقدسي	١٩٦٩ الأستاذ ناجي معروف
١٩٤٨	الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٦٩ الأستاذ محمود شبت خطاب
١٩٤٨	الدكتور عمر فروخ	١٩٦٩ الدكتور فيصل دبدوب
١٩٦٦	الأستاذ محمد جميل بيهم	= عبد الرزاق محيي الدين ١٩٧٣
١٩٧٢	الدكتور فريد الحداد	» أحمد عبدالستار الجواري ١٩٧٣
	الجمهورية العربية الليبية	=
١٩٥٧	الأستاذ علي الفقيه حسن	» إبراهيم شوكة
	جمهورية مصر العربية	=
١٩٧٢	الأستاذ حسن كامل الصيرفي	=
١٩٧٢	الأستاذ محمد عبد الغني حسن	=
	المملكة المغربية	=
١٩٥٦	الأستاذ عبد الله كنون	=
		» محمود الجليلي
		» فاضل الطائي

ج - الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

السويد	إسبانية
الأستاذ ديدرغ (س.س) ١٩٥٦	الأستاذ غومز (إميليو غارسيا) ١٩٤٨
فرنسة	إيران
الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١	الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧
الأستاذ لاوحت (هنري) ١٩٤٢	إيطالية
فنلندة	الأستاذ غبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨
الأستاذ كريسكو (اهتنن) ١٩٢٣	باكستان
المجر	الأستاذ عبد العزيز الميني الراجكوتي ١٩٢٨
الدكتور عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦	الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥
النمسا	الأستاذ محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦
الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨	البرازيل
الدكتور أشتولز كارل ١٩٥٤	الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧
الهند	الدانيمرك
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦	الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٢١
الأستاذ أبو الحسن علي الحميني الندوي ١٩٥٧	
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣	

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

١ - الأعضاء انعاملون

تاريخ الوفاة

- ١٩٥٣ الأستاذ محمد كرد علي
« رئيس المجمع »
- ١٩٥٥ الأستاذ سليم الجندي
- ١٩٥٥ الأستاذ محمد البزم
- ١٩٥٦ الشيخ عبد القادر المغربي
« نائب الرئيس »
- ١٩٥٦ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
- ١٩٥٩ الأستاذ خليل مردم بك
« رئيس المجمع »
- ١٩٦١ الدكتور مرشد خاطر
- ١٩٦٢ الأستاذ فارس الخوري
- ١٩٦٦ الأستاذ عز الدين التنوخي
« نائب الرئيس »
- ١٩٦٨ الأستاذ الامير مصطفى الشهابي
« رئيس المجمع »
- ١٩٧٠ الأستاذ الأمير جعفر الحسني
« أمين المجمع »
- ١٩٧١ الدكتور سامي الدهان
- ١٩٧٢ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
- ١٩٧٥ الأستاذ عارف النكدي
- ١٩٧٦ الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ١٩٧٦ الدكتور جميل صليبا

تاريخ الوفاة

- ١٩٢٠ الشيخ طاهر السمعوني الجزائري
- ١٩٢٦ الأستاذ إلياس قديمي
- ١٩٢٨ الأستاذ سليم البخاري
- ١٩٢٩ الأستاذ مسعود الكواكبي
- ١٩٣١ الأستاذ أنيس سلوم
- ١٩٣٣ الأستاذ سليم عنجوري
- ١٩٣٤ الأستاذ متري قنديلقت
- ١٩٣٥ الشيخ سعيد الكرمي
« نائب الرئيس »
- ١٩٣٦ الشيخ أمين سويد
- ١٩٣٦ الأستاذ عبد الله رعد
- ١٩٤١ الشيخ عبد الرحمن سلام
- ١٩٤٣ الأستاذ رشيد بقدونس
- ١٩٤٥ الشيخ عبد القادر المبارك
- ١٩٤٥ الأستاذ أديب التقي
- ١٩٤٨ الأستاذ معروف الأرناؤوط
- ١٩٥١ الدكتور جميل الخاني
- ١٩٥٢ السيد محسن الأمين

ب - الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

١٩٤١	الأستاذ قسطنطين المحصي	المملكة الأردنية الهاشمية
١٩٤٢	الشيخ سليمان الأحمد	الأستاذ محمد الشريفي
١٩٤٣	الشيخ بدر الدين النعساني	الجمهورية التونسية
١٩٤٨	الأستاذ ادوار مرقص	الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
١٩٥١	• راغب الطباخ	• محمد الفاضل بن عاشور
١٩٥١	الشيخ عبد الحميد الجابري	• محمد الطاهر بن عاشور
١٩٥٦	• عبد الحميد الكيالي	• عثمان الكماك
	• محمد زين العابدين	الجمهورية الجزائرية
١٩٥٦	الشيخ محمد سعيد العرفي	الشيخ محمد بن أبي شنب
١٩٥٧	البطريك ماراغنا طيوس افرام	الأستاذ محمد البشير الابراهيمي
١٩٥٨	المطران ميخائيل نجاش	المملكة العربية السعودية
١٩٦٧	الأستاذ نظير زيتون	الأستاذ خير الدين الزركلي
١٩٦٩	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	جمهورية السودان
	الجمهورية العراقية	الشيخ محمد نور الحسن
١٩٢٤	الأستاذ محمود شكري الألوسي	الجمهورية العربية السورية
١٩٣٦	• جميل صدقي الزهاوي	الدكتور صالح قنباذ
١٩٤٥	• معروف الرصافي	الأب جرجس منش
١٩٤٦	• طه الراوي	الأب جرجس شلحت
١٩٤٧	الأب أنسطاس ماري الكرمللي	الأستاذ جميل العظم
١٩٦٠	الدكتور داود الجلبي الموصللي	الشيخ كامل الغزي
١٩٦١	الأستاذ طه الهاشمي	الأستاذ جبرائيل رباط
		الأستاذ ميخائيل الصقال

١٩٤١	الأستاذ جرجي بني	١٩٦٥	الأستاذ محمد رضا الشبيبي
١٩٤٦	الأمير شكيب أرسلان	١٩٦٩	♣ ساطع الحصري
١٩٥١	الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٦٩	♣ منير القاضي
١٩٥٣	الشيخ أحمد رضا العاملي	١٩٦٩	الدكتور مصطفى جواد
١٩٥٦	الأستاذ فليب طرازي	١٩٧١	الأستاذ عباس العزاوي
١٩٥٧	الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٧٢	الشيخ كاظم الدجيلي
١٩٥٨	الدكتور نقولا فياض		فلسطين
١٩٦٠	الشيخ سليمان ضاهر		الأستاذ نخلة زريق
١٩٦٢	الأستاذ مارون عبود	١٩٤١	الشيخ خليل الخالدي
١٩٦٨	♣ بشارة الحوري	١٩٤٧	الأستاذ عبد الله مخلص
	♣ عباس الأزهري	١٩٤٨	♣ محمد إسعاف النشاشيبي
١٩٧٦	♣ أمين نخلة	١٩٥٣	السيد خليل السكاكيني
	جمهورية مصر العربية	١٩٥٧	♣ عادل زعبي
	الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ١٩٢٤	١٩٦٣	الأب اس مرمجي الدومنيكي
١٩٢٥	♣ رفيق العظم	١٩٧١	الأستاذ قدري حافظ طوقان
١٩٢٧	♣ يعقوب صروف		الجمهورية اللبنانية
١٩٣٠	♣ أحمد تيمور	١٩٢٥	الأستاذ حسن بيهم
١٩٣٢	♣ أحمد كمال	١٩٢٧	الأب لويس شيخو
١٩٣٢	♣ حافظ إبراهيم	١٩٣٠	الشيخ عبد الله البستاني
١٩٣٢	♣ أحمد شوقي	١٩٣٠	الأستاذ جبر صومط
١٩٣٣	♣ داود بركات	١٩٢٩	♣ عبد الباسط فتح الله
١٩٣٤	♣ أحمد زكي باشا	١٩٤٥	الشيخ مصطفى الفلايني
١٩٣٥	♣ محمد رشيد رضا	١٩٤٦	الأستاذ عمر الفاخوري
١٩٣٥	♣ أسعد خليل داغر		♣ بولص الحولي
		١٩٤٠	♣ أمين الريحاني

٢ (١٧)

١٩٥٩	الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٣٧	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٩٥٩	الدكتور منصور فهمي	١٩٣٨	د أحمد الاسكندري
١٩٦٣	الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٤٣	الدكتور أمين المعلوف
١٩٦٤	الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٤٣	الشيخ عبد العزيز البشري
١٩٦٤	الأستاذ خليل تابت	١٩٤٤	الأمير عمر طوسون
١٩٦٦	الأمير يوسف كمال	١٩٤٦	الدكتور أحمد عيسى
١٩٦٨	الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٤٧	الشيخ مصطفى عبد الرازق
١٩٧٣	الدكتور طه حسين	١٩٤٨	الأستاذ أنطون الجميل
١٩٧٥	الدكتور أحمد زكي	١٩٤٩	الأستاذ خليل مطران
	المملكة المغربية	١٩٤٩	الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
١٩٥٦	الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٣	الأستاذ محمد لطفي جمعة
١٩٦٢	الأستاذ عبد الحفي الكتاني	١٩٥٤	الدكتور أحمد أمين
١٩٧٣	الأستاذ لال الفاسي	١٩٥٦	الأستاذ عبد الحميد العبادي
		١٩٥٨	الشيخ محمد الحضر حسين

ج - الأعضاء المرسلون الواحدون

من البلدان الأخرى

ألمانية	الاتحاد السوفيتي
١٩١٨	الأستاذ هارتمان (مارتين)
١٩٣٠	ساخاو (ادوارد)
١٩٣١	هورو فيتز (يوسف)
١٩٣٦	الإستاذ هوميل (فريتز)
	إسبانية
	الأستاذ آسبن بلاسيوس (ميكل)
	١٩٥١
	١٩٥٧
	الأستاذ كراتشكوفسكي (أ.)
	الأستاذ برتلز (ايفيكين)

الأستاذ كرنيكو (فريتز) ١٩٥٣	الأستاذ ميتفوخ (اوجين) ١٩٤٢	
د غليوم (الفريد) ١٩٦٥	د هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨	
د اربري (ا. ج) ١٩٦٩	الأستاذ فيشر (اوغست) ١٩٤٩	
د جيب (هاماتون ا. ر) ١٩٧١	د بروكلهان (كارل) ١٩٥٦	
بولونية		
الأستاذ كوفالسي (ت.) ١٩٤٨	د هارتمان (ريشارد) ١٩٦٥	
توكية		
الأستاذ زكي مغامر ١٩٣٢	الدكتور ريتز (هاموت) ١٩٧١	
د أحمد آتش	إيران	
تشيكوسلوفاكية	الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ١٩٤٧	الأستاذ عباس إقبال ١٩٥٥
الأستاذ موزل (ألوا) ١٩٤٤	إيطالية	
الدنيمرك	الأستاذ غريفيني (اوجينيو) ١٩٣٥	د كابتاني (ليون) ١٩٢٦
الأستاذ بوهل (ف. م. ب.) ١٩٣٢	الأستاذ جويدي (اغنازيو) ١٩٣٥	د نالينو (كارلو) ١٩٣٨
د استروب (ج.) ١٩٣٨	البرازيل	
السويد	الأستاذ سعيد أبو حمزة ١٩٥٤	البرتغال
الأستاذ سترستين (ك. ف) ١٩٥٣	الأستاذ لوبس (دافيد) ١٩٤٢	بريطانية
سويسرة	بريطانية	
الأستاذ مونته (ادوارد) ١٩٢٧	الأستاذ ادوارد (براون) ١٩٢٦	الأستاذ بفن (انطوني) ١٩٣٣
د هس (ح. ح) ١٩٤٩	الأستاذ مرجليوث (د. س.) ١٩٤٠	
فرنسة		
الأستاذ باسيه (رينه) ١٩٢٤		
د مالتجو ١٩٢٦		

الهند	١٩٢٧	الأستاذ هوار (كلمبان)
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٨	» كي (ارتور)
هولندا	١٩٢٩	» ميشو (بليير)
الأستاذ غور غرينه (سنوك) ١٩٣٦	١٩٤٢	» بوفالو (لوسيان)
» اوراندوك (ك.ك.)	١٩٥٣	الأستاذ فران (جبرائيل)
» هوتسا (م.ت.) ١٩٤٣	١٩٥٦	» مارسيه (وليم)
» شخت (يوسف) ١٩٧٠	١٩٥٨	» دوسو (رينه)
الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٦٢	» ماسينيون (لويس)
الأستاذ ماكدونالد (د.ب.) ١٩٤٣	١٩٧٠	» ماميه (هنري)
» هرزفلا (ارنست) ١٩٤٨	١٩٧٣	الدكتور بلاشير (ريجيس)
» سارطون (جورج) ١٩٥٦		المجر
الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١		الأستاذ غولد صهير (اغناطيوس) ١٩٢١
		» ماهلر (ادوارد) ١٩٤٥

الكتب المهداة لمكتب مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين صابر	أبو الحارث محمد حامد	إسلام آباد ١٩٧٦
صندوق البريد (قستان)	محمد جعفر جعفر - ترجمة سنان سعيد	باكو ١٩٦٢
التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي	جليل محمد قلى زاده - تعريب يوسف أحمد	» ١٩٧١
الخليج العربي: بليوغرافيا مختارة	د. مصطفى عبد القادر النجار	البصرة ١٩٧٥
» » » البحار والثروة السمكية	عبد الرضا محمد الصافي	» »
» » » الدليل الإحصائي السنوي - جامعة البصرة (٧٥-٧٦)	جمع وتنظيم نجاح عبود حسين	» »
علم النفس التربوي	مديرية التخطيط والمتابعة	» ١٩٧٦
	صبحي عبد الطيف المعروف	» ١٩٦٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
فهرس الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية	جامعة البصرة	البصرة ١٩٧٦
المصادر والمراجع الأجنبية عن العراق	عبد الجبار عبد الرحمن	» »
أصول أسماء المدن والمواقع العراقية (الجزء الأول)	المحامي جمال بابان	بغداد ١٩٧٦
حكايات وفلسفة	يوسف أمين قصير	» »
الدر المنثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر	علي علاء الدين الآلوسي ، تحقيق جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري	» ١٩٦٧
ديوان الطغراني	تحقيق الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور يحيى الجبوري	» »
محكمة العدل الدولية والقانون الداخلي للمنظمات الدولية	د. صبيح مسكوني	» ١٩٦٨
الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين	الجامعة اللبنانية	بيروت
لسان الواعظ	اغناطيوس يعقوب الثالث	» ١٩٧٥
المسح الاجتماعي الاقتصادي لمدينة اجدابيا	الجامعة اللبنانية	» »
المسلمون أمام التحدي العالمي	د. احسان حقي	» ١٩٧٦
مقدمة في الفلسفة المعاصرة	د. ياسين خليل	» ١٩٧٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح العثماني حتى بداية العصر التركي	د. أحمد مختار عمر	بيروت ١٩٧١
العنصرية الصهيونية في الدستور والقوانين الأساسية الإسرائيلية	المحامي إحسان سامي الكيالي	تونس ١٩٧٦
منهج التبريزي في شروحه	د. فخر الدين قباوة	حلب ١٩٧٤
صفحات دراسية من القديم والحديث	د. عباس الجراري	الدار البيضاء ١٩٧٦
الاحصاء التطبيقي	د. ناظم حيدر	دمشق ١٩٧٥
الأحوال الشخصية في الأهلية والوصية والتركات	د. مصطفى السباعي ود. عبد الرحمن الصابوني	دمشق ١٩٧٠
الأخلاق	د. عادل العوا	» » ١٩٧٥
إدارة أعمال الاستيراد والتصدير	د. هيثم هاشم	» » »
الإدارة المالية في المشروعات الاقتصادية	د. أكرم شقرا	» » ١٩٧٥
إدارة المبيعات	» » »	» » »
إدارة المشتريات والتخزين	د. محمد عدنان النجار	» » »
الاعباء	ليونيد بترسكو . ترجمة أديب شيش	» » »
الأزمة النقدية في الغرب	اه. ف. اينكين . ترجمة غسان رسلان	» » ١٩٧٩
أمالي الثقافة القومية الاشتراكية	جامعة دمشق	» ١٩٧٥

(١ ٣)

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تاريخ العرب القديم في العصر الجاهلي	د. نبيه عاقل	دمشق ١٩٧٥
التخدير الموضوعي في جراحة الفم والأسنان	د. شفيق الأيوبي	» ١٩٧٤
تغذية الحيوان والدواجن	د. عبد الغني الاسطواني	» ١٩٧٥
تقرير عن حالة الأمن امام ١٩٧٥	قيادة قوى الأمن الداخلي	» ١٩٧٥
التكامل الفني في العرض المسرحي	الكسي بوبوف - ترجمة شريف شاكر	» ١٩٧٦
حالات ادارية وتسويقية	د. هيثم هاشم	» ١٩٧٥
الحالات والدراسات في الشركات	د. حمدي السقا	» ١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم العملي)	د. محمد عادل الفتيح	» ١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم النظري)	» » » »	» »
الحليب ومنتجاته	د غانم حداد	» »
دراسات في تاريخ العصر الأموي	د. نبيه عاقل	» »
دراسات في الدعاوة السياسية (١ ٣)	ناظم الطحان	» »
دروس في الفيزياء (القسم الأول)	ديفوره وانوكان - ترجمة د. عدنان المحاسب	» »
الرياضيات العامة - الجبر والتحليل (القسم الأول)	ش. بيزو - م. زمانسكي ترجمة د. عدنان حموي	» »

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الصيغة (مسرحية)	فيكتور روزوف - ترجمة اسكندر كيني	دمشق ١٩٧٦
الصحة النفسية	نعيم الرفاعي	» ١٩٧٥
الصهيونية في روسيا القيصرية	ي. س. يفيسيف ول. فوستوكوف ترجمة هاشم حمادي	» ١٩٧٦
الطب في إنجازاته وإغراءاته	جان برنار - ترجمة د. بشير العظمة	» »
العالم من حولنا	طالب عمران	» »
عزف منفرد على الكمان (قصص)	جورج سالم	» »
العشق في الزمن الضحل (شعر)	فؤاد كحل	» »
علم الحشرات العام	د. محمد عادل الفتيح ود. أحمد زياد الأحمد	» ١٩٧٥
» » (القسم العملي والتصنيف)	د. أحمد زياد الأحمد ود. محمد عادل الفتيح	» »
علم النسيج والتشريح المقارن	د. محمد أبو حرب	» ١٩٧٤
علم نفس الطفولة والمراهقة	د. حسين فيصل الغزي	» ١٩٧٥
الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد	د. وهبة الزحيلي	» »
الفيزياء العامة والتجريبية - الضوء (١ - ٢)	بيير فلوري - جان بول ماتيو - ترجمة د. توفيق المنجد ود. طاهر التريدار والمهندس وجيه السمان	» ١٩٧٦
كتاب التشريح الوصفي (الجزء الأول)	د. محمد فائز المنط	» ١٩٧٥

مكان الطبع وتاريخه	اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب
دمشق ١٧٧٦	نجيب جمال الدين	الكتابة على أعمدة الشمس (شعر)
» ١٩٧٥	د. حسام الخطيب	محاضرات في تطور الادب الأوربي
» »	د. محمد سمير رمضان البوطي	مباحث الكتاب والسنة من علم الأصول
» »	د. هيثم هاشم	مبادئ الإدارة
» »	د. حمدي السقا وفخري اللحام	المحاسبة التجارية الحديثة. (١-٢)
» ١٩٧٥	د. سلمان قداح	محاسبة التكاليف الصناعية
» ١٩٧٥	د. عبد الرحمن الصابوني اندرية مالرو - ترجمة	المدخل لدراسة التشريع الاسلامي ٢ مرآة ظلال الشعور « ألبعازر »
» ١٩٧٦	صياح الجهم	
» ١٩٧٥	د. حمدي السقا	المراجعة وتفتيش الحسابات
» ١٩٧٦	ميشيل ايف برنار - ترجمة أحمد القادري وحسن الحراكي ومراجعة مهابة فرح الحوري	المعاهد الجامعية للتكنولوجيا
» »	عادل أبو شنب	معطف الاخفاء (قصص الأطفال)
» »	ج. ل. ستيان - ترجمة	المهارة السوداء
» »	منير صلاحي الأصبحي	
» ١٣٩٥	محمد ناصر الدين الألباني	مناسك الحج والعمرة
» ١٩٧٦	صلاح بن خليل الموصلی	من تراثنا
» ١٩٧٥	د. محمد عجاج الخطيب	الموجز في أحاديث الأحكام
» ١٩٧٦	زكي الأرسوزي	المؤلفات الكاملة

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
د. محمد فؤاد الرباط	النباتات الرعوية ذات الأهمية الاقتصادية	دمشق ١٩٧٥
أيوب منصور جاك - بيتي - رولة - ترجمة د. مصطفى عدنان السيوطي	نجمة الصبح (قصص للأطفال) النظام النقدي الدولي	» » »
جان ستاروبنسكي - ترجمة د. بدر الدين القاسم مراجعة انطون مقدسي	النقد والأدب	» »
د. عباس الجراري	قضية فلسطين في الشعر المغربي حتى حرب رمضان	الرباط ١٩٧٥
المكتب الدائم لتنسيق التعريب	معجم الفقه والقانون (فرنسي - عربي)	» ١٩٦٩
د. نصرت عبد الرحمن	الصورة الفنية في الشعر الجاهلي	عمان ١٩٧٦
د. عبد المجيد المحتسب	عبد الله بن المبارك المروزي	» ١٩٧٢
يعقوب العودات (البدوي) الملمم (من أعلام الفكر والأدب في فلسطين	» ١٩٧٦
ترجمة طه صواف	تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية الصوفينية	موسكو
وهاب الحاج قاسم محمد الحلي الأسدي	من أيام الجلالي في القاسم	النجف ١٩٧٩
عبد الجبار الساعدي	ناعية الطف : السيد حيدر الحلي	» »

تصويبات عدد سابق « م ٥١ ج ٣ »

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٦٢٤	١٩	٣٤٤/٩	٦٣٢	٧	٧٦٣/٢
٦٢٦	٨	جاهلة	٦٣٤	١	٥٨٣/٢
٦٢٦	١٥	١٦	٦٣٤	١٦	٢٧/١
٦٢٧	١٨	٢٢٣/٨	٦٣٥	٤	٢٢٥
٦٢٨	١٥	جرتها			

* * *

تصويبات هذا العدد « م ٥٢ ج ١ »

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
١٢	٩	إحياء	١٩٠	٢	مقصد
١٥	١٤	تحولات	١٩٢	٣	يشف
٢٢	٦	تجلية	١٩٢	٨	وناشر
٢٥	٣	سيرته	٢٠٢	٤	بالنقم
٤٠	١١	اسمك	٦٠٩	٦	من قول : لا
١٥٤	٣	برآء	٢١٢	٣ -	وأنور
١١٠	٧	إن	٢١٨	٥	وعذبني
١٩١	٧	اطراده	٢١٤	١٠	لاهند .. دعد
١٦٤	١٥	يحيء	٢٢٣		رأس الصفحة محمود العابدي
١٨٩	٥	مرغيد	٢٢٥	١٤	اقتناء

- ٢٦٨ -

فهرس الجزء الأول من المجلد الثاني والحسين (*)

الصفحة	مقدمة العدد
	صورة الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي
	مقدمة العدد للدكتور حسني سبوح
	حفلة الافتتاح
١	خطاب الدكتور حسني سبوح
٧	خطاب الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي
١٠	خطاب الدكتور محيي الدين صابر
١٤	خطاب الدكتور إبراهيم مدكور
٢١	خطاب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين
٢٦	خطاب الدكتور عبد الكريم خليفة
٣٣	كلمة الأستاذ محمد بهجة الأثري وقصيدته
٤١	خطاب الدكتور عدنان الخطيب

المقالات والبحوث

١ - الندوة الأولى

٤٥	شامية محمد كرد علي	الأستاذ شفيق جبري
٤٢	في ذكرى العلامة محمد كرد علي	الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٥٧	انطباعات عن محمد كرد علي	الأستاذ محمد القاسمي
٦٤	محمد كرد علي من علماء العرب الخالدين	الدكتور ناجي معروف
٧٦	تحية دمشق « قصيدة »	الأستاذ حسن كامل الصيرفي
٨٠	محمد كرد علي نموذج فريد في ريادة تحقيق التراث	« » « »
٩٣	تحية إلى روح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي	الدكتور عيسى الناعوري

(*) عدد خاص بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

٢ - الندوة الثانية

٩٧	قصة المذكرات الدكتور عدنان الخطيب
١١٤	محمد كرد علي من خلال المقتبس . . . « شكري فيصل
١٤٢	ذكريات وآراء عن الأستاذ محمد كرد علي . . . فيصل دبروب
١٤٨	محمد كرد علي وعلاقته بالعلماء والكتاب العراقيين الأستاذ عبد الرزاق الهلالي
١٥٩	محمد كرد علي في مصر . . . « أنور الجندي

٣ - الندوة الثالثة

١٧٧	محمد كرد علي والمستشرقون . . . الدكتور محمد كامل عياد
١٨٩	وفاء « قصيدة » . . . « جميل سلطان
١٩٥	رحلات كرد علي وأثرها في أدبه . . . الأستاذ جمال الدين الألوسي
٢١١	ذكريات وانطباعات عن كرد علي . . . « تيسير ظبيان
٢١٩	قيس دمشق « قصيدة » . . . « حسني قرين
٢٢٢	محمد كرد علي خزانة علم . . . « محمود العابد
٢٣٣	محمد كرد علي في جوانبه المختلفة . . . « روكس بن زائد العزيزي

آراء وأنباء

٢٣٧	تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني سبح
٢٣٨	مجمعي افتقدناه : المرحوم خير الدين الزركلي
٢٤١	انتخاب عضوين جديدين : الدكتور عبد الكريم البياتي والأستاذ أحمد راتب النفاخ
٢٤٢	مسابقة جديدة لمكتب تنسيق التعريب في الرباط
٢٤٣	تقرير عن أعمال المجمع في دورة ١٩٧٥ - ١٩٧٦
٢٥٢	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
٢٦١	الكتب المهداة لمكتب مجمع اللغة العربية خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٦
٢٦٨	التصريحات
٢٦٩	الفهرس

